

يوسف في السجن

٩ الشاعر الفلسطيني رائد



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٧٦٠

رسالة مقدمة من الطالب

عيسى محمد علي منور عاغي

للحصول على درجة العالمية «الدكتوراه» من كلية اللغة العربية

بجامعة الأزهر الشريف

١٠٠٢٢٤٢

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبد السلام سرعاني

الجزء الأول

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

القاهرة



العلامة الشيخ يوسف
بن اسماعيل النبهاني (ابو المحاسن) شافعي



ولد سنة ١٢٦٥ هجرية الموافق سنة ١٨٤٩ ميلادية : في بلدة اجزم من قضاء حيفا .

نسبه ونشأته : ينسب العلامة الى قبيلة (بني نيهان) وهي من اعرق القبائل

العربية من
وظهرت
بلغ السابعة
بتعطش و
علومه الا
سنة ٢٨٩

قصد
لصاحبها
شغل
الموصل .

وفي
جنين (من
وفي سنة)
سنة .

سافر
الى بيروت

كان

ابن قيم الج
ومحمد عبد

تأليفه

قصائد شع

الاهـدأ

الى روح العالم الجليل والاديب الفذ الى روح المكافح المناهج والمجاهد المجالا عن المجال
بيضة الاسلام ودين المسلمين الى الرجل الذي وقف حياته على الميثم مع ذخائر
الملم وكنوز المصرفة الى الرجل الذي شب في مضمار الثقافة ولم يشب الى المالم
الازهرى الحنيف الشيخ يوسف النبهاني أهدي هذا البحث راجيا الله أن يسامحنسى
في كشف الستار عما حرص على خبئه من الاسرار المتحدثة عنه المطرية له المشيدة بسـه
في كل مجال •

بسم الله الرحمن الرحيم
 قس من آي ذكر الحكيم

يقول الله تبارك وتعالى * يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم يسوم يلقونه سلام * واعد لهم اجرا كريما * يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا * ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيل * سورة الأحزاب آية ٤١ - ٤٨

ويقول تبارك وتعالى أيضا * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم * ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم * سورة محمد آية ١ - ٢

ويقول تبارك وتعالى أيضا * ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مشفرة وأجر كبير * واسأروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور * ألمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير * أولم يروا الى الطير فوقهم صافات فيقبضن ما يمسكنهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير * آمن هذا الذي هو بجند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور * آمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور * أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم * قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون * قل هو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين (صدق الله العظيم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

((شكر وتقدير))

أشكر المولى تبارك وتعالى أن وفقني لاختيار هذا البحث وأتم على نعمته
بأكمله وإخراجه إلى حيز الوجود •

ثم أشكر استاذي المشرف الدكتور عبد السلام سرحان الذي تفضل بالموافقة
على مهمة الاشراف الشاقة وشاركني جميع المتاعب والمصاعب المتعلقة بهذا البحث
في مراحلته المختلفة موجهها ومشجعا وممهدا ومعيدا حتى صرت في بيته أحسن
أبناءه الذين ينعمون بمطف أبوته الحانية ونظراته الرانية طوال أربع سنوات
متوالية من التفرغ الكامل وأسأل الله أن يجزيه كل خير هو وجميع الاساتذة
الافاضل من علماء الأزهر الشريف الذين شاركوا في تنميتي ثقافيا من جميع
الوجهات •

وأشكر للاستاذ الدكتور سليمان حسن ربيع الذي لجأت إليه كثيرا
لتيسير بعض الشدائد وتسهيل بعض الصعاب •

وأشكر للاستاذ الدكتور حسن جاد حسن عميد كلية اللغة العربية
الحالي ما قدم لي من مساعدات ومساندات تشجيعية أو توضيحية في معترك
الصراع العنيف الذي عشت مع الشاعر المترجم •

وأشكر للسيد الدكتور الطبيب فاضل زيدان ابن " اجزم " البار
وفتها الكمي الذي استوعب تاريخ أبنائها وثبت أعلامها وشجعني على اختيار
هذا الموضوع الفسيح وقدم لي من معلوماته ومعارفه عن تلك القرية وأهلها
الكثير الكثير كما تفضل متطوعا بترجمة جميع النصوص الأجنبية التي استشهدت
بها من اللغة الانجليزية الى لغتنا العربية كما أنه هو الذي تولاني برعايته
وشغلني بحدسه وعطفه طيلة دراستي في القاهرة •

وأشكر لفضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب رئيس رابطة العلماء في لبنان أن عرفني
وصحبني الى دارات جميع العلماء والشخصيات الفذة التي قابلتها في بيروت •

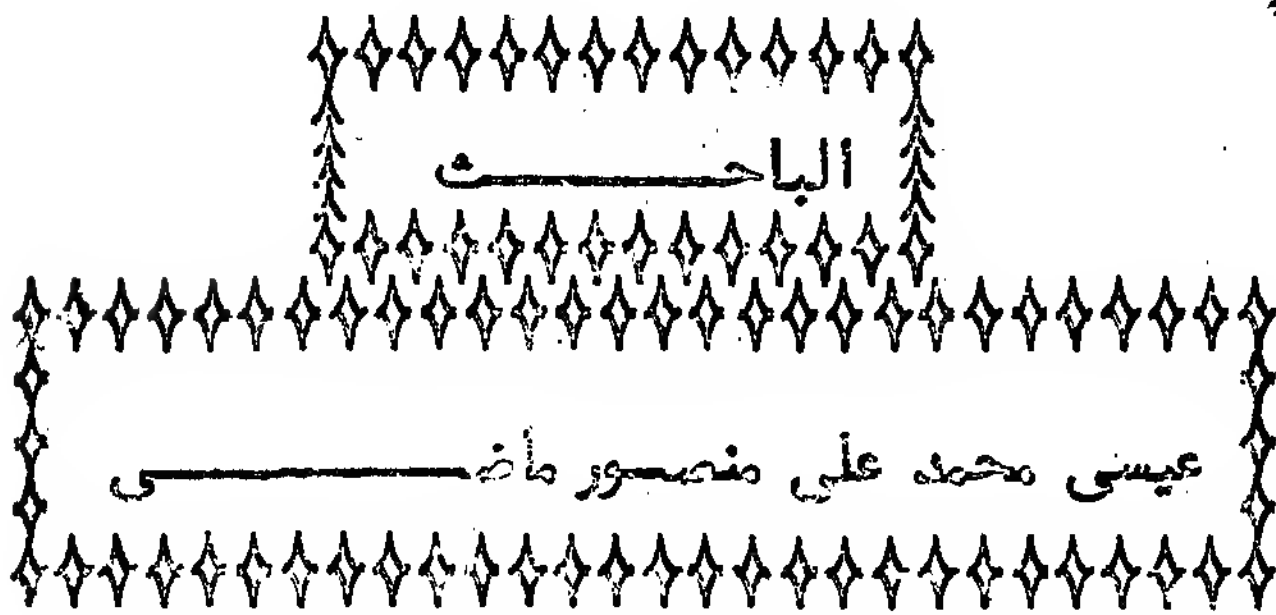
وأشكر للدكتور احسان عباسي رئيس الدائرة العربية في الجامعة الامريكية
بيروت أن أمدني بكثير من المعلومات ووجهني الى عدد من النواحي المهمة
بجوانب هذا البحث .

وأشكر للدكتور عبد الرحمن ياغي استاذ الادب العربي بالجامعة الاردنية
في عمان أن زودني بكثير من المعلومات الهامة عن مدائح النبهي النبوية .

وأشكر للاستاذ محمد عطيه خميس المحامي المصري ورئيس شباب سيدنا
محمد سابقا أن قدم الى الكثير من المصادر العلمية والأدبية عن النواحي
السياسية المصرية التي لمع فيها أو تحدث عنها شاعرنا المترجم .

وأشكر لجميع العلماء والأدباء والاساتذة والزملاء الذين احاطونني
بكوكبة من النصح والارشاد والتشجيع والتقدير اثناء رحلتي العلمية
الطويلة مع كنوز الأدب وذخائره .

وأشكر لمصر الحبيبة ولجامعة الازهر الشريف ما أفاءت علي من
ظلال وما أهدتني من معارف وعوارف وما أسدت الي من بيض الايسار
على أيدي أبنائها الكرماء .



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله واصحابه

ومن وآله وبعد ..

فهذه دراسة أدبية نقدية عن الشيخ يوسف النبهاني ومدائحه النبوية أدت فيها البحث حول بيئته الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية حول حياته ومصادره الفكرية ومكانته العلمية والاجتماعية في العالم الاسلامي وكفاحه الديني وعن أدبه المنشور منه والمنظوم وعن مؤلفاته التي زادت على الستين ثم تكلمت عن المدائح النبوية - بصورة

عامة - في تاريخ الادب العربي وعن ريادته للمدائح النبوية بشكل عام . وقد شغلتنى

هذه الدراسة قرابة أربع سنوات مع التفرغ الكامل للكتابة والبحث عن أخبار النبهاني

ومؤلفاته المبعثرة في مختلف المكتبات وفي الخوص وراء قصائده في غير المدائح النبوية

التي أوصى باتلافها فضاع تراث قيم من الشعر الجزل الرصيني الذي شهد له لداته

وأنداده من كبار الأدباء والعلماء بالسبق والرفعة وعلو السقام .

وقد استعنت بالبحث الدؤوب المتواصل حتى استطعت أن أعثر على بعض هذه

القصائد المفقودة وجمعت منها نموذجاً لقصائده الأخرى . التي كان ينافس بها

أمراء الشعر في عصره .

والحقيقة أن صلتى بالموضوع لم تكن وليدة الساعة التي قررت فيها اختياره موضوعاً

لتسجيل رسالة الدكتوراة فالشيخ يوسف النبهاني ولد في قرية " اجزم " التي ولدت

فيها وكان معروفاً بتقواه وصلاحه حتى أصبح ممن يعتقد فيهم الولاية حيث كانت تصدر

عنه بعض الكرامات التي يحفظها سكان القرية .

وعندما بلغت سن التمييز كنت اسمع والدي وأهل قريتي يتحدثون عن الشيخ يوسف

النبهاني ومع توالي السنوات كانت معرفتي عنه تزداد وتتنوع وتتسع وثبت في عقلي أن الشيخ

يوسف النبهاني الذي ولد في قريتي وتربطني به قرابة كان عالماً فاضلاً تقيّاً تصدّت

به الأيام حتى صار رئيس محكمة وكان يتميز عن بقية العلماء من آل النبهاني بمكانته العلمية

والاجتماعية .

ولقد انتهيت تعليمي الثانوي في الاردن واخترت كلية الشريعة في بغداد لاتيهم

ثقافتى الجامعية ، وكان اختيارها أثراً للتربية الدينية التي أنشأني عليها والداي جزاهما

الله كل خير وتعرفت على أحد أساتذتي في الكلية وهو الشيخ يوسف عبد الرزاق أحد شيوخ وعلماء الأزهر المنتدبين للتدريس في كلية الشريعة بجامعة بغداد وهو فلسطيني الأصل مصري الجنسية * وحين قويت الصلة بيننا قلت له اني فلسطيني من " اجزم " قرية الشيخ يوسف النبهاني وهو قريبي فرحب بي ترحيباً حاراً يفيض عاطفة ومحبة وصار يترحم على الشيخ يوسف النبهاني سائلاً الله أن يعيد أمثاله في الاسلام وأوصاني ان أكون مثل الشيخ النبهاني في العلم والتقوى وعرض على مساعدته في كل ما احتاج اليه وكنت أزوره في بيته فيكونني ويشعرنى بعطفه ورعايته لي كلما سنحت فرصة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته *

ولقد كان لهذه الحادثة أبلغ الأثر في نفسي اذ أثبتت ما كنت أسمع من أهل قريتي عن الشيخ يوسف النبهاني من مجرد حفظ بعض الوقائع المتفرقة عن تقواه وفضله الى شهادة شيخ أزهري فاضل يدعو الله أن يعيد أمثاله للاسلام والمسلمين عندها ثبت في عقلي بصفة يقينية علم وفضل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله *

وفي سنة ١٩٦٩ حصلت على ليسانس شريعة وآداب من كلية الشريعة جامعة بغداد وتوجهت للسعودية حيث عملت مدرسا لمدة سنة واحدة ثم استقلت وتوجهت نحو مصر الاسلام حيث الأزهر الشريف منارة العلم الكبرى والتحقت عام ١٩٧١ بكلية اللغة العربية شعبه الأدب والنقد ولا أدري كيف اخترت هذه الكلية وهذه الشعبة حيث أنني ما قدمت الى مصر الا لدراسة التصوف الذي ما فارقتنى مصادره طيلة مراحل حياتي * ولكنها مشيئة الله والخيرة فيما اختاره سبحانه * والتقيت بأساتذتي من علماء الأزهر الشريف وشاهدت من عظيم فضلهم وسعة علمهم ما ذكرني بزميلهم وأخيمهم الشيخ يوسف النبهاني فتوجهت بلا ارادة مني الى دار الكتب المصرية وفتشت في فهرس المؤلفين عن اسم " يوسف النبهاني " فوجدت له أكثر من سبعين بطاقة باسمه وقد كانت هذه مفاجأة اوقعتنى في دهشة فسجلت جميع مؤلفاته مع ارقامها في كراسة وطلبت الاطلاع على بعضها خاصة ديوانه " العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية " ورجعت الى كتاب الاعلام للزركلي وكتاب معجم سركيس وكتاب معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .. كما رجعت الى المصادر التي أثبتوها في ترجمتهم للنبهاني فتصفحت مجلتي المنار والمشرق وقرأت كتاب

رضا

المنار والأزهر لرشيد رضا وغيرها فوجدت أن الشيخ النبهاني كان شخصية متعددة
الجوانب كثيره المواهب فهو رئيس محكمة الحقوق العليا في بيروت وهو فقيه له مؤلفات
في مسائل فقهية وهو فيلسوف مناظر للنصاري مدافع عن الاسلام بالحجة العقلية والفعلية ^{والشعرية}
وهو مكافح للتيارات الفكرية المتولدة من الحضارة الغربية وهو حافظ لمعالم الاسلام
من ادعاء التجديد والتحول من علماء المسلمين وخاصة مدرسة الأفغانى ، وهو رجل
مجتمع يقصده المظلومون وذووا الحاجات وهو الشاعر الذى مدح حكام عصره ووجهاءه
وفوق هذا كله هو الشيخ يوسف النبهاني ^{النبهاني} الصوفى المعروف ^{بالحجته} بالرسول صل الله عليه
وسلم حتى أصبحت لفظه " المحب " لدى الصوفية مصطلحاً معناه الشيخ يوسف النبهاني
حيث قصر مؤلفاته على أخباره وحياته صلى الله عليه وسلم .

وقد كان لهذه الاتجاهات المتعددة المتمثلة في شخصية الشيخ يوسف النبهاني
مع انقطاعه للدراسة والتحصيل في الادب والنقد ما صرفنى شيئاً ما عن متابعة الاستقصاء
والبحث ، وأمضيت سنتين في الدراسات العليا حصلت بعدها على درجة التخصّص
" الماجستير " في الأدب والنقد وكنت أود أن يكون بحث الماجستير عن الشيخ
يوسف النبهاني ولكن ضيق الوقت وتعدد الاتجاهات والجوانب في شخصيته ثبطنى
وصرفنى للكتابة عن " ابن زيدون عصره وحياته وشعره " واستشرت قريبي الدكتور
الطبيب فاضلاً زيدان في جمل رسالة الدكتوراه عن الشيخ يوسف النبهاني بعد أن
أطلعته على ما توصلت اليه من معلومات أولية فشجعتنى وأبدى استعداداً لمساعدتى
بما يتوفر لديه من معلومات عن الموضوعات لانه من بلدتنا " اجزم " ثم توكلت على الله
الذى لا يخيب من رجاءه .

وكان الله سبحانه وتعالى قد ادخر لى النبهاني ومداخلة النبوة لتكون موضوعاً

لرسالة الدكتوراه .

وقد تكشف لى أثناء بحثى جوانب مختلفة من هذه الشخصية جعلتني أمضى قدماً

في تسجيله موضوع رسالة أتقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه .

من هذه الجوانب المشجعة :-

اولا : لان الشيخ يوسف النبهاني من رجال العصر الأدبي الحديث ونحن في أمس الحاجة الى دراسة رجاله وآثاره ليتضح لنا طريقنا نحو مستقبل أفضل بعد قضينا أزمانا طويلة نبدىء ونعيد في تراجم السابقين ولعل قلة مراجع الدراسة لرجال العصر الأدبي الحديث والتي لا تتوفر الا في مصادرها الاصلية كالدوريات أو صعوبة الرجوع الى الشخصيات العصرية التي لديها المعلومات هو ما صرف الباحثين الى تراجم السابقين الذين توافرت حولهم الدراسات والبحوث في مختلف المصور .

ثانيا : ان الشيخ يوسف النبهاني فلسطيني المولد والنشأة متعلم في الأزهر وعاش في تركيا وسورية وشمال العراق وبلاد الحجاز وتردد كثيرا على مصر واستقر في لبنان حيث توفي ببيروت ، فدراسته فيها توثيق لروابط الأخوة بين الأقطار الاسلامية التي كانت تعيش في اطار الوحدة الاقليمية لأنها واحدة .

ثالثا : ان يوسف النبهاني تعلم في الأزهر مدة سبع سنوات وكان هو النبع الاول والمصدر لثقافته ومعرفته وقد بقيت الصلة والثقة قائمة بينه وبين أساتذته وغيرهم من علماء الأزهر ، وظهرت آثارها باجازاتهم له وما قرظوا من كتبه بالاضافة الى ان الشيخ النبهاني كثيرا ما كان يهيب بعلماء الأزهر للنهوض باصلاح الامة بعد ان فسدت ولم يكن يرى صلاحها بغيرهم بالاضافة الى اكرامه للعلماء الذين كانوا يزورون بيروت وتواضعه لهم مع علو مقامه في القضاء ، وكل هذا يدل على تمجيده للأزهر ورجاله ورسالته .

رابعا : كان الشيخ يوسف النبهاني مثال العالم المسلم الذي ينظر الى الاسلام من حيث هو عقيدة وشرعية فالحسن ما حسنه الاسلام والقبيح ما قبحه الاسلام فكان يدعو للتمسك بالكتاب والسنة ناعيا على كل من يجتهد فيما ورد فيه نص عن أحدهما . ولقد عاش حياته المديدة فما عابه أحد في عقيدته وسلوكه حتى ممن ناصبوه العداء وأصبح رئيسا لأعلى محكمة قضائية في الولايات العثمانية فما حكم بغير الشريعة الفراء متحررا للحق والعدل في كل سبيل .

خامسا : بقى الشيخ يوسف النبهاني مخلصا بقلبه وعاطفته للرابطة الاسلامية بين الشعوب في دولة الخلافة العثمانية داعيا الى تقويتها بأدبه وشعره عن طريق مؤلفاته الكثيرة التي خدم بها الاسلام ليقوى في قلوب المسلمين فيزدادوا ترابطا وتماسكا وقوة ، ولقد خيل لبعض الباحثين المحدثين انه قد نسى عرويته الأيلة ولكن سرعان ما خلع السلطان عبد الحميد وظهرت سياسة التقريب فأقبل فسي حماس يذكروا بالعرب وفضلهم في حفظ الاسلام ونشرهم له وبأن الرسول عيسى والقرآن نزل بلغة العرب ونفت كثيرا القصائد الطنباية التي جعلها دعاة القومية من أناشيدهم الوطنية التي يرددونها في وجه الدعوة الطورانية كما اتخذها بعضهم تهمة قومية يلصقونها ببعض الشخصيات الاسلامية لاسقاط مكانتها لدى الدولة العثمانية مثل قوله :-

ويمت دار الملك أحسب أنها	الى الآن لم تبح الى المجد سلما
فالفيتها قد أقفرت من ربوعها	ولم يبق فيها الفضل الا توهما
حوت قوم سوء أسلموا أى نفوسهم	الى الكفر الا من له الله سلما
والفيت فيها أمة عربية	يرى القوم منها أمة الزنج أكراما
وما نقموا منا بنى العرب خصلة	سوى أن خير الخلق لم ينك أعجما
ولكن حجاب الحق أعمى قلوبهم	فلم ينظروا من خلفهم حجب العمى
بنى اللؤم انى ما تكلمت هاجيا	ولكن قلبى من جفاكم تكلمما
ولو لم يكن قصدى مديح أبى الهدى	لجرعتكم اودقتم الهجر علقما

.....

فمن يقول مثل هذا الشعر بهذه العاطفة الفياضة لا شك أنه كان عربيا مخلصا لعرويته كما كان مخلصا لاسلامه .

سادسا : نزع الشيخ يوسف النبهاني الى منهج اصلاحى عملى في حياته ، حيث دعا مشايخ الأزهر ان يتفرغوا لاصلاح الأمة الاسلامية ورد الشبهات التي يثيرها اعداء الاسلام من دعاة التجديد أو من تلاميذ الجامعات الغربية الصليبية ونبيههم

التركي

مكررة عربيا

سيرا

الى وجوب ترك الحواشى والتقارير على المؤلفات القديمة التى استوعبت جميع
مناحى الشريعة وفيها الكفاية كما انه دعا الى عدم التخلع فى علوم اللغسة
العربية والبلاغة والمنطق وعلم الكلام وغيرها مما يسمونه علم الآلة لانها وسيلة
وليست غاية اذ الخاية منها فهم الكتاب والسنة والتعبير بصورة فصيحة وصحيحة
وفى عشر ما هو موجود منها كفاية بل فوق الكفاية كما يقول •

سابقا : كان الشيخ النبهانى نسيج وحده فى آثاره الأدبية فقد خلف لنا أكثر من
ستين مؤلفا كلها فى شؤون الرسول صلى الله عليه وسلم كما خلف لنا ديوان
شعر فى المدائح النبوية لم يثبت فيه الا ما قاله فى المدائح النبوية مع جودة
شعره الذى قاله لاغراض أخرى والذى أوصى باتلافه لانه لا يحب ان يؤثر
عنه الا ما قاله فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه ظاهرة فريدة فى
تاريخ الأدب العربى كما أنه يمتاز فى مدائحه بطول النفس قله قصيده مكونة
من الف بيت وأخرى من ٧٢٥ بيتا وثالثه من ٥٥٠ بيتا وليس له قصيدة فى
مدح الرسول أقل من اربعين بيتا وهذه أيضا ظاهرة فريدة فى الأدب العربى
ومؤلفات النبهانى المنشور منها والمنظوم تعد دائرة معارف محمدية كاملة
فلا تجد شأنا من شؤونه صلى الله عليه وسلم الا وقد أفاض الشيخ النبهانى
فى توضيحه وبيانه •

وقد كان الشيخ النبهانى يهدف من هذا الى نشر مآثر الرسول وفضائله من
حيث هو الانسان الكامل والقدة الأمل وقد كان لهذا أهمية كبرى فى عصر
الشيخ النبهانى حيث وفدت الحضارة الغربية الى المشرق بأساليب مختلفه
وكان دعائهم يظهرونها وكأنها قارب النجاة من كل ما يعانىه المسلمون من
جهل وفقر ومرض ولكن الشيخ النبهانى كان ينشر فضائل الرسول ومآثره على
أنها البديل الصحيح ، ويظهر هذا واضحا فى مدائحه النبوية اذ كثيرا
ما ينبه الامة الى خطر الانزلاق وراء الكفرة وعلومهم التى لا يقصدون منها
الا افساد عقيدة المسلمين وبالتالي ضياعهم وقد ذكر بروكلمان مثل هذا فى

ترجمته للنبهاني حيث يقول * والذي تكشف عن نشاط أدبي خصب جداً صادر عن روح الاسلام القديم ابتغاء وقايتة من تيارات أوروية المسيحية (فاذا كان بروكلمان يعبر عن العلوم الحديثة الواقعة بـ "تيارات أوروية المسيحية" فان * أهل مكة أدري بشعابها * كما يقولون ورحم الله الشيخ النبهاضي الذي تنبه لهذا الخطر العظيم ولم يتنبه له من يمولهم رواد الفكر الحديث

ثامناً : وقف الشيخ النبهاضي من حملات التبشير المسيحي بدارس ومؤسساته -

الاجتماعية ووقفه صامدة أثبت فيها عزيمة وثباتاً على الحق منقطع النظير فقد كان يقف لهم بالمرصاد مدافعاً عن الاسلام مثبتاً كفايته لمعالجة مشاكل العصر وموضحاً فساد الدانتين اليهودية والنصرانية بالحجة والمنطق محذراً من أساليب مدارسهم داعياً المسلمين الى افتتاح مدارس تدرس العلوم العصرية . وينبغي أن نعلم أنه كان يحارب التبشير المسيحي ومدارسه في بيروت التي كانت مقراً للحركة التبشيرية بالإضافة الى تخطيط الدول الاستعمارية لجعلها عاصمة لدولة مسيحية .

وكذلك غلبة التيارات الفكرية الحديثة في بلاد الشام وضعف الدولة العثمانية وفقدان سيطرتها على شعوبها وتشويه صورة السلطان عبد الحميد أخيراً السلاطين العثمانيين المصدودين .

وبخلع السلطان عبد الحميد فقد الشيخ النبهاضي نصيره الوحيد ولكنه بقي ثابتاً على مبادئه لم يغيرها على الرغم من عزله من وظيفته حيث اضطر الى الالتجاء الى الخديوي عباس حلمي باشا الذي رتب له الف قرش شهرياً .

تاسماً : بقي الشيخ النبهاضي مغموراً في الاوساط الادبية على الرغم مما خلفه من ثراث أدبي عظيم في المدائح النبوية ولم أجد أحداً أقام رأسه مستقلة عنه وقد ورد ذكره عابراً في كتب التراجم فقط التي شهدت له بالفضل والمقدرة الادبية حتى شهد له بعضهم بأنه من أشعر شعراء عصره علماً بأنه عاش زمن شوقي وتوفيا في عام واحد ١٩٣٢ .

لمعالجة

فالموضوع في حد ذاته لم يتطرق اليه أحد مع أنه معروف ومشهور لدى الأوساط الصوفية .

عاشرا : لقد كان اهتمام النبهاني موجهها الى المدائح النبوية في أدبه أولا ، وكان ذلك ملفتا للنظر حيث تستدعي هذه الظاهرة مزيداً من الدراسة والبحث لمعرفة أعماق وأبعاد هذا الاهتمام الفريد .

فالمراجع ^{عالم} النبوية لم تسترع انتباه الأدباء ودارسي الأدب منذ أقدم الأزمنة ولم يحل جلاله قدرها ومكانة ممدوحها صلى الله عليه وسلم في قلوبهم ما رغبتهم عن إخضاعها لمقاييس الأدب الأخرى حفاظاً على مكانتها . وفي العصر الحديث خاض الباحثون والدارسون من الأدباء جميع مناحي الأدب بجراً ولم نجد هناك من اهتم بدراسة المدائح النبوية دراسة مستقلة واعية تناسب ما لدينا من هذا التراث الضخم الذي بدأ متصلاً من مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا لم ينقطع على الرغم من الظروف القاهرة التي مرت بالمسلمين ولم تضعفه بل كانت تزيد أواره .

ولعل ^{فيه} المدائح النبوية هو الوحيد من سائر فنون الأدب في هذا المضممار لذلك كان اهتمام النبهاني بفن المدائح النبوية ، هذا الاهتمام الذي لم يسبقه اليه غيره في العصر الحديث على أقل تقدير ، جديراً بأن يلفت أنظار الباحثين لدراسة هذه الظاهرة الأدبية المتمثلة في شخص الشيخ يوسف النبهاني .

احدى عشر : لقد أثرى الأدب الاسلامي اثراء عظيماً بما خلفه الشيخ النبهاني من مدائح نبوية نظماً ونثراً . وقد طوّع الشكل الشعري لهذا الفرض حتى استوعبت القصيدة الواحدة الف بيت والآخرى بلغت ٧٢٥ بيت والثالثة بلغت ٥٥٠ بيت ، وهكذا وفي هذا قوة ونهوض بالأدب الاسلامي الذي يسجل قيماً ويحفظ اخلاقنا السيى مدى حد بعيد .

كل هذه المشجعات والدوافع جعلتني أمضى قدماً في اختيار هذا البحث ليكون موضوعي للحصول على درجة الدكتوراة بعد أن وافق الاستاذ الدكتور /عبد السلام سرحان ان يكون مشرفاً وموجهها جزاء الله كل خير .

ولقد استغرق الحديث في هذا البحث آمادا بعيدة ، وشغل آفاقا واسعة واشتمل على أربعة أبواب وخاتمة ، وكل باب تضمن عدة فصول وأجزاء .
أما الباب الأول فكان حديثا تمهيديا وإن كان ضروريا ^{من} عصره وبيئته تناولت فيه الكلام عن فلسطين من الجوانب الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية وامتد بنا الحديث فيها لسببين .

الأول أن دراسة هذه الجوانب تعد أساسا للدراسات الأصلية عن الشيخ يوسف النبهاني ومدائحه النبوية .

يقول الدكتور شكرى فيصل (. . . .) وأن الدراسات الأدبية من هنا يجب أن تتضمن هذين النوعين من الدراسات التى يكمل بعضها بعضاً ، الدراسات الجانبية أو المساعدة والدراسات الأصلية . . . فالدراسات الجانبية تتناول هذا الذى يحيط بالظاهرة الأدبية من الثقافة والسياسة والاجتماع والاقليم وما الى ذلك والدراسات الأصلية تتناول الظاهرة الأدبية بالذات ، أعنى تتناول هذا الكاتب أو هذا الشاعر أو هذا الاثر الفنى بالدراسة العميقة والبصيرة النافذة . . . ومن تعاونهما تكون الدراسة الحققة ومن التقائهما يبرز هذا المجرى الأدبي الذى نحاول كشفه وإزاحة الضباب الذى وان عليه ^(١) . لانه

والسبب الثانى أن حياة الشيخ النبهاني امتدت من عام ١٨٤٩ - ١٩٣٢ وفى هذه الحقبة حدث الكثير من التحولات والتغيرات الاقتصادية والثقافية والسياسية التى لها أكبر الأثر فى حياة الأديب وذلك بالإضافة الى كون الشيخ النبهاني فلسطينى الأصل وفى هذه المدة بدأ اليهود يخططون رسميا لجعل فلسطين وطنهم القومى وصدر وعد بلفور وأخيرا تحقق الوعد ، وقامت إسرائيل .

(١) مناهج الدراسة الأدبية فى الادب العربى الدكتور شكرى فيصل ص (٢٣٨)

راجع ايضا ص ٢٢٧ وص ٢٣٠ .

وقد كان كل هذا نتيجة للظروف الثقافية والسياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة ، ولقد كان من المحتم ان ارسم صورة البيئة وأهلى بيانا عن جغرافية فلسطين وطبيعتها الساحرة ، وكانت مصادري في هذا الباب هي الدوريات والكتب المتخصصة مضافة الى كتب الدراسات الأدبية التي أشارت الى بعض هذه النواحي وكذلك كتب الرحلات والحفريات الأثرية وكتابات الشخصيات المؤرخة لهذه الفترة مثل الأستاذ محمد جميل بيهم ، والاستاذ محمد عزة دروزة وغيرهما •

وفي الباب الثاني: تحدثت عن نشأته وحياته وتكلمت عن مولده وأسرته وثقافته ومكانته العلمية والاجتماعية وعن شخصيته ومبادئه وكفاحه الديني •

وقد كانت مصادري في هذا الباب ما ذكره النبهاني نفسه عن شؤونه في مؤلفاته وما سمعته من والدي ومن الدكتور فاضل زيدان ومن أحفاد النبهاني وابناء عمه الذين زرتهم في بيروت ودمشق وكذلك من العلماء الذين عاشوا زمنه واحتكوا به مثل الشيخ مختار الحلايلي أمين الفتوى في لبنان وأخيه عبد الله الحلايلي الملقب بأعجوبة الدهر لا تقانه عدة علوم أو من الذين شهدوا حياته مثل الاستاذ / خير الدين الزركلي والاستاذ محمد عزة دروزة اللذين زرتهما في بيروت ودمشق •

وفي الباب الثالث: " أدبه " تكلمت عن أدبه المنشور والمنثور وأغراضه وعن شعره وفنونه بشكل عام وشهادة لادائه وأنداده له بالسبق في الشعر ، كما تكلمت عن آثاره الستى زادت عن الستين وأوضحت أهميتها من الناحية الإسلامية •

وفي الباب الرابع: " مدائحه النبوية " بسطت القول عن المدائح النبوية

وأطوارها وعن مدائح النبهاني وبواعثها وأوردت نماذج من مدائحه النبوية عارضا لخصائصه الفنية في تلك المدائح ، كذلك تحدثت عن معارضاته فيها ومركزه الأدبي بين مادحي الرسول ، وأخيرا تكلمت عن ريادته للمدائح النبوية لانه استطاع ان يجتاز

بمدائحه النبوية ما وصل اليه السابقون ويفوق ماديجه المادحون ، ومن هنا كان يحق رائد هذا اللون فنياً وان تأخر به العصر ، ولهذا كان من حقه ان يردد مع الزمن

قول أبي العلاء المعري مفاخر الزمان •

وانى وان كنت الأخير زمانم ^{لدي} لان بما لم تستطعه الأوائل هذا وقد تكشف لي ففى ثنايا البحث الكثير من الحقائق الخطيرة التى لو درست دراسة وافية لاسقطت الكثير من الافكار والمفاهيم التى تعد - حتى الان - من المسلمات لدى الكثير من الأدباء والمفكرين فى العصر الحديث •

هذا وبمنى ان أقرر اننى لم التزم منهجا معيناً من مناهج البحث لقصوره وحده عن الوصول الى النتيجة بل كان منهجى " وحدة فى الهدف وكثرة فى الوسائل " فقد أفدت من كل ما وصلت اليه من معلومات فى سبيل الوصول الى الغاية وهى ابراز المكانة العلمية والادبية للشيخ يوسف النبهانى التى اغفلها الباحثون لسبب أو لآخر • • • بعمد وبغير عمد •

ولقد تفتحت لى جوانب من المعرفة فى اثناء البحث كانت تجذبني نحوها خصوصا فى الناحية الثقافية والسياسية من خلال الباب الاول ، وفى كفاحه الدينى وشخصيته ومبادئه فى ثنايا الباب الثانى •

وفى معارضاته الشعرية للمدائح النبوية القديمة فى الباب الرابع • ولكن هدفى الاول كان توضيح صورة الشيخ يوسف النبهانى بمقدار ما يسمح به البحث دون استطراد ما أمكن •

هذا ولقد تجمعت لى مادة غزيرة لم أستطع ان أضنها البحث وأرجو صادقا ان أوفق فى اخراجها فى دراسات مستقلة • وفى المدائح النبوية تكشف لى روائع من الشعر العربى الذى قاله شعراء أفذاذ حكم عليهم بالنسيان لانهم اتجهوا بأشعارهم هذا الاتجاه •

ولعل القارئ الكريم يلاحظ اننى فى دراستى للنبهانى لم أكن متحيزاً له فى موقف من المواقف مع حبى له وشففى به وميلى اليه وعلاقتى الشديدة به •

ولعل لا أغلو اذا قررت اننى لقيت كثيرا من العنث ، وصادفت عددا من المتاعب فى السير وراء المراجع ، وتجميع المعلومات خاصة ان الشيخ النبهانى - لظروف شخصيه -

حرص على طمس معالم حياته ، وربما كان ذلك خوفا من ان يداخله عجب أو كسبرياء
كما طمس شعره في غير الدائع النبوية لانه عده من السيئات التي ارتكبها في شبابه
وأيام طيشه وجهله ، ولهذا أوصى بعدم روايته ، ولكنني عثرت على بعضه لدى الشيخ
زهير الشاويش في بيروت والشيخ النبهاني كان يث معالم حياته في أماكن مختلفة من
مؤلفاته لذلك اضطررت لقراءة جميع مؤلفاته لأقف على معالم حياته وسافرت مرتين الاولى
في ١٩٧٤/٦/١٢ الى بيروت ودمشق وعمان وبغداد وجمعت معلومات غزيرة من
مكتباتها وقابلت الكثير من الشخصيات وصورت بعض المخطوطات . ومن قابلتهم هناك
أحفاد الشيخ يوسف النبهاني الذين يعيشون في بيروت الان ومع الأسف وجدتهم لا يعرفون
شيئا عن أحوال جدهم ذلك أن والدهم محمد شمس الدين توفي عام ١٩٣٦ فباعه
السنين الطويلة بينهم وبين جدهم خصوصا وقد أنغمروا في مصارعة الحياة وقسوتها لان
والدهم لم يرث عن والده شيئا بل حدثني المهندس يوسف النبهاني - الحفيد - ان
الله سبحانه قد استجاب لدعوة جدهم وهو على فراش الموت حيث قال " اللهم لا تفتني
ولا تفتن أحدا من ذريتي " وفي حياته جعل حق طبع مؤلفاته لجميع المسلمين .

وقد عدت من هذه السفرة الاولى في ١٩٧٥/١/١٥ ثم عاودت السفر في ٧٦/٢/٢
الى دمشق وبغداد وعمان وعدت ثانيه في ١٩٧٦/٤/٥ .

وأمام اتساع دائرة البحث وتشعب جوانبه حدثني النفس كثيرا بالتوقف . ودفعني
الى ترك البحث في هذا الموضوع لصعوبة الحصول على مصادره ولأنني لم أجد أحدا من
الباحثين كتب عنه ولو بصورة أولية . حتى يمهّد لي معالمة . واتجنب البدء من الصفحة
وهو أمر صعب شديد ولكن استاذي المشرف رفض هذا التراجع بكل حزم وحسم وشجعني
على المضي قوما في الكشف عن هذه الشخصية الاسلامية الفذة التي حرص أعداء الاسلام
من أدباء النصاري وغيرهم على طمسها وأخيرا وفقني الله بمساعدة استاذي المشرف
وتعاونه الكامل على اتمام هذا البحث واعطائه حقه في مجالات العلم والأدب وبقدري مايسمح
لي الزمان والمكان .

وسوف يجد القارئ الكريم ان هناك جوانب مختلفة من شخصية النبهاني في مدائحه
النبوية يستحق كل جانب منها أن يستقل ببحث للدكتوراه .

بسم الله الرحمن الرحيم

((الباب الأول))

(عصره ويثته)

الفصل الاول :

الصورة الجغرافية لوطنه :

الموقع :

تقع فلسطين في القسم الجنوبي الغربي من سورية الواقعة في أقصى الغرب من قارة آسيا على البحر المتوسط .

الحدود :

كانت حدود فلسطين زمن الانتداب البريطاني كما يلي :
من الشمال : الجمهورية اللبنانية ومن الشرق الجمهورية السورية والمملكة الاردنية الهاشمية ، ومن الغرب البحر المتوسط ومن الجنوب جمهورية مصر العربية وخليج العقبة
المساحة :

تقدر مساحة فلسطين بـ ٢٧ ألف كم مربع بين ماء ويا بسة (١) .

السكان :

لقد أدت هجرة اليهود لفلسطين الى زيادة ملحوظة في عدد السكان خلال مدة الانتداب البريطاني سنة ١٩١٩ ذلك لان مهمة الانتداب كانت في الواقع تحقيق وعد بلفور الذي يفرض على الدولة المنتدبة وضع كافة الامكانيات لاقامة الوطن اليهودي في فلسطين واهمها تسهيل الهجرة والاستيطان أما الهجرة فتبد وخطورتها اذا عرفنا أن عدد سكان فلسطين حسب التقديرات الرسمية عام ١٩٤٤ كان ١٧٦٥٠٠٠ نسمة بينهم ٥٥٤٠٠٠ يهودي (٢) وفي عام ١٩٤٨ بلغ عدد سكان فلسطين ١٩٤٣٠٠٠ نسمة

(١) يذكر الاستاذ الدباغ أن مساحة فلسطين ٢٧٠٢٤ كم مربع " بلادنا فلسطين "

ج ١ ص ح .

(٢) بلادنا فلسطين ج ١ ص ح .

حتى كونها ١٤ تطويل عمل
في قضاة ليست في صميم العمل

تحتاج الى
لا ضرورة اليها

منهم ٧٠٠ ألف يهودى بنسبة ٣٦ % من مجموع السكان بينما لم تكن نسبتهم عام ١٩١٩ غير ٨ % فقط (١) .

ونلاحظ أن زيادة اليهود عامى ١٩٤٤ - ١٩٤٨ هى (١٤٦٠٠٠) نسمة بينما زيادة العرب لم تتجاوز ٣٢ الف نسمة فقط مع ملاحظة الفارق بين الاصيل والدخيل منهما " وقد كانت هذه الزيادة هى المهمة التى كلف بها المندوب السامى البريطانى " وهو " هربرت صموئيل " وهو أحد زعماء الصهاينة فى بريطانيا فقد كانت مهمته الاولى هى العمل على تسهيل الهجرة والاستيطان لليهود (٢) .

التضاريس الطبيعية لتقسيم فلسطين من حيث تضاريس طبيعتها الى اربعة اقسام :

أولا : أ - السهول الساحلية المشرقة على البحر الأبيض المتوسط وهى سهل عكة

ب - سهل مرج ابن عامر

ج - سهل سارون

د - سهل يافا

هـ - سهل غزة

ثانيا : المرتفعات الوسطى :

أ - القسم الشمالى :

وهى عبارة عن جبال الجليل التى يتراوح عرضها بين ٤٠ - ٥٠ كم وتكاد تكون تكون تكملة لجبال جنوبى لبنان التى تقع شمالها وتمتد من شمال صفد الى جنوب الناصرة ومن سهل عكة الى سهل الحولة وتبلغ اقصى ارتفاعها فى جبل انجرمق قرب صفد ويبلغ ارتفاع قمته (١٢٠٨ م) وهو أعلى جبال فلسطين ، وفى جنوبها جبل طابور ويبلغ ارتفاعه (٦٢٢ م) وتتكون غالبية جبال الجليل من الصخور الجيرية وهذا النوع من الصخور قلما يحتفظ بمياه الأمطار ، هذا مع فقر التربة الناتجة عن تفتت هذه الصخور وجعل الانتاج الزراعى محدودا الى درجة كبيرة .

ب - القسم الجنوبى :

١ - جبال الكرمل

٢ - جبال نابلس

٣ - جبال القدس

٤ - جبال الخليل

(١) جغرافية فلسطين ص ١٠ بتصرف .

(٢) حديث الهيئة الاذاعة البريطانية صباح يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٧٧ بتصرف

ثالثا : سهل الفجور :

وهو يشمل ٥% من مساحة الاراض الفلسطينية ويتراوح عرضه بين ٤ - ١٥ كم وقد دعى بهذا الاسم لانخفاضه في معظم اجزائه عن مستوى سطح البحر . ويعتقد علماء طبقات الأرض أن هذا الانخفاض بين مرتفعات غربية وشرقية نشأ عن حركات عنيفة في القشرة الأرضية في العصور الجيولوجية وما سهل الفجور الا قطعة ضيقة من القشرة الأرضية انخفضت مئات الأمتار عن سطح البحر من جهتي الشرق والغرب وهو في أقصى شماله عن سهل الحولة يرتفع نحو مترين عن سطح البحر . وتقدر مساحة سهل الفجور بنحو مليون دونم ويشتهر مع زراعة الحبوب بالموز والنخيل والقطن وقصب السكر والثمار .

رابعا : النقب :

وهو عبارة عن هضبة يتراوح ارتفاعها بين (٥٠٠) و (١٠٠٠) م كما تبلغ مساحتها نصف مساحة فلسطين التي تشكل القسم الجنوبي منها ، ويكاد النقب يكون على شكل مثلث قاعدته الشمالية خط يمتد بين غزة والطرف الجنوبي من البحر الميت ورأسه الجنوبي العقبة ولقلة الامطار التي تسقط في هذه المنطقة تقل فيها الزراعة جدا وكثيرا ما تنحبس الامطار فيعم القحط . أما الثروة الحقيقية في هذا الجزء فهي ما يحويه من معادن وافرة أهمها الاورانيوم والفسفات (١) .

الانهار والبحيرات :

١- الانهار الساحلية وهي :

- ١- نهر الكابري
- ٢- نهر النعامين
- ٣- نهر المقطوع
- ٤- نهر الزرقاء
- ٥- نهر العوججة وهو أطول الأنهار الساحلية وتكثر على ضفافه الحدائق والرياض .
- ٦- نهر روبين
- ٧- نهر سكينر
- ٨- وادي الحسي
- ٩- وادي غزة

٢- الأنهار الداخلية وهي :

- ١- نهر الحاصباني
- ٢- نهر دان أو اللدان
- ٣- نهر بانياس
- ٣- نهر الأردن وهو أطول الأنهار الداخلية .

البحيرات :

١- بحيرة الحولة : كانت مساحة هذه البحيرة ذات المياه العذبة قبل النكبة (١٤) الف دونم وقد جففتها اليهود للاستفادة من تربتها في الزراعة ولم يعد لها من أثر الا المجرى الذى يسير فيه نهر الاردن .

٢- بحيرة طبرية وتبعد عن سابقتها نحو ٥٠ كم الى الجنوب وتكثر فيها الاسماك التى تعيش فى المياه العذبة وكان صيد الاسماك قبل النكبة مصدر عيش ورخاء لكثير من السكان العرب الذى يسكنون على ضفافها وتبلغ مساحتها (١٦٥) الف دونم وهى ذات مناظر خلابة لموقعها الاخاذ وماؤها أزرق رقيق تحيط به الجبال الشاهقة .

٣- البحر الميت : وكان يعرف قديما ببحيرة لوط وهو نهاية المطاف لنهر الاردن حيث يصب فى أقصى شماله وقد سعى بهذا الاسم لاستحالة وجود الاحياء فيه بسبب ارتفاع نسبة الاملاح فى مياهه الى درجة تجعل طعمها مرا كالملح وتبلغ مساحة هذا البحر (١٠٥٠) دونم وأقصى طوله ٧٦ كم ومتوسط عرضه ١٥ كم وأما عمقه فكبير فى الاقسام الشمالية خاصة حيث يصل الى ٤٥٠ م بينما نجده فى أقصى الجنوب المعروف بالفور الصافى ٠٠ لا يتجاوز مترا واحدا وتزداد نسبة الاملاح فيه سنة بعد سنة لأن الكمية الهائلة المتبخرة من مياهه بسبب اشتداد الحرارة على هذا الانخفاض الهائل عن سطح البحر (٣٩٢) مترا وهو أقصى انخفاض عن سطح البحر فى الكرة الارضية لا تعوضها المياه التى يصبها فيه نهر الاردن وتبلغ درجة الملوحة فيه ٢٥% بينما هى فى سائر المحيطات تتراوح بين ٢% - ٤% .

وهذه الملوحة لم تترك مجالا لادنى أنواع الحيوان وأيسر اشكال الحياة للظهور فيه فكان أن لزمه اسم " البحر الميت " ولكن هذه الاملاح التى سببت اطلاق هذا الاسم عليه هى فى الوقت نفسه مصدر ثروة اقتصادية هائلة خاصة البوتاس الذى يقدر الخبراء أن مياهه تحتوى منه على الف مليون طن والبوتاس من المواد الهامة للصناعة أما ملح الطعام فيقدر ما يوجد منه فى مياهه الف مليون طن وهذا كلة غيظ من فيض كما يوجد فى مياه البحر الميت كثير من كنوز المواد الكيماوية التى تقدر قيمتها بمليارات الجنيهات . ولذا يعد وان كان " ميتا " بالنسبة لعدم وجود الاسماك والاحياء المائية الاخرى فيه عوناً كبيراً على أفضل أنواع الحياة اذا ما استثمرت كنوزه كما يجب

الخبراء

٢٢

الينابيع :

تنتشر الينابيع في فلسطين انتشارا كبيرا وتسمى عيوننا ومن أعظمها العيون
الآتية :-

- (١) عين جارود قرب بيسان
 - (٢) عين السلط قرب اريحا
 - (٢) عين الجدى على الشاطئ الغربى من البحر الميت
 - (٤) ينابيع السهل الغربى :-
 - أ- نبع الكابر قرب عكة
 - ب- نبع كردانة شرق حيفنة
 - ج- رأس العين شمال شرق يافة
 - د- نبع قرية فراضية في قضاء صفد
 - هـ- نبع قرية البعنة في قضاء عكة وهناك عدد من الينابيع المعدنية منها
- نبع المقل ونبع الريح وهناك ينابيع معدنية في طبرية اسمها "الحارة" ينابيع
وهناك نبع "عين مالح" في قضاء نابلس ونبع "عين عصب" جنوبي
البحر الميت .

المناخ درجة الحرارة :

تقع بلادنا المفتتحة فلسطين في المنطقة المعتدلة الشمالية ولكن طبيعة تضاريسها
الارضية جعلت المناخ فيها على الرغم من صغر مساحتها متنوعا يختلف من بقعة الى
اخرى فجدده في فصل الصيف معتدلا في السهل الساحلى وأكثر اعتدالا في منطقة
المرتفعات الوسطى أما في فصل الشتاء فالجودافى نوعا في السهول الساحلية دافى
تماما في الفجر .

أ- الرياح :

شأن فلسطين شأن جميع الاقطار الواقعة في المنطقة المناخية المعروفة بمنطقة
(البحر الابيض المتوسط) أى أنها تتعرض للرياح ذاتها التى تتعرض لها
هذه المنطقة وهى :-

- (١) الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة .
- (٢) الرياح العكسية التى تهب في فصل الشتاء قادمة من البحر فتعطل أمطارها
على المرتفعات ، ولهذا يعد فصل الشتاء فصل الامطار .
- (٣) الرياح الشرقية حيث تتعرض فلسطين في أوائل الصيف الى رياح تهب من
الصحراء وتكون هذه الرياح جافة شديدة الحرارة مشحونة بالرمال والأتربة
الدقيقة الخائقة فتضايق الناس وتضر المزروعات وتساعد على نشر الامراض

ولها عدة أسماء (الخماسية) أو (الخماسينية) أو (الشلوق)^(١) .

الأمطار :

تسقط الأمطار في فصل الشتاء من هبوب الرياح العكسية ونتيجة طبيعة لذلك كانت أكثر الأماكن أمطاراً في فلسطين الجهات (الشمالية والغربية) والمناطق الجبلية وأكثرها تسقط بدون انتظام بين شهري تشرين أول ونيسان حسب مرور الأعاصير وعدم انتظامها ، هذا من حيث الكثرة والقلة ومن حيث تبكير موسمها أو تأخره مما يجعل مصير المواسم الزراعية غير مضمون الوجود أو غير مؤقت بأي من الاوقات^(٢) .

الندى :

ويتكون ليلاً لدى ملامسة الهواء المشبع بالرطوبة للأرض الأبرد ، وأكثر ما يتكون في فصل الصيف ويكثر في السهول ويقل في الأماكن المرتفعة .

الثلج :

قلما تتساقط الثلوج في فلسطين وإذا سقطت قلما يستمر طويلاً وقد حدث أن تساقط الثلج بكثرة عام ١٩٢٠ وسقادهير وافرة هدمت كثيراً من الأبنية القديمة وكسرت ألواحاً من الأشجار وسدت طرق مدينة القدس لمدة أسبوع وعطلت الأعمال فيها ولكن هذا من النادر فلا يقاس عليه^(٣) .

(١) جغرافية فلسطين ص ٣١ - ٣٢ يتصرف

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣ يتصرف

(٣) المصدر السابق ص ٣٣

- ٧ - حتى صفحة ٤٢ تفاصيل اقتصادية

الجزء الرابع (الفصل الثاني)

الحياة الاقتصادية :

فلسطين بلد زراعي من الدرجة الاولى فقد كانت الحاصلات الزراعية هـي عماد الاقتصاد الفلسطيني شأن باقي البلاد العربية وكان ثلثا أهالي فلسطين يعيشون على الزراعة وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية مليون دونم أي ثلث مساحة البلاد ومن أهم ثروات فلسطين :-

١- الثروة النباتية :

وهي :

(أ) الأحراج فقد كانت المساحة التي تكتسوها الغابات حتى أواخر عهد الانتداب ٣ % من مساحة البلاد .

(ب) المزروعات أهمها الحمضيات التي كانت تزرع على الساحل وتقدر مساحتها بـ (٣٠٠) ألف دونم وقد قدر عدد أشجار البرتقال قبل النكبة بـ ١٥ مليون شجرة زاد إنتاجها السنوي على ٢٠٠ ألف طن .

(ج) الحبوب وتعتمد في زراعتها على مياه الأمطار ويقدر متوسط ما تنتجه الأرض الفلسطينية من القمح والشعير والسمسم والذرة بـ ٣٠٦ ألف طن سنوياً .

(د) الزيتون ويصل محصوله حوالي ٤٥ ألف طن سنوياً وقد ينخفض إلى ٥ آلاف طن .

(هـ) الخضروات ومعظمها يعتمد في زراعته على مياه الآبار وفلسطين مكتفية ذاتياً منها - ما عدا البطاطس - وتوجد فيها الفواكه بأنواعها والتبغ .

٢- الثروة الحيوانية :

أهتم المزارع الفلسطيني بتربية الأبقار والأغنام والماعز ويقدر عددها بربع مليون رأس لكل منها وقد كان لقرى ومدن فلسطين الساحلية نشاط هام في صيد الأسماك خصوصاً سواحل بحيرة طبرية (١) .

(١) جغرافية فلسطين ص ٤٠ .

(٣) الثروة المعدنية :

~~أهم الثروات المعدنية في فلسطين~~
وأهمها الفوسفات والكبريت ومواد البناء وهي الصخر الكلسي والجير وهناك
الأملاح المعدنية وأهمها ملح الطعام والبوتاسيوم والكالسيوم والمنغنسيوم
وجميع الأملاح موجودة في البحر الميت .

(٤) الثروة الصناعية :

لم تنشأ في فلسطين صناعة معدنية لعدم اكتشاف الحديد والفحم الحجري
وقد قامت صناعات خفيفة تعتمد على الخامات الموجودة في البلاد وأهمها
استخراج الزيوت من الزيتون والسهم وصنع الحلوى بأنواعها وطحن الحبوب
وصناعة التبغ وصناعة الصابون والمنسوجات القطنية والحريرية وصناعة التحف
الخشبية من خشب الزيتون وهناك صناعات أخرى مثل الأسلاك والانايبسب
والمسامير وشقوق الحلاقة ولكن على نطاق ضيق (١) .

هذا وإن كانت الصفة الرئيسية للاقتصاد الفلسطيني قائمة على الزراعة ولكن
الصناعة التي نشأت فيها لا يستهان بها بالنسبة للبلاد المجاورة (٢) .

التجارة :

كان لموقع فلسطين المتوسط بين ثلاث قارات أثر في نشاط التجارة فيها منذ
أقدم الأزمنة وكانت تصل إليها البضائع من الشرق الأقصى ومن مصر والحبشة
لتنقل منها إلى أوروبا وقد كانت القوافل العربية القادمة من اليمن والجزيرة
العربية تلتقي في غزة منذ آلاف السنين (٣) .

وكان ميناء حيفا وعكة ملتقى قوافل الشرق ومنهما تنطلق السفن محملة بالبضائع
المختلفة إلى موانئ البحر المتوسط وقد كان لتجار حيفا وعكة وكلاء في فرنسا
وايطالية واسبانية ويونان وكان التجار الأجانب من أيطاليين ويونانيين
مسيطرين على التجارة الخارجية بفضل الامتيازات التي كانت تمنح لحكوماتهم

(١) جغرافية فلسطين ص ٤٣ - ٥٠ .

(٢) مجلة الطريق ج ١٦ ص ٢١ .

(٣) التعليم والتحديث في فلسطين ص ٣٥ .

الى أن صدر القرار السلطاني لعام ١٨٥٦ والذي قبل وصاية الدول الأوروبية على الاقليات المسيحية في الشرق^(١) ونحهم بعض الامتيازات فأقبل المسيحيون الوطنيون على التجارة الخارجية وساعد هم على ذلك انتشار العلم عن طريق الرسائل الأجنبية واتقنهم اللغات الأوروبية . كما أن الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية جعلها تقبل برسوم جمركية زهيدة وقد استفل موظفوا القنصليات الأجنبية من الوطنيين في المدن العثمانية والشرق عامة وكلهم من المسيحيين وظائفهم لاستيراد بضائع بأسم القنصلية وبيعها بأسمهم وذلك تهربا من دفع رسوم الجمرك أو الاسراع في ادخال السلع دون دفع رشوة وزاد من شراء التجار المسيحيين اهتمام مصانع الحرير في مدينة ليون بالانتاج اللبناني السوري عامة خصوصا ما بين ١٨٤٥ - ١٨٨٠ فكانوا هم الوسطاء لتصدير هذا الانتاج ومن خلال احتكاكهم بالاسواق الأوروبية وقد انشأت بعض الرسائل المسيحية خصوصا الفرنسية صفوفًا لدراسة العلوم التجارية . فقد استفاد عدد كبير من العائلات المسيحية من الظروف المواتية التي مكنتها من الدخول في جميع المجالات الاقتصادية الممكنة^(٢) .

هذا وقد كانت الحمضيات تشكل ٧٠٪ من صادرات فلسطين وهي عماد الاقتصاد الفلسطيني ثم الصابون والبطيخ والشعير والذرة والسهم . أما الواردات فهي المنسوجات والالات والمأجولات . والماكولات

التجارة الداخلية :

بين المدن والقرى حيث كانت تقام أسواق أسبوعية مثل سوق الاثنين في اللد وسوق الاربعاء في الرملة ويسان وسوق الخميس في المجدل وغيرها^(٣) .

(٢) التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) تاريخ فلسطين ص ٢٦٠ .

طرق المواصلات :

يوجد في فلسطين مختلف طرق المواصلات فالسكك الحديدية تمتد من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وهناك خطوط داخلية أخرى يبلغ طول هذه الخطوط ٥٨٣ كم وجميع هذه الخطوط أنشئت في العهد التركي وفي عهد الانتداب البريطاني لم يزد أي شيء وهناك موانئ مهمة في حيفا ويافا وغزة وكان في فلسطين ثلاثة مطارات هي مطار اللد ومطار غزة ومطار قلنديسة في القدس .

الاقتصاد الفلسطيني قبل الاحتلال الانجليزي :

كانت فلسطين معرضا تجاريا لسلع ومضائق دول أوروبية شأنها شأن باقي البلاد العثمانية فقد كانت المعارض التجارية المتجولة تطوف بالموانئ تعرض المصنوعات الخربية بأنواعها (١) وكانت التجارة مقيدة بسلاسل الامتيازات الاجنبية ومفسولة بأغلال المذاهب الدينية التي كانت مدعاة للتدخل الأجنبي في شؤون الدولة العثمانية وكان أصحاب المذاهب الدينية يتمتعون بامتيازات كثيرة ويعفون من دفع بعض الضرائب في حين أن المتوطن العثماني المسلم تقع على كاهله ميزانية الدولة العثمانية كلها فقد شاهد عالم الآثار لوريتت نفسه كيف أن أحد المشرفين على أملاك آل سوسق قرب الناصرة يهدم بمساعدة الجند بيت أحد الفلاحين لأنه لم يستطع دفع الديون الى صاحب الأرض كما ألقى القبض على الفلاح وتركته أسرته في العراء وعلى الرغم من أن أكثر هذه الحوادث جرى في حوالي سنة ١٨٨٠ ظلت هذه الحالة كما هي حتى الحرب العالمية الاولى (٢) وقد أدى هذا الوضع الى المجز عن السيطرة على اقتصاد البلاد بشكل عام وفلسطين بشكل خاص لكثرة المذاهب الدينية وللأطماع الاستعمارية المركزة فيها لموقعها الاستراتيجي والديني الذي افادها تقديسا من الأديسان الثلاثة .

العرفش

- (١) مجلة النفائس العصرية ج ٤ مجلد ٢ ١٩١٠ ص ٢٤٢ - ٢٤٤
- (٢) توطئه : اتخذه وطنا . أما وطنه فمحناء : واقعته على الامر ، والاولى رافقه ادق في المعنى المراد . د . عبد السلام سرحان .
- (٣) نقلا عن كتاب التعليم والتحديث في فلسطين ص ٥٣ بتصرف

ومن مظاهر هذا المجزأتها كانت غير قادرة على نشر نقودها في مملكتها
من توحيدها وترويجها بسمها القانوني . لذا أخذ كل بلد يتداولها
كما يريد وتفاوتت الاسعار وتعددت الموازين واختلفت المكاييل .

فالمسافر الذي يزور فلسطين يحتاج الى درس طويل واختبار كبير لمعرفة النقد
واسماره وفهم الموزونات والمكيلات . . فكيف به اذا ساج في جميع الاقطار
المشمانية^(١) فاذا كانت الفوضى قد بلغت هذه الدرجة في الموازين والمكاييل
والاسعار . . فكيف تكون الحالة بالنسبة للجوانب الاقتصادية الاكثر أهمية؟
أضف الى هذا أن الضرائب كانت تجبى بالزاد العلى مما يعطى الوالى
التركي في المدينة وأمرء الاقطاع في القرعة الحرة في استرداد ما دفعوه من
اتاوات للحكومة من الفلاحين وزيادة . . .

القرعة

وتصور كتب الرحالة أوليفنت ماسى حالة الفلاحين في المقدين الثامن والتاسع
من القرن التاسع عشر أدق تصوير فقد حدثه الاهالى عن فقرهم الزائد وشاهد
هو نفسه نفوذ الملتزمين واضطهادهم للفلاحين وتأمر شيخ القرية مع المسلّم
في اقتار القرويين وسلب الارض منهم مع اعطاء الشيخ حصة منها^(٢) .

والرحالة أوليفنت أرسلته وزارة الخارجية البريطانية لدراسة امكان استيطان
اليهود في فلسطين فدعا بحماس لهذا التوطين على الرغم من تقديره للفلاحين
العرب الا أن النظرة الاستعمارية أوجت له بامكان الاستفادة من هذه اليد
العاملة في المزارع المقبلة وأما المشاعر النصف الحضرية فيمكن عزلها كما حصل
في الولايات المتحدة وكندا^(٣) .

(١) تاريخ فلسطين ص ٢٥٧ - ٢٦٠



الاقتصاد الفلسطيني بعد الاحتلال الانجليزي :

لقد تبدلت الأحوال في فلسطين بعد احتلال الانجليز ونشطت الصناعة نشاطا ملحوظا وتركزت بأيدي عدد قليل من أصحاب رؤوس الاموال لأنها اتجهت نحو الاحتكار وتركز الثروة وقد أصبحت نسبة عدد المشروعات الصناعية الكبيرة في فلسطين عام ١٩٣٧ ٢٧,٧% من مجموع الصناعات ونسبة المشروعات الصناعية الصغيرة ٧٢,٣% ونسبة عدد العمال المشتغلين بالصناعات الكبيرة ٧٣% وفي الصغيرة ٢٧% وقد بلغ عدد المؤسسات الصناعية في فلسطين عام ١٩٢٩ (٢٤٧٥) مؤسسة وزاد العدد الى (٦٠٦) عام ١٩٣٧ وتضاعف رأس المال السي خمسة أمثال وتضاعف الانتاج الى أربعة أمثال .

وقد أصبحت فلسطين مركزا لتوظيف رؤوس الاموال الاجنبية وأنشئت عدة بنوك منها البنك الانجليزي الفلسطيني والبنك الصناعي وبنك العمل .

وقد كانت تشترط هذه البنوك الاشراف على المؤسسات الصناعية لاجل مدها بالقروض اللازمة .

وبعد الحرب العالمية الثانية أنشئت مصفاة البترول في حيفا وقد تحسن الاقتصاد في اثناء الحرب الثانية نتيجة لاختفاء املاح البوتاس التي تصنع منها المفرقات فتضاعف دخل الفلسطينيين منه وارتفع سعره الى أربعة أمثال (١) .

وكان نصيب العرب من هذه الصناعات قليلا فنسبة المشتغلين في صناعة الصابون العربية ٥% من السكان وقد كانت السياسة البريطانية تشجع الى دعم الصناعات اليهودية عن طريق تهيئة الظروف الصعبة أمام الصناعات العربية (٢) وقد بلغت أرباح شركة (تنوفا) التي كانت تحتكر الاتجار في المنتجات الزراعية في المنطقة اليهودية مليوناً من الجنيهاً الفلسطينية وقد كانت الصناعات الفلسطينية تقس تحت السيطرة الملكية للرأسمال الاجنبي .

فقد كانت شركة بوتاس فلسطين انجليزية ومالكة لشركة فلسطين للكهرباء ، وكان الاشراف على مالية البلاد من عدة شركات بنكية معظمها انجليزية وكان المسيطر

(١) مجلة الطريق مجلد ج ١٩ ص ٤٠٣

(٢) مجلة الطريق مجلد ٥ ج ٤ ص ٢٦ - ٢٧ .

الفعل على تداول النقد في فلسطين هو (بنك باركليز) في لندن (١).

ولكن هذه النهضة الاقتصادية لم تستفد منها البلاد كثيرا لانها كانت موجهة لخدمة القضية الصهيونية من اولها ومن جهة أخرى كانت استثمارا انجليزيا لأجل الربح وليس لانعاش البلاد وتقدمها اذ أن البلاد لم تكن سير على سياسة اقتصادية سليمة " اذ أن دخول السلع الحديثة سوق فلسطين وتقبل الناس لهذه السلع وما نتج عنه من تغيير في الاستهلاك أجبر العديد من المصانع على اقفال أبوابها وترك العديد من الحرفيين لعلمهم ، كما ان السياسة الاقتصادية الاستعمارية أقلت أبواب الأسواق العربية المجاورة أمام الصناعة الفلسطينية التقليدية ويؤكد تقرير سيمسون هذا الوضع .

(وفي الوقت ذاته كانت البطالة منتشرة بكثرة آنذاك بين الصناع العرب (٢) وتفاقت الحال بعد ١٩٣٠ اذ بدأت العصابات الصهيونية بتشريد آلاف العمال العرب لتشغيل العمال اليهود مكانهم وأكثرهم من المهاجرين الجدد ونتج عن هذا الوضع انخفاض في الاجور نتيجة المناقصة الكبيرة بين العمال)

ولتكوين صورة واضحة عن الوضع من مصادر أصيلة يستحسن الاعتماد على تقرير سيمسون عام ١٩٣٠ وشهادة جورج منصور أمام اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ .

يقول الخبير سيمسون في تقريره " أمام هذه المعلومات المستقاة من مصادر مستقلة لا مناص لنا من الاستدلال بأن البطالة بين العرب في الوقت الحاضر أصبحت من المظاهر الخطرة في حياة البلاد الاقتصادية ولقد عرض على أناس معلومات كثيرة من تلقاء أنفسهم عن حالة أجور العمال من العرب فظهر لى ان البطالة قد أثرت في مستوى المعيشة وهذا أمر طبيعي بين العمال غير المنظمين ومستدل من هذه المعلومات على أن أجرة الصناع الحاذقين والنجارين والنحاتين قد انخفضت نحو ٥٠% وأصبح الصانع الداهر يشتغل بـ ١٥ قرشا الى ٢٠ قرشا في اليوم اما العامل الفلاح فيقتنع بشمانية الى عشرة قروش وقال لي حاكم مقاطعة القدس ان أسعار العطاءات لمناقصة بلدية القدس في سنة ١٩٣٠ كانت نصف أسعار سنة ١٩٢٩ وقد نجم هذا النقصان في الأكثر عن

(١) مجلة الطريق مجلد ٤ جزء ١٦ ص ٥ - ٦ = ٢١ - ٢٢

(٢) تقرير سيمسون ص ١٩٢

التعليق

عن سقوط أجر العامل العربى ومن يسمع أقوال العمال العرب يتأثر لآحوالهم ويرثى لهم فقد كان كثيرون منهم فى الايام السالفة يتمتعون بقسط وافر من البحبوحة والرخاء ^{فما} تأحوالهم فى السنوات الاخيره (١) .

اما شهادة النقابى جورج منصور فكانت دقيقة وشاملة تعطى صورة محزنة لوضع الطبقة العاملة الكادحة ، فقد جاء فى التقرير الذى قدمه :

" فقد قمنا بإحصاء آخر فى شهر تشرين الثانى نوفمبر سنة ١٩٣٦ لآلف عامل فى يافا لمعرفة معدل دخل العامل الشهرى فحصلنا على النتائج الآتية :-

٧٥٠ عاملا دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٢٧٥٠ جنيه

٢٤٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٤٢٥٠ جنيه

١٢٠ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ٦٠٠٠ جنيه

٤٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ١٢٠٠٠ جنيه

١٥ عامل دخل العامل منهم الشهرى يقل عن ١٥٠٠٠ جنيه

وقمنا بإحصاءه ^١ آخر لمعرفة نسبة المدينين فوجدنا أن ٩٥% من العمال مدينون . أما لأصحاب الاعمال أو لأصحاب الحوانيت . . وقد تساءلنا كيف يمكن للعامل أن يتدبر أمر معيشته على الرغم من ضآلة هذه الاجور فوجدنا أن الاسرة فيها عددا من الافراد المنتجين وهؤلاء جميعا يتعاونون فى الانفاق على البيت واذا كانت الاسرة خاوا من الافراد المنتجين فان المرأة وأطفالها يشتغلون خدما فى البيوت وأجرة المرأة الشهرية تبلغ من جنيه الى جنيهين والولد من ٢٥٠ ملجم الى جنيه . أما تكاليف المعيشة فى يافا فغالية جدا وقد قدرت الحكومة النفقات التى تحتاجها الاسرة المتوسطة من عشرين مادة غذائية ضرورية فوجدت انها بلغت ٥٠ هـ جنيهات واذا اضفنا الى هذه ثلاثة جنيهات للسكن وجنيها ونصفا للملبس وجنيهين للنفقات الإضافية (التسلية / المرض / النقليات) وجدنا الاسرة المتوسطة تحتاج الى (١٥٠٠ هـ / جنيه) على أقل تقدير وهذا يؤكد أن ٩٨% من طبقة العمال يعيشون فى حالة دون الوسط بكثير وهذا الرقم يفسر أيضا السبب فى اتخاذ العمال السراويل والتخاميس

مسكاً لهم والاكتفاء بالمواد الغذائية الفقيرة طعاماً لهم^(١) .

ولا بد من القول أنه منذ اليوم الذي وضعت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني انتهجت البلاد سياسة اقتصادية واجتماعية يمكنها من تطبيق نصوص وعد بلفور التي تلزم الدولة المنتدبة بوضع فلسطين في "أحوال تمكنها من إقامة الوطن القوي لليهود في فلسطين وكانت أولى تلك المحاولات أن عينت "هربرت صموئيل" مندوباً سامياً لبريطانية في فلسطين وهو أحد زعماء الصهيونية في بريطانيا . وتحت وطأة الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها البلاد أمرت الحكومة بتكوين "لجنة لدراسة أحوال المزارعين الاقتصادية في فلسطين . لتقدم تقريرها السنوي إلى جامعة الأمم^(٢) برئاسة و . ج . جونسون . ل أندروز مفتش منطقة نابلس و . أ . ت . أ . ليز مفتش منطقة حيفا وغيرهم من كبار الموظفين الانجليز في فلسطين . وقد نشر الاعلان عن اللجنة في الجريدة الرسمية عدد ٢٥٨ المؤرخ في "ايار سنة ١٩٣٥"^(٣) وقد تجولت اللجنة في مختلف انحاء فلسطين وأقامت دراستها على القرى المذكورة في احصاء ١٩٢٢ وعدد لها ٨٤٤ قرية وقد ورد في ذلك الاحصاء أن عدد سكان فلسطين يبلغ ٧٥٧١٨٢ نسمة منهم ٣٨٩٥٣٤ من سكان القرى عدداً مناطق العشائر وتبين اللجنة أن معدل الزيادة السكانية في الريف بلغت $\frac{1}{3}$ ٣٣%^(٤) .

(١) الشهادات الاساسية أمام اللجنة الملكية في فلسطين ص ٢٨٧ - ٣٠٢

(٢) النظام الاقتصادي في فلسطين سعيد حماد المقدمة

(٣) حكومة فلسطين تقرير اللجنة التي عينت لدراسة حالة المزارعين الاقتصادية في فلسطين والتدابير التي تتخذها الحكومة بشأن الضرائب بالنسبة لتلك الحالة

(٤) المصدر السابق ص ١

ونحن لا يمكننا في هذا المقام ان نفصل ما أوردته اللجنة من مختلف التقارير عن أحوال المزارعين في الريف الفلسطيني ولذلك نكتفي بالإشارة إلى التقارير التي تبين المعوقات القائمة في طريق تقدم المزارع الفلسطيني وأهمها الضرائب الفاحشة ونظام ملكية الأراضي ثم إهمال الدولة للمزارع من حيث تقديم القروض إليه أو إرشاده للزراعة الحديثة ، والمنافسة الأجنبية لمحاصيله وقد ختمت اللجنة تقريرها بتوصيات أهمها :-

أ : على الحكومة أن تعتمد على القيام بتجارب زراعية على مرأى من المزارعين تدرب القرويين على اتباع أساليب زراعية أفضل من التي يتبعونها الآن وأن تعين هيئة استثمارية لإيجاد الأسواق يعهد إليها بإسداء النصح والمشورة للمزارع بشأن تصريف حاصلاته وبيعها .

ب : وجوب تأسيس هيئات تعاون في القرى يعهد إليها بإصدار قروض زراعية وبعد ثذ شراء اللوازم الزراعية وتحسين الزراعة في القرى وإيجاد أسواق للحاصلات وتعين خبير لإسداء النصح للحكومة بشأن الطرق التي تؤدي إلى تحقيق هذه الغاية .

ج : التخفيف قليلاً عن دافعي الضرائب في الأرياف اعتباراً من أول شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٠ بتنزيل ضريبة العشر إلى $\frac{1}{4}$ ورفع ضريبة الأملاك في المدن لتلأفي هذا النقص .

د : على الحكومة أن ترصد في سنة ١٩٣٠ مائة ألف جنيه فلسطيني لتوزيع قروض قصيرة الأجل على صغار المزارعين لتمكينهم من زراعة أراضيهم فسي الموسم المقبل (١) .

هذا بعض ما أوردته اللجنة بخصوص المزارع العربي في فلسطين . ويجدر بنا أن نذكر ما أوردته اللجنة بخصوص المزارع اليهودي لتكون الصورة الاقتصادية شاملة .

ذكرت اللجنة تحت عنوان حالة المزارع اليهودية المالية قبل ١٩٢٩ :

٩ ومن رأينا على العموم أن الدخل الاجماعي للمزارع اليهودي هو تقريبا ضعف المزارع العربي من أرض بنفس المساحة ومن الجهة الأخرى نجد أن ما ينفقه على الانتاج وعلى معيشته يزيد كثيرا على ما ينفقه المزارع العربي وبالتالي نرى المزارع اليهودي ملزما بإيجاد مبلغ كبير من المال لتحسين أرضه ولدفع فائده القروض التي استدانها ثم ان الزراعة اليهودية منظمة تنظيمًا جيدًا كما أن لدى المزارع اليهودي طرق عديدة - للاستقراض ^{والاستثمار} ~~والاستثمار~~ نرى حالة المزارع اليهودي ميسورة ولديه العدد والأدوات الزراعية لتحسين زراعته أكثرهما ^{منها} هي ميسورة لدى المزارع العربي ومستوى معيشته أرفع وهو يتمتع بوسائل اجتماعية وثقافية مجهولة لدى المزارع العربي (١) * (١) .

عبء الضرائب على المزارع اليهودي :

جاء في تقرير اللجنة * فان ما يدفعه للمزارع اليهودي من الضرائب بالنسبة الى دخله الصافي أقل مما يدفعه المزارع العربي بالنسبة الى دخله الصافي وهذا رأى مزارعي اليهود في المستعمرات يؤيد هذه النظرية فقد أفهموا اللجنة أنهم لا يعدون الضرائب نبذة مهمة من نفقاتهم بالنسبة لغيرهم (٢) *

حالة المزارع اليهودي المالية في الوقت الحاضر :

* لأمندوحة لنا عن القول بأن المزارع اليهودي كالمزارع العربي قد عانى من هبوط أسعار الحاصلات في المدة الأخيرة ومع ذلك قيل في إحدى المستعمرات ان هبوط الأسعار عاد بالفائدة وليس بالضرر على المزارعين ذلك لان أسعار الحاجيات الأخرى هبطت أيضا وأصبح في وسع المزارع أن يحسن مستوى معيشته مع هبوط قيمه حاصلاته .

مثال ذلك متى ارتفع ثمن البيض يشتر المزارع أنه مضطر الى بيعه جميعه أما متى كانت رخيصة فانه يبيقيها له ولأسرته * (٤) (١)

أقول هذا صحيح بالنسبة للمزارع اليهودي لأنه يجد الوكالة اليهودية تسدد له نفقات معيشته الأخرى متى احتاج لذلك فانه يغتبط بهبوط ^{الأسعار} ~~الأسعار~~ لأن الحاصلات ستكون من نصيبه ونصيب عياله أما المزارع العربي فليس له مورد آخر سوى حاصلاته .

كما أرسلت الحكومة الانجليزية أيضا الى فلسطين لجنة للبحث في تشكيات إدارة فلسطين وفي الطرق التي تؤمن زيادة الواردات ونقص النفقات . فكتب الأستاذ محمد

(١) تقرير اللجنة التي عينت لدراسة حالة المزارعين الاقتصادية في فلسطين ص ٦٩

(٢) تقرير اللجنة ص ٧٠ . أقول لانه ليست الضريبة بحد ذاتها هي العبء بل

عزة دروزة عدة مقالات جريدة الجامعة العربية ثم جمعها في رسالة واحدة تحت عنوان " كتاب مفتوح الى اللجنة المالية الانجليزية " وقد نوه في مقدمة الكتاب بالآمال المعلقة على اللجنة منيها الى الضرائب الفاحشة التي يدفعها المكلف الفلسطينى والتي ^{هي} أكثر من ٦٠ ٪ من الانتاج العام طالبا موازنة الوضع المالى فى سورية ولبنان لتشابه الظروف السياسية والاجتماعية والمعيشية والعمرانية مع غرض النظر عما فى سورية من أرض واسعة ومدن كبرى مما يجعلها أقوى اقتصادا من فلسطين ثم يدعو الى المقايسة بين ما هو موجود فى فلسطين وما هو موجود فى سورية ولبنان من تشكيلات ومرتبات ونفقات وايرادات وضرائب وسكان وثروة وانتاج .

مقايسة بين ميزانيات سورية ولبنان وفلسطين :

يقول الأستاذ دروزة " وأريد أن أقدم بعض نماذج لترى - اى اللجنة - كم أن الفلسطينيين معذرون حينما يعتقدون أنهم مظلومون جدا دون اخوانهم فى سورية ولبنان وأن أعباءهم المالية أشد جدا من أعباء أولئك الاخوان " أريد أن أقول ان عدد سكان لبنان حسب آخر احصاء ٠٠٠ ٨٢٥ نسمة تقريبا وسوريه ٠٠٠ ١٦٣٠ نسمة تقريبا وفلسطين ٠٦٤ ٨١٦ نسمة تقريبا كما جاء فى الكتاب الأزرق سنة ١٩٢٩ عدا البدو والرحل والى هنا نرى أن عدد سكان فلسطين يتقارب مع عدد سكان لبنانى .

ان اعتمادات نفقات الحكومة اللبنانية ١٩٢٩ (١٠١٤٧٨٤ ر) جنيه فلسطينى ، واعتمادات الحكومة السورية ١٩٢٩ (١٨٠٨٥٢٢ ر) جنيه فلسطينى .

واعتمادات نفقات حكومة فلسطين ١٩٢٩ (٢٧٨٣٦٤٦ ر) جنيه فلسطينى . واذا أنزلنا من هذا الرقم اعتمادات السكك الحديد التى ليس لها مقابل فى ميزانية لبنان وسورية ونسبة (٣٩٢ ر) وكذلك دائرة المكوس والجمارك (٦٦٨٠٤ ر) والبالغة فان الصافى لاعتماد حكومة فلسطين عام ١٩٢٩ هو (٢٣٢٤٦٥٠ ر) جنيه سكانها ضعف سكان فلسطين بنسبة ٣٠ ٪ للبنان و ١٢٩ ٪ لسورية ومضاعفة هذه

مقدار دخل المزارع هو الصب فان اسرائيل اليوم تتقاضى ٧٥ ٪ من الايراد العام كضرائب ومع هذا فان مستوى المعيشة فى اسرائيل مرتفع جدا .

(٢) تقرير اللجنة ص ٧١ .

النسبة لتضاعف السكان تصبح ٢٥٨% واطن أن هذه المقاييس البسيرة كافية لتصوير الظلم الذي كان يقع على أهل فلسطين من جراء النفقات التي تتقاضاها منهم ادارة حكومتهم (١).

اسباب الفروق بين نفقات سورية ولبنان وبين فلسطين :

أولا - رواتب الموظفين :

في لبنان ٤٧ موظفا فرنسيا رواتبهم ٤٣٩ر٢٠ جنيه فلسطيني ١٩٢٩ وفي فلسطين ٢١٣ موظف انجليزي عدا الموظفين اليهود من الانجليز رواتبهم ١٦٠ الف جنيه فلسطيني عدا ميزانية المندوب السامي وموظفي دائرته مع التخصص الاضافي مبلغ ٨٧٤٠ جنيه فلسطيني فيكون مجموع ما يتقاضاه الموظفون الانجليز الكبار ١٧٠ الف جنيه فلسطيني تقريبا فتكون نسبة الموظفين الانجليز في فلسطين الى ما يوجد في لبنان ٤٥٣% والى ما يوجد في سورية ٢١٥% .

واذا ضاعفنا النسبة تصبح ٤٣٠% أي ٠٠ ان راتب أعلى قاضي فرنسي في سورية ١٠١٤ جنيه فرنسي وهو أعلى راتب يتقاضاه موظف فرنساوي في سورية ولبنان على الاطلاق وأعلى راتب يتقاضاه قاضي فرنساوي في لبنان هو ٦٣٧ جنيه فلسطيني بينما راتب أعلى قاضي انجليزي في فلسطين ١٦٠٠ جنيه فلسطيني وفي مصلحة الأملاك والاراضي راتب أعلى موظف في سورية ٦٧٣ جنيه وفي لبنان ٧٢٣ جنيه وفي فلسطين ١٤٠٠ جنيه^(٢) وهكذا يستمر الاستاذ دروزة في سرد فروق الراتب بين سورية وفلسطين ولبنان ثم يقول الاستاذ دروزة .

”ويمكنك أن تقيس رواتب الموظفين الآخرين بهذا المقياس طبعا وأحسب أن يلاحظ القارئ انني ذكرت الرواتب مجردة عن العلاوات وبدلات السكن وبدلات الاغتراب وعليه أن يقدرها ما يتقاضاه الانجليزي والفرنسي من ذلك بحسب ما يوجد بين رواتبهم من فرق عظيم ويكفي ان اذكر مثلا واحدا على هذه العلاوات وهو ان السكرتير العام لفلسطين الذي يتقاضى ١٦٠٠ جنيه فلسطيني يتناول ايضا ١٢٤٧ جنيه باسم بدل اغتراب بينما لا يوجد الا شيء زهيد جدا في ميزانية لبنان وسورية يصرف علاوات للموظفين الفرنسيين “ مثلا تعويض سكني لرئيس محكمة ١٠٣٣ ليرة سورية وتعويضات أسرية ٩٨٣ ليرة لخمس قضاة فرنساويين في ميزانية

(١) كتاب مفتوح الى اللجنة المالية الانجليزية ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٨ - ١٠ .

١٩٢٩ وكذلك يلاحظ أن دائرة المفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان وما يتبعهما من تشكيلات خاصة به وموكلاؤه أو مندوبين له خارج بيروت التي هي المفوضية يتقاضى مخصصاتها من ميزانية الدولة الفرنسية لا من خزانه الحكومة الوطنية بينما تدفع مالية فلسطين كل شيء لكل موظف انجليزي سواء في ذلك دائرة المندوب السامي أو غيرها من الدوائر . (١)

وبعد أن يوازن الأستاذ دروزة مديري الناحية والقائمات والأطباء وغيرهم بين فلسطين وسورية ولبنان يقول : الموازنة :
" وأظن أن هذه الأمثلة تكفيثا مثونه موازية ذكر أمثلة ومقاييس أخرى للدوائر الأخرى فان مقايضة الرواتب والدرجات في كل دائرة من دوائر فلسطين مع مثيلاتها من دوائر سورية ولبنان تؤدي بنا الى النتيجة نفسها وهي أن رواتب فلسطينيين مع لحقاتها مرة ونصف مرة ومرتين ونصف مرة أحيانا على مثيلها التي في درجتها في سورية ولبنان ثم يستمر الأستاذ دروزة في عمل مقاييس بين لبنان وسورية وفلسطين في تشكيل الحكومة وعن موظفيها وفي الأمن العام ونفقاتها الفاحشة موازنا بين رواتب الانجليز والفلسطينيين ممن هم في الرتبة نفسها وكذلك سائر دوائر الحكومة ثم تطرق الى عجز البلاد المالي وأن هذا العجز يسدد من الضرائب الفاحشة التي يدفعها الشعب دواوين بين سمر الحاجيات في فلسطين وسورية ولبنان وكذلك دواوين رسوم المحاكم الفلسطينية والسورية واللبنانية ثم يوضح الأستاذ دروزة في خاتمة التقرير مفاصلة الانجليز عندما يواجهون بهذه الحقائق حيث أن الضرائب قد وصلت الى ٦٠٪ من انتاج البلاد وهم يقولون ان النسبة نفسها تؤخذ أيضا من الانجليز في بريطانيا بل وزيادة وعلى حد المثل " من ساواك بنفسه ما ظلمهم " يقول الأستاذ دروزة " ان هذه الحجة مفاصلة إذ أن فلسطين يجب أن تقاس بأمثالها من حيث الظروف والثروة والقدرة على الانتاج مثل سورية ولبنان .
أما جزر بريطانيا فانها تبغني لها خيرات امبراطورية تبلغ ٤٠٠ مليون نسمة وفيها من المصانع والمعامل والمشايع ما يفندي أسواق هذه الامبراطورية العظيمة وهناك فرق بين انسان يكسب الف جنيه فيدفع مائتين والف جنيه ويبقى له ٨٠٠ جنيه تقوم ياود ^١ وزيادة وبين رجل يكسب أربعين فيدفع منها ٢٤ ويبقى له ١٦ جنيه لا تكاد تبلغ كلفه قوته علما بأن أكثر الناس ^٢ وهو أسر العمال والمزارعين لا يزيد معدل كسبها عن ٣٠ جنيه او ٢٠ جنيه فاخذ ٦٠٪ من هذا الكسب الزهيد (١) المصدر السابق ص ١٠ - ١١ يتصرف

هو في منتهى الظلم والقسوة التي لا تجيزها أي عاطفة إنسانية^(١) .

اقول ومن خلال هذه الظروف الاقتصادية الصعبة خطط الانجليز واليهود لامتلاك الاراضي الفلسطينية فقد كتب أو سبشكين وهو من زعماء اليهود في إحدى مجلاتهم عن اقتداء اليهود للاراضي المقدسة فقال :-

” فان لم نستملك نحن أيضا اراضي فلسطين ونستثمرها بأنشياء القرى فلا أمل في أن نجعل فلسطين وطننا لنا وستبقى عربية وليس صعبا على اليهود عاجلا أو آجلا أن يحتكروا التجارة والصناعة والتعليم أما امتلاك الاراضي فليس فسي وسعنا انما هو منوط بالبائع اننا نرى العرب قد انتهى فكرهم الى صالحهم واصبحوا يشعرون بكيانهم ومن ثم نحسب كل تأخير في امتلاك الاراضي الفلسطينية جرما لا يفتقر الى مساحاة الارض في فلسطين تبلغ عشرين مليون من الدولارات للحكومة ٣٠ % ، ٣٥ % املاك الفلاحين ، ٣٥ % للملاكين الاغنياء اما من اذن فئة الافندية والاغنياء الذين لا يابون بيع املاكهم ان وجدوا ربحا في بيعها وغايتنا خاصة امتلاك سهل اسدرلون ” مع ابن عامر ” وساحل البحر والبلاد الممتدة بين يافا والقدس من هؤلاء الافندية^(٢) .

من هنا يظهر لنا ان مستقبل الاراضي الفلسطينية كان بأيدي الانجليز وكبار الملاكين وقد تسربت املاك الحكومة وأملاك الافندية من العرب خارج فلسطين أمثال سرسق والجميل وغيرهم الى اليهود واشتروا ارض الناصرة من الحكومة^(٣) .

اما كيفية انتقال هذه الاراضي الى سرسق والجميل وغيرهم من العائلات النصرانية فهي في منتهى الخرابسة .

(١) كتاب مفتوح الى الحكومة الانجليزية ص ٢٦ - ٢٧ بتصرف

(٢) نقلا عن مجلة المشرق عدد ٢ ص ٢٧ سنة ٢٣ شباط ١٩٢٥

(٣) تاريخ الناصرة ص ٩٧

حدثني الشيخ طه المولى المستشار الصحفي والثقافي لسفارة تشاد في بيروت
في ١٣ / ١ / ١٩٧٥ فقال :-

"وذلك ان الدولة العثمانية منذ ان بدأت الدول الغربية في التسلط عليها
وحماية الاقليات الدينية فيها حتى ان هذه الاقليات كانت تعفى من دفع الضرائب
وعند ما كان يأتي محصل الضرائب لأخذ حق الدولة من المحصول الزراعي كسان
الفلاحون يتهربون من دفع هذه الضرائب بادعاء ان هذه الاراضى ليست ملكهم
وهى ملك سرسقى مثلاً وما هم الا فلاحون لخدمة الارض كان الموظف المختص يسجل
هذا فى سجلاته حتى عرفت هذه الاراضى أنها ملك لهذه الاسر بصفة رسمية
عند الدولة ولما خضعت فلسطين للاحتلال الانجليزى انتقلت هذه السجلات والقيود
اليهم ولما بدأت المنظمات اليهودية فى امتلاك الاراضى لتكوين مستعمرات لتثبيت
أقدامهم توجهوا الى هذه الاسر فى لبنان والتي فوجئت بأن لها اراضى واسعة
فى فلسطين وتم البيع فما كان من الانجليز الا أن طردوا هؤلاء الفلاحين الأبرياء
من اراضيهم التي فوجئوا أيضا ببيعها وليس لهم ذنب الا سدا جنتهم " .

ويخبرنا أوليفانت فى أحد كتبه ان بيت سرسقى اشتروا عام ١٨٧٢ م من ابن عامر
بسم ١٨ الف جنيه ولم يدخل صندوق الدولة العثمانية الا ستة آلاف جنيه بسبب
الرشوة والسرقة وقد دخل هذه الاسرة السنوى من السهل وعن طريق استغلال
الفلاحين ٢٠ الف جنيه وقد اشترى هذا السهل الصندوق القومى اليهودى فى
أوائل العقد الثالث من القرن الحالى (١) .

وهناك بعض التجار الذين استفلوا بالدعوة القومية والاصلاحية فى سبيل
اطماعهم ولو دققنا النظر فى أسماء أعضاء الجمعية الاصلاحية فى بيروت عام ١٩١٣ م
لوجدنا بينها أكثر التجار الكبار الذين أدوا دورا كبيرا فى الصفقات التجارية
والمالية وكانت قد الحت فى طلب اللامركزية واحلال اللغة العربية محل اللغة
التركية .

بل ان بعض رجال الجمعية العمومية مثل سليم على سلام ومختار يهيسم
وآخرين استغلوا ايجابية الاتحاد بين في الاستانة نحو مطالبهم بالحصول على
الزام تجفيف مستنقعات الحولة ومساحتها ٥٠ ألف دوغم وبعد الحرب طلب
سليم سلام من الأمير فيصل التدخل خلال اقامته في لندن لدى الحكومة
البريطانية لتثبيت هذا الالتزام وتنازل في ١٩٣٤ للصندوق القومي اليهودي
مقابل مبلغ جسيم (١) .

وقد حدثني الشيخ طه الولي المستشار الصحفي لسفارة تشاد في بيروت
بأن السيد سليم سلام لما عرض عليه الصندوق القومي اليهودي شراء أراضي الحولة
بمبلغ مئة ألف ليرة اتصل بالمرحوم الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وزعيم
نضالها لأجل شراء الأراضي فاجابه المرحوم الحسيني بأن هذه الأرض ليست
ملكاً له لأنه لم يشتريها بماله ولم يرثها عن آبائه وأضاف الى ذلك ان صندوق الجهاد
الفلسطيني لا يملك هذا المبلغ ولكن الصفقة تمت مع الصندوق القومي اليهودي (٢) .

في مثل هذه الظروف الاقتصادية في فلسطين عاش الشيخ يوسف النبهانسي
وسوف نرى أن هذه الظروف قد أثرت في مسارات حياته وفي تكوين شخصيته .

(١) القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ج ١ ص ٩٥ - ٩٦

(٢) المقابلة تمت في بيروت في ١٣ / ١ / ١٩٧٥

(الباب الاول)

عصره وبيئته :

الفصل الثالث :

الحياة الثقافية :-

عاش الشيخ النبهاني زمن الخلافة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي النصف الاول منه كانت البلاد العربية التابعة للخلافة تعيش اضعف عصورها الثقافية . والى هذا يشير الاستاذ بطرس البستاني بصف حال الثقافة في زمانه سنة ١٨٥٩ وما قبلها في أسلوب تهكمي حيث يقول :-

" لو كلفت الوقوف امام سيادتك لاجل الكلام عن هذا الموضوع - الثقافة والتعليم - نحو ثلاثين سنة قبل الان لكنت أخجل . لانني حينئذ كنت التزم ان أجول في أسواق هذه المدينة - حتى لا أقول في كامل البلاد التي كانت في الأزمان السابقة مزرعة للاداب وسريرا للتمدن - وأفتش باجتهاد على من يقدر ان يقرأ مكتوبا أو كما يقال يفك الاسم " ثم يقول " وأما الآن فانه يوجد أمور كثيرة تقوى آمالنا في المستقبل ومع أننا مدينون في أكثر هذه الأمور للغرب ، يمكننا ان نرفع رؤوسنا بما وجد عندنا من الثقافة مع قطع النظر عن مصدرها " (١) .

وفي هذا القول دلالة على مدى الجهل الذي وصلت اليه هذه البلاد وفيها إشارة الى مطلع نهضة ثقافية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع الإشارة الى مصدر هذه النهضة التي كان من بواعثها :-

أولا : التعليم :

كان التعليم في الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر يكاد يكون دينيا فهناك معاهد دينية يتعلم فيها الصغار ومعاهد أخرى للكبار وكان بعضها ملحقا بالساجد وبعضها مستقلا في مبان مشيدة لهذا الغرض مع مساجد خاصة بها وكان أسلوب التعليم فيها قديما لم يتغير منذ عدة قرون بل تنحصر الى تعليم

(١) مجالي القرر لكتاب القرن التاسع عشر ص ٣٨

عصره وبيئته
صفحة ٢٨
تطوير البرداع

العلوم النقلية فقط ونتيجة للاحتكاك بالدول الأوروبية في النصف الأخير من القرن الثامن عشر والاول من القرن التاسع عشر فقد تفتحت أنظار المفكرين الى عدم كفاية هذا النوع من التعليم اذا ما أرادت الدولة أن تواكب حضارة العصر .

ولعل الضرورات الاجتماعية المتولدة عن هذا الاحتكاك هي التي أوجت بضرورة هذا التحديث في التعليم " وليس الترتيب المنطقي " .

كما ان المفروض أن الهزائم العسكرية الضالحة التي منيت بها الدولة العثمانية أمام الجيوش الأوروبية جعلتها تفكر في أسباب هذه الهزائم فوجد المفكرون أن السبب الأصلي يعود الى اختلاف نظمها وتغيير وسائلها عما في البلاد الأوروبية مما حمل رجال الحكم على اقتباس هذه النظم والوسائل لجعل الجيش قادرا على الصمود أمام الجيوش الغربية الحديثة ولما كان تعليم الفنون العسكرية الحديثة تحتاج الى معرفة الكثير من علوم الرياضة والطبيعة وشمس غير قليل من مبادئ التاريخ والجغرافية نشطت هذه العلوم في المدارس العسكرية أولا فأنشئت الاعدادية العسكرية ثم الرشيدية العسكرية ليتمكن الطالب من التأهل بالطوم الكافية ليلتحق بالمدارس العسكرية الاختصاصية التي تقوم مقام المدارس العليا التي كان مركزها عاصمة الدولة .

وقد أخذت البلاد العربية بنصيب وافر من هذه السياسة ولذلك رأينا الكثير من أبنائها يدرسون في تلك المدارس العسكرية الاختصاصية في العاصمة . أما المدارس التعليمية الحديثة " الملكية " التي لم تتسم بسمة عسكرية فلم تنشأ الا لتخريج الموظفين الذين تحتاجهم الدولة في مختلف المصالح الحكومية .

هذه هي بواعث النهضة التعليمية الحديثة - بشكل عام - في مختلف الولايات العثمانية ومنها فلسطين ومنبغى التنبيه - هنا - الى أن التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والحالية التي أنشأتها الدولة العثمانية في البلاد العربية كان يجرى باللغة التركية بوجه عام وقواعد اللغة العربية كانت تدرس في هذه المدارس بقدر ما كانت تدرس وكما كانت تدرس في الولايات التركية لانها كانت من جملة

القواعد المستعملة في التركية فكان لابد من معرفتها لفهم الآداب التركي واتقسان
الانشاء التركي ^(١) ونظرا لان الرابطة التي تجمع الشعوب العثمانية هي الرابطة
الدينية كانت سلطة الدولة وقوانينها موجهة الى المسلمين مباشرة أما الطوائف
الأخرى فقد ضعفت سيطرة الدولة عليهما في المدة الأخيرة نتيجة لتدخل
الدول الغربية في شؤونها الخاصة حتى جعلت من هذه الطوائف مركزا لطماعها
أولا ثم وسيلة للتدخل الاستعماري بحجة حمايتهم ثانيا .

التعليم الطائفي في الدولة العثمانية :-

يقول الاستاذ ساطع الحصري * ان السياسة الداخلية التي كانت متبعة في
الدولة العثمانية تعد كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية - من غير المسلمين
جماعة قائمة بنفسها * فكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة في كل ما يمت
بصلة الى الشؤون الدينية والمذهبية وكان الرئيس الديني - البطرك أو الأسقف
أو المطران - يعد رئيسا للجماعة ويعمل بالاتفاق مع * مجلس ملي * خاص
يتألف من فرعين : أحدهما * روحاني والثاني جسماني * وكانت هذه المجالس
العلمية بمثابة السلطة الشرعية في كل ما يتعلق بشؤون الكنائس والأديرة وفي كل ما
يتعلق بالاحوال الشخصية وقد جعلت الدولة العثمانية شؤون التعليم من جملة
الأمر المرتبطة بالأديان والمذاهب فحولت جميع الطوائف المسيحية والاسرائيلية
حق تأسيس المدارس وإدارتها ايضا .

ولهذا السبب أخذت الطوائف المختلفة تؤسس معاهد خاصة تعليمية بهما
وتدير هذه المعاهد كما يروق لها . وكانت هذه المدارس الطائفية في بادئ
الأمر من نوع المدارس الدينية حقيقة غير أنها تبدلت بعد ذلك بسرعة وتحولت الى
* معاهد تعليمية عصرية * بكل معنى الكلمة وكانت هذه المدارس تسير على مناهج

(١) حولى الثقافة العربية ساطع الحصري ص ٧ - ٩

خاصة بها تختلف باختلاف أديان الجماعات ومذاهبها ولا تمت بأية صلة الى مفاهيم المدارس الحكومية واتجاهاتها ، وكثيرا ما كانت تستلمهم خططها ومناهجها من المدارس الاجنبية المؤسسة داخل البلاد العثمانية أو من المدارس العثمانية نفسها وذلك حسب العلائق الدينية أو المذهبية التي كانت تربط الجماعة بتلك البلاد الاجنبية .

ولقد كانت الحقوق الممنوحة للجماعات في أمر التعليم تشمل " لغة التعليم " أيضا فكان يحق لكل جماعة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينها فكان للارمن أن يعلموا باللغة الأرمنية وللبلغار باللغة البلغارية ولذلك كان للمسيحيين العرب أن يعلموا باللغة العربية .

وهكذا نرى ان السياسة التي سارت عليها الدولة العثمانية في هذا المضمار أدت الى نتائج غريبة جدا بالنسبة للبلاد العربية . فكان نظام الجماعات السني ذكرناه خاصا بغير المسلمين فلم يمتنع المسلمون العرب بشئ من التنظيمات والامتيازات التي كان اخوانهم المسيحيون يتمتعون بها في أمور المدارس والتعليم . *يتمتعون*

ولذلك انحصرت المعاهد التعليمية المفتوحة أمام هؤلاء في المدارس الوقفية القديمة التي لم تقل أى حظ من الإصلاح وفي المدارس الرسمية التي كانت تعلم باللغة التركية في حين أن اخوانهم المسيحيين كانوا قد كونوا جماعات منظمة بأسم القانون وأسسوا مدارس خاصة بهم وجعلوا اللغة العربية لغة التعليم فيها . ولهذا السبب انتشر التعليم العربي الحديث " بين المسيحيين قبل المسلمين ولهذا السبب ايضا كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهوروا في الولايات العربية في العهد العثماني مسيحيين على الرغم من قلة هؤلاء بالنسبة للمسلمين .

ومما يلفت النظر أن المدارس الاجنبية أيضا أثرت تأثيرا مماثلا لذلك في هذا المضمار حيث انها أخذت تهتم باللغة العربية بغية اجتذاب أبناء الشعب من جهة وتسهيل التأثير فيهم من جهة أخرى ، وما انها كانت في بادئ الأمر من نوع المدارس التبشيرية عامة التي - تأخذ طلابها من غير المسلمين بوجه عام وبذا ساعدت على انتشار التعليم العربي بين هؤلاء أكثر من انتشاره بين المسلمين وقد أدت المدارس الاجنبية في العهد العثماني - دورا خطيرا في البلاد العربية حيث تأسست في بادئ الأمر على أيدي الارساليات الدينية وكانت كل واحدة من هذه الارساليات تعتمد على حماية دولة من الدول الأجنبية وتصبح واسطة لنشر لغة تلك الدولة بجانب تعليم المسلمون المختلفة من جهة وتعليم اللغة العربية من جهة أخرى غير أن تأثير هذه المدارس

لم يكن يتركز في الطلاب الذين يتهمون ويدرسون فيها بل كثيرا ما كان يتعدى ذلك لطلاب مدارس

الجماعة نفسها ^(١) لأن هذه المدارس الأجنبية كانت تزود تلك المدارس الطائفية بالكهنة والمعلمين والكتب المدرسية وكانت تواصل التأثير الى درجة ترجمة مناهج الدروس وأساليب التدريس المتبعة فيها أيضا .

وهكذا أصبحت المدارس الأجنبية من الأدوات السياسية الفعالة التي تستخدمها الدول لنشر لغتها في البلاد وبسط نفوذها على الجماعات . وقد كانت فرنسية أنشط الدول في هذا الباب فقد حسبت نفسها حامية الكاثوليك فأوفدت الى البلاد العربية كثيرا من الرسائل الكاثوليكية وأنشأت بوساطتها كثيرا من المدارس الفرنسية كما أنها أخذت تحمي وتساعد وتوجه المدارس التي تنشئها الطوائف الكاثوليكية وأنشأت عن طريقها كثيرا من المدارس الفرنسية وأخيرا حاولت أن تجتذب المسي مدارسها أولاد المسلمين وأولاد الطوائف غير الكاثوليكية أيضا . ولذلك أوجدت " الرسائل العلمانية التي تلتم " الحياء " في الأمور الدينية فلا تدخل في مناهجها أي دين من الأديان وتوافد على البلاد العربية في الوقت نفسه كثير من الرسائل البروتستانتية وكان بينها الإيرلندية والدانمركية والانجليزية والأميركية .

وكانت الرسائل الانجليزية والأميركية أغناها وأنشطها بطبيعة الحال فصارت أداة فعالة لنشر اللغة الانجليزية والثقافة الأنجلو سكسونية في بعض البلاد العربية . ومن جهة أخرى أخذت روسية وهي تعد نفسها حامية الأرثوذكسية تنشئ مدارس خاصة بالطوائف الأرثوذكسية وأنشأت مدرسة للمعلمين في الناصرة لتخريج وتنشئة المعلمين الذين تحتاج اليهم المدارس المذكورة وأخيرا وافقت المانية أيضا أثر الدول المذكورة فأخذت تنشئ بعض المدارس الألمانية في بعض المدن العربية بغية تعليم لغتها ونشر ثقافتها وبسط نفوذها فيها وقامت ايطالية أيضا بأعمال مماثلة لكل ذلك وأخذت تنشئ المدارس الايطالية تارة بصورة مباشرة وتارة بوساطة الرسائل الدينية .

ويظهر لنا من ذلك كله ان المعاهد التعليمية القائمة في الولايات العربية في أواخر السلطنة العثمانية كانت في غاية من التنوع والاختلاف : فمدارس رسمية تعلم باللغة التركية ولا تبالى باللغة العربية ، ومدارس طائفية تختص بكل جماعة دينية ومذهبية على حدة تعلم باللغة العربية وتتأثر في الوقت نفسه بالمدارس الأجنبية التي تشاكلها في الدين والمذهب ، ومدارس أجنبية تنسب الى مختلف السدول الغربية تعلم لغة الدولة التي تنسب اليها وتمتحن في الوقت نفسه باللغة العربية

” وقد تجاوب مسيحو الشرق مع هذه الارساليات الأجنبية خصوصا من كان قريبا من الطوائف المسيحية الوطنية واستفادت اللغة العربية من المنافسة القوية بسين الكتلة الأوروبية والبرتستانتية الانجليزية والأميركية والأرثوذكسية الروسية ” .

” ان سمعت كل واحدة منها الى اظهار تمايزها عن الدولة العثمانية ” بمفهومها التركي بتشجيعها اللغة العربية . ولم تغير الارساليات الأجنبية من سياستها الا عندما بدأت تدرك أن عليها الآن توجيه المسيحيين بعيدا عن فكرة العروبة ، وفي الوقت نفسه ربط بعض الفئات أو مجموعة بكاملها بالدولة الأم ، وقد سمعت لتحقيق ذلك بعد تقسيم المشرق العربي أو كما سمعت فرنسا من قبل لجعل هؤلاء مرتبطين ثقافيا وفكريا ولفويا وماديا بالدولة الخيرية . . . (١) وفي الواقع ان الدولة العثمانية أرادت أن تغير من سياستها التعليمية بعد الانقلاب الذي حدث سنة ١٩٠٨ م وحاولت أن تفرض رقابتها على المدارس الطائفية والأجنبية ، غير أنها لم تستطع أن تغير شيئا من هذه الأوضاع تغييرا فعليا لأن المدة التي مضت بين حدوث هذا الانقلاب ونشوب الحرب العالمية الأولى لم تتجاوز ست سنوات .

لذلك استمرت هذه الأحوال حتى انحلال الدولة العثمانية وانقراضها
(٢)
تماما .

هذه هي أحوال التعليم في البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية ومنها فلسطين التي كانت تعد الجزء الجنوبي من سورية . وقد كانت بلاد المشرق العربي - سورية الكبرى والعراق - متشابهة في أوضاعها التعليمية والاقتصادية مما أدى الى تكاتف مشترك في العمل السياسي لتحقيق الأهداف المشتركة .

فمثلا عندما تأسست جمعية الحرية الفتاة في باريس عام ١٩١١ كان من مؤسسيها محمد رستم البعلبكي وعوني عبد الهادي النابلسي وجميل مردم الدمشقي ومحمد الحمصاني البيروتي وعبد الفنى الفرسي البيروتي ورفيق التميمي النابلسي العربي وتوفيق السويدي البغدادي وانضم الى هؤلاء بعد ذلك عدد كبير من المثقفين

(١) التعليم والتحديث في المجتمع الفلسطيني ص ٦١ - ٦٢

(٢) حولية الثقافة العربية ص ١٢ - ١٤ .

المرب من مدنيين وعسكريين وكانت هذه الجمعية أول حزب عربي يعمل بطريقة سرية ويدقق في الانتسابات وأدت هذه الجمعية دورا كبيرا خلال العهد الفيصلي (١) إذ كان الأمير فيصل عضوا فيها نلاحظ أن أعضاء هذه الجمعية من فلسطين ولبنان وسورية والعراق وقد كان التعليم والتنقل متاحا لجميع العرب في كل الولايات فالامكانات التعليمية الموجودة في العراق يستطيع أن يستفيد منها الفلسطيني والسوري وغيرهما . لذلك كان واضحا ان فصل أي قطر عن الآخر سوف يؤدي الى نقص في مراحل وأوضاع التعليم المختلفة في كليهما وما أننا في صدد بحث التعليم في فلسطين بحدودها السياسية المعروفة سنكتفي بذكر المدارس التي كانت موجودة .

وفي سنة ١٨٥١ أنشئت مدرسة صهيون الداخلية للصبيان في القدس وقد خرجت منذ انشائها حتى ١٨٨٣ - ٣٤٠) تلميذ وفي سنة ١٨٥٥ أنشئت في القدس مدرسة المصلية للروم الأرثوذكس بعناية كيرلس الثاني بطريرك اورشليم على نفقة دير الروم وكان في القدس أيضا أربع مدارس لجمعية انتشار الانجيل بيسين اليهود فيها (١٣٨) تلميذ ، وثلاث مدارس لجمعية المرسلين الكنسية فيها (١٣١) تلميذ ، وخمس مدارس للجمعيات الألمانية فيها (٣٣٩) تلميذ ، وثلاث مدارس للروم الأرثوذكس فيها (٢٩٤) تلميذ و (١١) مدرسة للاتين فيها (٧٦٥) تلميذ ومدرسة للروم الكاثوليك فيها (١٠) طلاب وثلاث مدارس للأرمن فيها (٣٦٠) تلميذ (١) .

أما مدارس نابلس فكانت ثلاثا للمسلمين ومعلموها ثمانية عشر وتلاميذها (٥٢٦) وأشهرها الرشدية وفي نابلس للمسلمين مدرسة للبنات فيها معلمتان ومائة تلميذة ونحو اثني عشر مكتبا فيها (٤٦٠) تلميذ أما مدارس المسيحيين فكانت خمس مدارس للصبيان فيها ستة معلمين و (٩٥) تلميذا كما كان للبنات مدرستان فيهما معلمتان و ٤٢ تلميذة وأقدم هذه المدارس أنشئ سنة ١٨٥٠ .

وفي جوار نابلس في جنين مدرسة فيها ٨٠ تلميذا ومعلمان .

(١) المقتطف ج ٨ - ٩ و ١٨٨٣ ص ٤٧٠ و ٤٧٥ و ٥٣٢

أما في عكة فقد أنشئت المدرسة الرشدية سنة ١٨٧٦ هـ وبلغ تلاميذها الخمسين ومعلموها أربعة وهناك خمسة عشر مكتبا للمسلمين فيها ٢٠٠ تلميذ وفي سنة ١٨٨٩ أنشأت الجمعية الأدبية الخيرية مدرسة بلغ عدد تلاميذها الخمسين وكان معلموها أربعة كما أنشأت الجمعية مدرسة للبنات ومدرسة للراهبات اليسوعيات فيها سبع معلمات ونحو من (١٥٠) تلميذة . هذا وكان للطوائف المسيحية أيضا نحو من أربع مدارس للصبيان فيها سبعة معلمين ونحو من ٢٠٠ تلميذ .

أما فيما جاور عكة كحيفة وغيرها ففيها نحو من عشرين مدرسة وعشرين معلما وأربعمائة تلميذ . . . وقد أخذ طلب العلم يزداد ويتسع الاقبال على المدارس كلما تقدم الزمن من القرن العشرين .

أما صفد فقد أخذت المدارس تتكاثر فيها منذ ١٨٦٠ ففيها نحو من عشرة مدارس وخمسة عشر معلما وثلاثمائة تلميذ أما طبريا ففيها ست مدارس وثمان مائة معلمين ومائتا تلميذ .

هذه صورة عن المدارس في هذه المدن التي ذكرناها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر . ويقول الدكتور عبد الرحمن ياغي : " وإذا كانت جمعية واحدة هي (الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية) في فلسطين لها في أنحاء البلاد خمس وعشرون مدرسة بلغ تلاميذها الصبيان في سنة ١٩٠٧ م (٨٠١)^(١) ادركنا مدى تأثير هذه المدارس الأجنبية في كيان هذا الوطن الصغير .^(٢)

أما مجموع المدارس الابتدائية الرسمية في الألوية الثلاثة (القدس ، نابلس ، عكة) في مطلع القرن العشرين بل في السنة ١٩١٣ - ١٩١٤ وهي السنة التي سبقت الحرب فكان (٩٥) مدرسة ابتدائية رسمية معلموها (٢٣٦) معلما ومعلمة وتلاميذها (٧٧٥٨) تلميذا وتلميذة .

(١) تاريخ الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ص ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) حياة الادب الفلسطيني ص ٦٦ - ٦٧ .

وتذكر النشرة الرسمية لوزارة المعارف العثمانية أن مجموع الأطفال الذين كانوا في سن التعليم الإلزامي يبلغ (٧١٦٣٢) مما يدل على أن المدارس الابتدائية الرسمية ما كانت تضم من هؤلاء إلا نحو العشر أما المدارس الثانوية الرسمية فكان في القدس منها (مكتب سلطاني) وفي كل من عكا ونابلس (مكتب اعدادي) وكان عدد طلاب المدارس الثانوية المذكورة (٤٧١) وكانت كل واحدة منها تضم صفوفا ابتدائية وفقا للنظام المتبع في جميع الاعداديات والسلطانيات العثمانية وكان مجموع طلاب هذه الصفوف (١١٠) وكان المكتب السلطاني في القدس (مكتبا اعداديا) أنشئ سنة ١٨٨٩ ولم يتحول الى مكتب اعدادي الا في سنة ١٩١٣ .

أما المكتب الاعدادي في عكا فقد أنشئ سنة ١٨٩٥ وأما المكتب الاعدادي في نابلس فقد أسس سنة ١٨٩٧ .

ويتبين من أرقام النشرة الرسمية العثمانية أن مجموع المدارس الابتدائية الأهلية والطائفية في المتصرفيات الثلاث كان (٥٠٠) وعدد المعلمين والمعلمات (٧١٩) معلما ومعلمة أما التلاميذ والتلميذات فيبلغون (١٥٧٧٣) منهم (٨٧٠٥) في المدارس الخاصة بالمسلمين و (٣٤٤٥) في الخاصة بالمسيحيين و (٢٦٢٣) في المدارس الخاصة بالاسرائيليين .

وبما أن المدارس الرسمية تكاد تكون خاصة بالمسلمين فان مجموع الطلاب المسلمين في جميع المدارس كان (١٤٦٦٣) (١) ومجموع الطلاب المسيحيين (٣٤٤٥) والاسرائيليين (٣٦٢٣) .

هذه صورة موجزة عن التعليم والمدارس في العهد العثماني وقد امتد اطار هذه الصورة حتى شمل المدة الواقعة بين منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الأولى مع فتور داخل في حدود هذا الاطار الى انتعاشة في عهد الدستور الى ازدهار في المدارس الأجنبية في مدة ما قبل الحرب .

(١) حولة الثقافة العربية السنة الثالثة ص ٤ - ٩ .

فترة الانتداب البريطاني :-

بعد الحرب العالمية الأولى انحلت السلطة العثمانية وانفصلت الولايات العربية عنها انفصالا نهائيا .

وقد أصبحت بعض الولايات العربية تحت الاحتلال الفرنسي وبعضها تحت الاحتلال البريطاني ونتج عن ذلك بطبيعة الحال نتائج خطيرة من حيث اتجاهات الثقافة ونظم التعليم ، فان اللغة الفرنسية أصبحت اللغة الالزامية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية في منطقة الانتداب الفرنسي وترتب على ذلك ان المنطقة المذكورة اتصلت أكثر ما اتصلت بالنظم الفرنسية والمطبوعات الفرنسية والمناهج الثقافية الفرنسية وصار الشبان الذين يريدون اتمام دراستهم خارج بلد هم يذهبون الى فرنسا وينتسبون الى جامعاتها وكل ذلك ساعد على جعل النظم الفرنسية والمناهج الثقافية الفرنسية سائدة على معارف البلاد وثقافتها ، وقد انضم الى هذه النتيجة الطبيعية الجهود التي بذلتها فرنسا لمبسط نفوذها المعنوي في البلاد فزاد ذلك من سيطرة الثقافة الفرنسية سيطرة كبيرة .

النسبة

وقد حدث ما يماثل ذلك بالنسبة الى اللغة الانجليزية في مناطق الانتداب الانجليزية حيث أصبحت هذه اللغة هناك الزامية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية وترتب على ذلك أن المناطق المذكورة اتصلت أكثر ما اتصلت بالنظم الانجليزية والمطبوعات الانجليزية والثقافة الانجلوسكونية وصار الشبان الذين يريدون اتمام دراستهم خارج بلادهم يذهبون الى انجلترا وأمريكا وينتسبون الى جامعاتها وكل ذلك ساعد على سيادة الثقافة الانجلوسكونية في المناطق المذكورة وقد انضم الى هذه النتيجة الجهود الخاصة التي بذلتها انجلترا وأمريكا لنشر هذه الثقافة في البلاد فأكسب ذلك الأوضاع المذكورة قوة كبيرة .

هذه سياسة التعليم في الولايات العربية بعد الحرب العالمية الأولى اذ خضعت كل من سورية ولبنان للاحتلال الفرنسي والعراق والأردن وفلسطين للاحتلال الانجليزي . وبخصوص فلسطين أدار الانجليز شؤون المعارف ادارة مباشرة ووجهوها الوجهة التي أرتأوها دون أن يلاقوا أية مقاومة .

ولهذا السبب نشأ في فلسطين نظام تعليمي خاص يختلف عما نشأ في سائر الاقطار العربية أختلافا كبيرا وكان هذا النظام أكثر تأثرا بالنظم الانجليزية الاصلية بطبيعة الحال (١)

التعليم في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

حسب الاحصاء السكاني لعام ١٩٣١ كان عدد السكان العرب او بالاحرى عدد سكان فلسطين من غير اليهود (٨٥٩) ألف نسمة من أصل (٣٣٠٠٠ ر ١٠٠) نسمة (١) وبلغ عدد المتعلمين منهم أي الذين دخلوا المدارس حوالي (١٢٠) ألف نسمة (٢) وإذا أسقطنا من هذا العدد مقدار (٢٠٠٠) شخص من الأجانب الغربيين غير اليهود يكون العدد حوالي (١١٨) ألف نسمة من المتعلمين العرب ونستطيع انقاص هذا العدد (٢٠٠٠) شخص من حجم السكان فيكون عدد العرب حوالي (٨٥٧) ألف نسمة .

ونتيجة لذلك تكون نسبة المتعلمين العرب ١٣٫٧٥ ٪ من عدد السكان وهذا الرقم يعطى صورة كئيبة للوضع الثقافي في فلسطين عام ١٩٣١ غير ان هذا المعدل لا يعطى الصورة الحقيقية إذ كان هناك تفاوت في التعليم بين العناصر الاسلامية والعناصر المسيحية . فقد توفر للمسيحيين عدد كاف من المدارس سهل عليهم الانتساب اليها بسبب تجمع الأكثرية منهم في المدن وللامتيازات الممنوحة لهم من الدولة العثمانية ثم لكثرة الرسائل الأجنبية وما تقدمه من مساعدات تعليمية وغيرها لذلك كانت الاحصاءات والدراسات التعليمية في فلسطين تقوم على أساس مذهبي فالمسلمون في فلسطين يمثلون ٦٧ ٪ من سكان فلسطين احصاء ١٩٣١ - و ٨٠ ٪ من السكان العرب - فتمداد المتعلمين المسلمين حوالي ٧٥ ألف من أصل ٦٩٣ ألف نسمة أي حوالي ١١ ٪ من السكان بينما النسبة لدى المسيحيين هي ٤٧٫٥ ٪ وان ال ٨١ ٪ من المتعلمين المسلمين درسوا أقل من ست سنوات ونسبة التعليم عند المسيحيين العرب هي ٢٩ ٪ .

من هذا نلاحظ ان نسبة المتعلمين ضئيلة ولكن اذا أخذنا هذه النسبة في الاطار العام لرقى المجتمع الفلسطيني نجد ان نسبة المتعلمين لا بأس بها

و(١) ترجمة الدكتور فاضل زيدان
I) Survey of palestine 1948 Vol I P.141
2) Censuse of palestine 1931 p.92.

وليس هذا الفضل راجعا لحكومة الانتداب اذ ان التعليم كان قد توسع فـفى
اواخر الحكم العثماني وأول سنى الحرب كثيرا خصوصا فى ولاية القدس اذ فـفى
عام ١٩١٤ كان هناك ٩٥ مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية يعلم فيها
(٢٣٤) معلما وتعداد تلامذتها (٨٢٤٨) منهم (١٤٨٠) تلميذة وكان
يوجد (٣٧٩) مدرسة تقليدية أكثرها كتاتيب يعلم فيها (٤١٧) معلما ويزورها
(٨٧٠٥) تلاميذ منهم (١٣١) تلميذة (١).

وقد توفر للشعب الفلسطيني فى العشرينيات حد أدنى من فئة الجامعيين
قليلهم تخرج من الجامعات الأوروبية والأميركية كما أن الضالة الكبيرة كانت فـفى
نسبة المتعلقات الراشدات من الشعب الفلسطيني فى تلك الحقبة (٢) ولو القينا
نظرة على ازدياد الطلاب المسلمين لرأينا أن الفرق بينهما شاسع بالنسبة لتعداد
السكان ففى عام ١٩٢٠-١٩٢١ كان عدد الطلاب المسلمين (١٨١٢٦)
والمسيحيين (٧٤٣١) وفى عام ١٩٤١-١٩٤٢ كان عدد الطلاب المسلمين
(٦٩٠٣٥) والمسيحيين (٢٥٨٠٨).

وقد كان الاهتمام الأكبر فى التعليم عند المسلمين عن طريق المجلس
الاسلامى الأعلى .

والجهات الاسلامية الأخرى حيث ارتفع عدد المدارس من ٤٢ مدرسة عام
١٩٢١-١٩٢٢ الى (١٩٠) مدرسة عام ١٩٣٤-١٩٣٥ وارتفع عدد التلاميذ
من ٢٢٨٧ عام ٢١-١٩٢٢ الى ١٥٣٨٩٦ تلميذ عام ١٩٤٠-١٩٤١ أى حوالى
ستة أضعاف، بيد أن الاكثريّة العظمى من المدارس الحكومية عام ١٩٤٤ كانت
ابتدائية تحتوى على الابتدائية الأدنى الى الرابع الابتدائى . ولم يكن الوضع
كذلك فى القرى فقط بل كان فى المدن - أيضا - وتصل نسبة التلامذة فى هذه
المرحلة الى مجموع التلامذة الكلى ٩١% ، والنسبة المئوية الباقية تتوزع بين الدراسة
الابتدائية العالية والدراسة الثانوية ويتضح أن الأكثريّة الكبرى من تلامذة المعارف
كانت ترك الدراسة بعد الصف الخامس الابتدائى عدا قلة بينها قسم ضئيل يكمل
الدراسة فاذا كان التلميذ من المتفوقين استطاع الانتساب الى الصفوف العليا
الحكومية ، وتشدد شروط الانتساب للدراسة الحكومية العادية الثانوية اذ ليس

(١) ترجمة الدكتور فاضل زيدان

I) Arab education in Mandatory
palestine 1956, P.20 .

(٢) التعليم والتحديث فى فلسطين ص ١٠٧ - ١١٣ .

هناك الاثلاثة مدارس حكومية تحتوى على صفوف حتى الثانوية العامة وجميعها
فى مدينة القدس وهى الكلية العربية والمدرسة الرشدية وكلية البنات وكانت
الكلية العربية تقصر المجال للطلاب الثلاثة الاوائل فى المدارس الاخرى
للاكمال فيها ولما كثر عدد الطلبة توازيا مع ازدياد المدارس التى تحتوى
على المرحلة الثانوية الاولى سعى خلال الاربعينات الى توسيع المدرسة
الرشدية .

ولقد كانت الكلية العربية وكلية البنات وكلية المعلمين وبالإضافة الى هذه -
الكليات ألفت مع الوقت فصول ثانوية زراعية فى طولكرم عام ١٩٣١ وثانوية
تجارية فى حيفا (عام ١٩٣٦) ومنذ بدء الانتداب البريطانى أسست فصول
لدراسة الحقوق ينتسب اليها موظفوا الدولة ويدرسون خمس سنين يحصلون
بعدها على (دبلوم) وتخرج عدد لا بأس به من الشباب الفلسطينى العربى
ولكن ليس لدينا أحصاء دقيق عن عدده .

وقد أتجه الطلبة أبناء الطبقتين الوسطى والوجيهة العربية للدراسة
فى الجامعة الاميركية فى بيروت وكان الطلاب الفلسطينيون يكونون ٢٠ - ٢٥%
من عدد طلبة الجامعة ويأتون عددا بعد الطلبة اللبنانيين وانتسب طلبة
آخرون الى الجامعة اليسوعية خصوصا من درس منهم فى المدارس الفرنسية
فى فلسطين . وذهب فريق من الطلبة الى القاهرة حيث انتسب طلبة العلوم
الدينية الى الأزهر وانتسب آخرون الى دار العلوم حيث تخرج منهم
(٤٠) طالبا بين ١٩٣٢ و ١٩٤٧ كما التحق بعض الطلبة بالجامعات
الانجليزية فكان عددهم فى الثلاثينيات حوالى (٢٠) طالبا وفى عام
١٩٤٨ (٢٥) طالبا .

(١) التعليم فى فلسطين كاتول جبرائيل ص ٦

(٢) الشعر الحديث فى مائة فلسطين ١٢٥

39 Arab Education in Mandatory palestine 1956 P:112

ترجمة الدكتور فاضل زيدان

(٤) التربية والتعليم فى فلسطين كاتول ص ٥٥

نظرية التعليم في مدارس المعارف :-

لقد سمى الانجليز للحصول على اعتراف دولي بانتدابهم على فلسطين ليس للقيام بواجب انساني حسب ما جاء في البيانات والمواثيق الدولية الصادرة عن اجتماع فرساي عام ١٩١٩ وما بعده بل نتيجة تصميمهم على استعمار فلسطين حفاظا على امبراطوريتهم وزيادة في نفوذهم خصوصا في الشرق الاوسط حيث بدأ الذهب الاسود (١) يوطد نفوذه الاقتصادي ولم تكن الصهيونية الاممية لمبتغاهم الاستعماري . .

أن نظرتهم الى الشعب العربي الفلسطيني لم تكن تختلف عن نظرتهم الى العرب المصريين أو أبناء الهند وشعوب شرق آسيا عامة ويستشهد الدكتور عبد القادر يوسف بفقرة من كتاب همفري بومن يقول فيها * فهذا لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا واللورد بلقور يعدان الحرب قوما صحراويين لا قيمة لهم يوكد انهم سوف يقنعون ببعض التوكيدات والضمانات التي تعطيها لهم الحكومة البريطانية فاذا لم يقنعوا فقد يقومون في البداية ببعض حركات الشغب ولكنهم سرعان ما يحدون لصوابهم ويخلدون للسكنينة بعد أن يروا رأس العصا على غرار قبائل الهند (٢) الشمالية الغربية في الهند

بهذه الرؤية لشعوب المستعمرات تبدأ بريطانيا سياستها التعليمية ومن الجدير بالذكر أن بريطانيا استمدت فلسفة النظام التعليمي في فلسطين من تجربتها في الهند وبعد ذلك في مصر اذ أن النظام التعليمي الفلسطيني أخذ في جوهره من النظام المصري وهذا بدوره مستمد من التجربة الهندية وتتضمن هذه الفلسفة التعليمية تربية فئسة ممتازة تدخل السلك الاداري الحكومي لتنفيذ السياسة الاستعمارية ويسمى الى تنشئة هذه الفئة لترتبط بالاستعمار ثقافيا وفكريا والطريق الامثل هو اختيار معظم أفراد هذه الفئة من الأقليات أو أبناء الطبقة الوجيبة لترويضها وربطها مصالحها به ان أمكن . فسعى الاستعمار في البدء الى توظيف عدد

(١) التعليم والتحديث ص ١٣٩

(٢) مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية ص ٩٥ هذه النظرية الصهيونية الاستعمارية في الماضي والحاضر والمستقبل لم ولن تتغير وهي نفسها التي أشار إليها الرئيس أنور السادات في مذكراته حيث يقول

كبير من اليهود وبعد ذلك من المسيحيين خصوصا من الفئة المتخرجة من المدارس الانجلوسكسونية وحين بدأ الشعب الفلسطيني خصوصا المسلمين يحتجسون على هذا الوضع سعى الى توظيف أبناء الطبقة الوجيهة وأما التوسع في التعليم الابتدائي فمردّه الى التجاوب مع متطلبات المجتمع التجاري المستهلك لسلعها والرضوخ الشكلي للمطالب الشعبية إذ أن النظام التعليمي في الريف كسكان أقرب الى التجهيل منه الى التعليم .

وتدل أحصاءات المعارف على أن النسبة الهائلة من التلاميذ كانت موجودة في الصفوف الابتدائية الخمسة الاولى بينما كان عدد هم في الصفوف الثانوية ضئيلا جدا وقد ربط التعليم الثانوي لتخريج مدرسين لجميع المستويات خصوصا الثانوية وقد كانت الوظائف الادارية العالية يعين لها خريجي المدارس الاجنبية (١) هذه هي السياسة الاستعمارية في التعليم إذ تسخره لما يخدم يخدم أغراضها ويثبت وجودها بدلا من جعله أداة لرقى الشعوب والاخذ بيدها حسب رسالة الانتداب .

هذا وقد كشفت الايام أن السبب الحقيقي وراء سياسة التجهيل هو ماورد في المادة (٢٤) من صك الانتداب البريطاني على فلسطين والتي نص فيها على أن توضع فلسطين في أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية تمكن اليهود من إنشاء وطنهم القومي فيها .

ثانيا : الطباعة :

لقد كانت الإرساليات لاجنبية أول من فكر في ضرورة اصطحاب المطابع معهم الى هذه الديار المقدسة وقد عرفت الطباعة على أيدي اليهود في سنة ١٨٣٠ حيث أنشأ " نسيم باقى " مطبعة في القدس كانت تطبع كتباً دينية باللغة العبرية وفي المدة ما بين ١٨٣٠ - ١٨٥٠ نشأت ثلاث مطابع كبيرة ساعدت على نشر آداب اللغة العربية في بلاد الشام الاولى مطبعة الأمير كان التي نقلت سنة ١٨٤٣ من مالطة الى بيروت والثانية الكاثوليكية

= في معرض كلامه عن مدى استخفاف إسرائيل بالحرب قبل معركة أكتوبر بيوميين لدرجة أن أبا أبيان وزير خارجية إسرائيل في ذلك الوقت قال الروجرز :-

أن أمريكا تقصم نفسها في أمور لا تسهمها ولا يجدر أن تهتم بها ثم عبر

ظهرت سنة ١٨٤٨ في بيروت والثالثة مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس سنة ١٨٤٨ بأنشأها الأب سيثيان فر تخزن النصوص الاصل وقد نمست هذه المطبعة حتى أصبحت من أكبر المطابع الشرقية في أول القرن العشرين وكان باكورة المطبوعات في هذه المطبعة كتاب " التعليم المسيحي " بالاطالية والعربية وكانت أدوات الطباعة كلها من النمسة . وحين جاءت -
الرساليات الانجليزية أسمى جماعة منهم سنة ١٨٤٨ مطبعة في القدس أسماها مطبعة لندن لتطبع الكتب الدينية من أجل نشر الانجيل بين اليهود . وأنشأ الارمن الفريغوريون في القدس المطبعة الامنية في جوار جبل صهيون حيث مقام أسقفهم وكنيستهم الكبرى وأنشأت جمعية القبر المقدس " اليونانية مطبعتهما في دار البطريركية الارثوذكسية وكان ذلك على عهد البطريرك كيولى الثانى . دلائل
وقد وجدت في هذا الوقت المطبعة الوطنية في القدس لصاحبها الفونس أنطون النصو ثم مطبعة (جورج حنانيا) وللجمعية البروتستانتية مطبعة صغيرة بدأت في الجزء الثانى من القرن التاسع عشر . وفي المقتطف سنة ١٨٨٣ جدول يبين نشأة المطابع في القدس ^(١) وهى ١ - مطبعة الآباء الفرنسيين التى أنشئت سنة ١٨٤٧ وطبعت (١٠٣) كتاب مابين مجلدات وكراريس بلغات أجنبية .

- ٢ - مطبعة دير الروم الاثوذكسى التى أنشئت سنة ١٨٨١ وطبعت (٦٥) - كتابا منها (٣٦) بالعربية والباقي باليونانية .
- ٣ - مطبعة دير الارمن التى أنشئت سنة ١٨٦٦ وطبعت (١١٥) كتابا بلغات مختلفة أغلبها الارمنية .
- ٤ - مطبعة جميعه المرسلين الكنائسية الانجليزية التى أنشئت سنة ١٨٧٩ وطبعت أثنين وعشرون كتابا بالعربية . وعشرين
- ٥ - مطبعة لندن لانتشار الانجيل بين اليهود وقد أنشئت سنة ١٨٤٨ وكانت تطبع كراسة دينية شهريا وأعلانات دينية وقد وجد في بيروت مطبعة دار الايتام السورية التى كانت تدار بالبخار وكانت على درجة عالية

= ابا ابيان عن رايه في الحرب بأن قال أنهم قوم متخالفين ولن تقوم لهم قائمة ولا يعرفون الالفه البطش ولرب وقد حان الوقت الذى سيأتون فيه والكميين مستسلمين لاسرائيل التى تعرف جيدا كيف تعاملهم " مذكرات الرئيس أنور السادات الاهرام ٢٤/١٠/٧٥ الجمعية عدد ٢٢٤٥٩ ص ٣٠

الطلبان

من الاتقان لكثرة الطالبات التي كانت تردّها من مصر وحلب وبيروت ودمشق وطرابلس والشام وحيفا والناصرّة وياّفة وكانت تطبع فيها مجلة النفائس) ولم يكن ينافسها في اتقان الطباعة الا مطبعة أو مطبعتان في بيروت (١) ومن يراجع أماكن الطباعة في " الكتاب العربي " - الفلسطيني " يجد أن المؤلّف الفلسطيني طبع كثيرا في أستانبول وفيينا ولندن ونيويورك وباريس " وواشنطن وبيروت ومصر والشام وحلب وبغداد وعمان ومكة وغيرها .

وبعد إعلان الدستور كثرت المطابع الوطنية في مختلف البلاد فكانت أول مطبعة دخلت حيفا هي المطبعة الوطنية لياسيلا الجدع سنة ١٩٠٨ ثم مطبعة جريدة الكرمل سنة ١٩٠٩ لنجيب نصار ثم مطبعة جريدة النفير لايليازكا وغيرها ثم انتشرت المطابع في مختلف أنحاء فلسطين . وما ينبغي ملاحظته أن الطباعة دخلت فلسطين عن طريق الارشاليات التبشيرية الدينية لطباعة الكتب الدينية ثم لطباعة كتبها المدرسية الى أن كثرت المطابع كثرة عامة في مختلف أنحاء فلسطين لأغراض تجارية .

ثالثا الصحافة :

لقد كان ظهور الصحافة في فلسطين عن طريق الارشاليات الاجنبية شأن التعليم والطباعة فقد نشرت الجمعية الالمانية الفلسطينية في مجلتها مختلف المطبوعات التي يدور بحثها حول فلسطين ثم توقفت عن سعيها سنة ١٨٩٤ . وقد قام الدكتور بيتر تومسون فألف كتابا مستقلا أودعها قائمة المطبوعات الفلسطينية من سنة ١٨٩٥ وما بعدها ظهر منها حتى سنة ١٩١٦ ثلاثة

مؤلفات بعنوان *Die palastine literature*

كما ظهرت مجلة بطريكية القدس الارثوذكسية والمجلة الالمانية لصاحبها الدكتور بيير . (١)

ونظرا للمركز الديني والسياسي لفلسطين حظيت آثارها بأهتمام علماء التتقيب فقد كانت هناك " مجلة التتقيب عن آثار فلسطين " وهناك مجلات -

(١) التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني ص ١٣٨ - ١٤١ .

(٢) المقتطف ج ٨ ص ٤٧٢ راجع أيضا تاريخ الطباعة في الشرق العربي ص

٢٩٩ : ٣٠٣

(٣) النفائس من العصرية جزء ١٢٦ سنة ١٤ ١٩١٢ ص ٥١٦ .

انجليزية والمانية أيضا وكان للفرنسيين المجلة الكتابية التي كانت تلخص كل ما نشر
في المجلات الاثرية عن فلسطين (٢) ونظرا للاحوال التعليمية السيئة التي كانت
تعيشها فلسطين حتى مطلع القرن العشرين كان ظهور الصحف متأخرا حيث
يعتمد رواجها على كثرة القراء ولعل أول جريدة في القدس كانت جريدة "القدس
الشريف" وهي جريدة حكومية محلية صدرت سنة ١٩٠٤ باللفتين العربية
والتركية . ولما جاء الدستور ١٩٠٨ ظهرت الصحف في القدس وبافه وعكا وحيفه
وغيرها فقد وجد في فلسطين خمسون صحيفة تقريبا ما بين سنتي ١٩٠٤ -
١٩٢٢ (١) .

وفي كتاب تاريخ الصحافة العربية " للكونت فيليب طرازي نجد فهارسي
وجد أول للمجلات والجرائد التي صدرت في فلسطين الى نهاية عام ١٩٢٩
بلغت إحدى وثمانين ما بين صحيفة ومجلة صدرت في القدس وحيفه وعكا وبافه وبئر
السيح وهذه صورة مركزة للصحافة في داخل فلسطين أما في خارجها
فكان لابناء فلسطين مشاركة فيها أيضا هذا عاصم بسيسو وأحمد عزت الاعظمي
يصدران في الاستانة مجلة المنتدى الادبي في ٢٧ شباط ١٩١٤ وأصدر عارف
العارف جريدة عربية هزلية (ناقة الله) ١٩١٦ في معتقل سيبيريا وأصدر -
الاستاذ أحمد شاعر الكرمي مجلة باسم " الميزان " وأصدر الشاعر الشيخ -
ابراهيم الدباغ مجلة " الانسانية " في القاهرة (٣) وكان الاستاذ محمد
على الطاهر قد أصدر جريدة " الشورى " في القاهرة يتبين لنا من عدد
الصحف والمجلات أن لابناء فلسطين نشاطا ملموسا في مجال الصحافة
سواء في داخل فلسطين أو خارجها بالإضافة الى أن الكثير من أبناء فلسطين
كانوا يكتبون في " المشرق " و " المقتطف " و " الهلال " وغيرها وقد كانت
بعض الصحف الفلسطينية تطرح موضوعا أدبيا وتعطي جائزة لاحسن من يكتب فيه
وبعضها كان يصدر أعداد ممتازة لدراسة نواح خاصة من البلاد (٣) .

كل هذا يوضح لنا دور الصحافة الفلسطينية في نهضة هذا القطر الثقافية

(١) مجلة الزهور مقال الدكتور نجيب الساعاتي " انتشار الصحافة في فلسطين

عدد ٦ ص ١٤٥ - ١٤٧ .

(٢) وحى الشاطي ص ٩٩

(٣) حياة الادب الفلسطيني الدكتور ياغي ص ٨٩ - ٩٠ بتصرف

هذه تشرها فلسطين؟

٤ - الاندية والجمعيات الادبية :-

من أقدم الجمعيات في فلسطين جمعية " سوسنة صهيون " أنشئت سنة ١٨٧٧ وجمعية الفيرة المسيحية " للروم الارثوذكس وكلتاها في المقدس (١) وفي ثلاث جمعيات هي جمعية " شعبة المعارف " و " الجمعية الادبية " الخيرية " وجمعية " مارنصور " ومن الجمعيات التي عنت بنشر المباحث المطبوعة في مختلف شؤون فلسطين " الجمعية الالمانية الفلسطينية " وقد وقفت عن نشر المطبوعات الفلسطينية ولم تقف عن نشر المباحث الخاصة بشؤون فلسطين (٢) كما أنشئت الجمعية الارثوذكسية الفلسطينية سنة ١٨٨٢ التي أولت عناية خاصة لدراسة أحوال فلسطين درسا تفصيليا (٣) كما أنشئت جمعية ترقى الاداب الوطنية في يافة سنة ١٩٠٨ لتتهذيب الشباب وتربيتهم وكانت تصدر نشرة بأعمالها السنوية (٤) وقد كان الفضل لعقد أول مؤتمر فلسطيني رسمى أقرت به الحكومة البريطانية لجمعيتين في حيفا - الاسلامية ^{وإسرها} مفتى حيفه الشيخ محمد مراد والمسيحية ورئيسها الاستاذ فؤاد سعد وكان انعقاد اللجنة في حيفه من ١٣ - ١٩ كانون الاول سنة ١٩٣٠ برئاسة موسى كاظم الحسينى وقد كان تشكيل المؤتمر باقتراح - الشيخ سليمان التاجى الفاروقى . (٥) وكان في حيفا أيضا " جمعية القسيسه المسيحية وهي جمعية أدبية - أنشئت من أجل بحث الامور الادبية وكان رئيسها الاستاذ أديب الجديع . وقد كانت معروفة قبل الحرب باسم " نهضة فتيان الروم الكاثوليك " وأعيد تأسيسها في ١٧ تشرين الثانى ١٩١٩ وفي حيفا أيضا جمعيتان نسويتان الاولى " جمعية السيدات " المسيحية والثانية " جمعية تهذيب الفتاة الاسلامية كما تأسست " جمعية النهضة الاقتصادية العربية " وكان من المنادين بتأسيسها السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل وقد أفتتحت في ٢٢ شباط ١٩٢٢ . ومن صلاحيات هذه الجمعيات بموجب نص قانونها أن تشكل هيئات فرعية في القرى تربطها جميعا لجنة عليا ينتخبها المؤتمر الذى يعقد بعد تنظيم هذه الهيئات

(١) مجلة المقتطف ج ٨ ص ٤٧٠ ١٨٨٣ .

(٢) مجلة الزهرة - معرقل الاقلام - عدد ٢٣ ص ٤٩٥ .

(٣) مجلة النفايس العصرية ج ٨ سنة ١٩١٩/٧ ص ٦٥ .

(٤) مجلة النفايس العصرية ج ٥ سنة ١٩١١/٣ ص ٥٤٠ .

(٥) مجلة الزهرة عدد ٢٣ ص ١١٤ .

وقد بدأت بتشكيل نقابات لكل مهنة وصناعة وفن • • وكان من بين النقابات (حلقة الادب) وغايتها تعزيز اللغة العربية وتشجيع فن الخطاية والنظر في كل نقيصة من نقائص مجتمع حيفه الادبي وأصلحها والعناية بالتعليم ونشر الكتب الادبية ولم تكن الحلقة تقبل بين أعضائها الا حملة الاقلام - والخطباء ومن مارس في الادب نثرا ونظما وكان أعضاؤها الفخريون من بين الذين يميلون الى الادب وينشطونه وقد قامت فكرة تأسيس هذه الحلقة في رأس الكاتب توفيق زبيق واستشار بشأنها الادباء من أصدقائه فاستحسنوا فكرته وشجعوه ولكنهم أمهلوه الى أن تأسست جمعية النهضة الاقتصادية العربية قباشرها تأسيس الحلقة وسنواها نظاما في جلسة تمهيدية عقدت في ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٢ عقدها توفيق زبيق ورفيق التميمي والدكتور قيصر الخوري وأديب الجدع ويوسف الخطيب وعبد الرحمن رمضان وجميل البحري •

وقد أحدثت الحلقة نشاطا كبيرا وكانت تقيم الحفلات وتنظم المحاضرات وتنشئ المسابقات للتأليف المسرحي وغيره وكانت تقوم بدور كبير في الحياة الادبية بما ترجمه أعضاؤها وما حاضروه وما أنشأوه (١) وكان لموظفي السكة الحديدية في حيفه ناد يجمعهم كما أقام نخبة من شبان طائفة السمر الكاثوليك أدباء وموظفين وعمالا ناديا باسم (النادي الكاثوليكي) (٢) سنة ١٩٢٢ كذلك قامت الجمعيات التعاونية في القرى كجمعية تعاون القرى التي اتخذت مركزها في حيفا أيضا ومع عنايتها بشؤون الفلاح أقامت كثيرا من الحفلات الادبية حيث يلقي الشعر وتقوم الدراسات حول شؤون القرية • وتأسس في حيفه أيضا " النادي العربي " الذي كان أعضاؤه من الشبان المسلمين والمسيحيين لممارسة الفنون الادبية والرياضية كما كانت هناك نواد مختلفة للأسر • وقد كان لهذه النوادي دور كبير في الحياة الادبية وفي بيت لحم نشط نادي الشبيبة حيث كان يقيم الحفلات لتكريم الادباء المستشرقين • وفي غرزة أعنى النادي الاثوذكسي بالتمثيل (٣) ^{الارثوذكسي} ^{غرة}

(١) حياة الادب الفلسطيني ص ٩٦ - ٩٧

(٢) مجلة الزهرة عدد ٢٥ ص ١٣ •

(٣) النفي عدد ٢٥ ص ١٣ •

وكان النادي العربي في القدس يقيم مسابقة أدبية باسم "سوق عكاظ" سنة ١٩٢٤ وفي موسم النبي موسى يوزع الجوائز على الفائزين في الشعر (١) ومن مظاهر نشاط هذه الجمعيات والنوادي إقامة الحفلات لأكرام الشعراء والادباء فقد زار الشاعر خليل مطران فلسطين سنة ١٩٢٥ للاصطياف في رام الله فأقيمت له حفلات التكريم في القدس وبيت لحم وياقا والبيرة وطولكرم وقليلية ورام الله (٢) وكتب سليم سركيس الى خليل بيدس عند ما زار القدس سنة ١٩٢٠ والتقى فيها بالرصافي الشاعر العراقي "وقد سرنى من القدس الشريف أن فيها (جامعة للادباء) لم أوفق الى مثلها في دمشق وحيفة فقد قضيت نحو أربعين يوما في عاصمة المملكة السورية وقابلت فيها عددا كبيرا من الادباء ولكن شغلهم متفرق فلا يجتمعون في مكان معين أو زمان شأننا في مصر وأما في القدس فإن لينوث الادب يأوون الى عرين خاص بتهذيبهم من لم يكن من طبقتهم وهذا الغريب والوقار يساعد انهم على العزلة ويبعد انهم عن الفوضى . وقد بلغ من أعجابي بمجلسهم في القدس أنني كما تعلم كنت أول من حضر وآخر من أنصرف حتى لا يفوتني جمال مجلسكم وفائدته لو أن بينكم من يحدو حدوى في مجالس ادباء مصر لاجتماع لديه الشيء الكثير من ثمرات العقول التي تليق يوما ما أن تكون حديث المجالس لانك تنال من الادباء وقد أرسلوا على سجيبتهم — مالا تناله من ثمرات العقول إذا هم تافقوا في الحديث وتأهبوا له فنهينا لكم ولمجلسكم بكثير من الحسنات وفي مقدمتها (مجلس الادباء) (٣) .

وقد كانت النوادي الرياضية أيضا تقيم الحفلات أحتفاء بالادباء والمفكرين فقد أقام نادي الالعاب الرياضية بالقدس في آذار ١٩٢٠ حفل تكريم للاستاذ سليم سركيس التي فيها الاستاذ أسعاف النشا شيبى كلمة رائعة كما ألقى الاستاذ الرصافي قصيدته السينية المشهورة وكانت الحفلة في مدرسة روضة المعارف (٤) .

(١) ديوان مشاهد الحياة ص ٢٠٣ .

(٢) الزهرة عدد ٤ ص ٢١٣ .

(٣) النفايس ج ١٧ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٤) الحياة الادبية في فلسطين ص ١٠٠ .

خامسا الاذاعة :

وهي من العوامل الفعالة لنهضة الام في مختلف نواحي الحياة يقول الاستاذ عجاج نويهض " ان الاذاعة ارقى اسباب التواصل بين الام وهي تجعل المعمور الانساني في مسمعك وعما قريب على مرأى منك في لحظات هي اعجل من لمحات البصر فالمذيع رسول انقلاب في البشر لا يعلم الا الله مدى حدوده وانبساط افاقه ومهما يكن للمذيع اليوم وغدا من شأن عظيم في أحداث الانقلاب في المجتمع فمن أخص ما نرى من مميزات ان له رسالة مقدسة كتسب عليه ان يؤدبها الى الام والى العرب في جميع أقطارهم الا وهي رسالة نشر الثقافة الصحيحة كأوسع معانيها ويشترك في هذا العالم والمؤرخ والاديب والكاتب والشاعر والباحث والناقد والممثل والمفتي والمطرب من رجـال ونساء (١) .

تأسست الاذاعة في فلسطين مبكرا إذ أسست حكومة فلسطين محطة لاسلكية وأختارت الشاعر أبراهيم طوقان لإدارة البرامج العربية وفي ٢٩ مارس ١٩٢٦ - نقل الاثير لأول مرة صوتا عربيا هو صوت أبراهيم طوقان وقد كان الناس يتطلعون بقلوبهم الى أبراهيم لوضع الاذاعة في خدمة القضية الفلسطينية للظلم الذي كانت تلاقيه من حكومة الانتداب والصهيونية الآثمة " وضع أبراهيم خطته لخدمة الجمهور ، وخدمة التراث العربي الادبي وأصطدمت الخبايا وثارت الصهيونية وأمدت الرقابة الى كل ما يذيع أبراهيم والى كل ما يبعد من تمثيلات وأحاديث وقصص قد أذاع على الناس تحقيقا أدبيا أثبت فيه بالوثائق التاريخية أن السموم الشاعر الجاهلي اليهودي كان ذانقة يهودية من حيث جبهه للمال وأن هذه النزعة هي التي دفعت الى إثارة الذبح لابنه خارج الحصن ولم يكن في الامر عامل الوفاء وإنما كان ذلك من أجل مال جسيم وعده به أمروء القيس اذا أستجاب لطلبه وقد أذاع هذا التحقيق بنفسه في ٢٠ سبتمبر ١٩٣٦ فأهتاجت الصهيونية وظلت تدبر له حتى

> صورة

(١) الحياة الادبية في فلسطين ص ٠٠٠

(٢) أبراهيم طوقان المحاسنى ص ٢٧٠

انتهى الامر باقصاء ابراهيم (١) .

وقد أعدت محطة الاذاعة سلسلة من المحاضرات الوطنية موضوعها " شخصية فلسطينية بارزة ولما تولى الأستاذ عجاج نويهض مراقبة البرامج العربية في الاذاعة الفلسطينية أخذ يعد برامج يستدعي لها كتابا وباحثين من فلسطين والبلدان العربية لالقاء المحاضرات والبحوث فتقدم الاخطال الصغير - بشارة الخسوري بثحية شعرية لفلسطين في مساء الخميس ٢ نيسان ١٩٤٢ وحاضر الاستاذ عبد اللطيف الطيباوي عن الجيش في التاريخ الاسلامي ثم عن التربية والتعليم في العصور الاسلامية وكانت محاضرات كل من الاستاذ عبد السلام البرغوثي والاستاذ عباس محمود المقاد عن معارك ١٩٣٩ وحاضر قبله في الموضوع نفسه الاستاذ عبد القادر المازني واذاع الشيخ عبد العزيز البشري حديثه عن الدولة الاموية والاستاذ محمد كرد علي حديثه بعنوان " هل تمدننا " كما قدم الاستاذ خليل تقى الدين مدير المطبوعات في جمهورية لبنان حديثا رمضان حول الادب العربي وتحدث الاستاذ نسيم يزبك حديث بعنوان نظرة في مستقبل العمر وتحدثت السيدة أسما طوبى عن تربية الطفل وتحدثت السيدة ماري صروف عن التربية في الاسرة العربية وتحدثت الانيسة قدسية خورشيد عن شخصية المرأة وقدم الاستاذ خليل بيدس حديثا بعنوان " الى فتياتنا " وقدم أيضا قصة عنوانها " البطلة " (٢) كما استقدمت محطة الشرق الادنى للثقافة العربية في فلسطين علماء وصحفيين مثل الشيخ عبد الله العلايلي والاستاذ الموماني والاستاذ أكرم ملحم كرم (٣) .

هذه هي العوامل المباشرة المساعدة في النهضة الثقافية في فلسطين . وقد تفاعلت هذه العوامل مع عوامل داخلية أخرى فتولدت أنشطة ثقافية مختلفة فقد كثرت النوادي والجمعيات التي ساعدت على إيجاد نهضة تمثيلية مسرحية . نمت وازدعجت بظهور الاذاعة التي جعلت لها جانبا من برامجها . وقد ظهرت في حيفا " جمعية التمثيل الادبي " في مطلع القرن العشرين وكانت محاولة جادة لاهياء التمثيل (٤) وقد نشط في هذا الجانب الاستاذ جميل البحري

(١) ابراهيم طوقان المحاسني ص ٢٧ .

(٢) حياة الادب الفلسطيني ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) مجلة الاديب ج ٣ ص ٥٩ .

(٤) ولاية بيروت ص ٤٩ .

فأخذ يتبع روايته حلقات أخرى وتمثيليات غيرها يقدمها الى رؤساء المدارس لتمثل على المسارح المدرسية والى معاشر عشاق التمثيل الادبي سدا للفراغ (١) وفى بيت لحم قام نادى الشبيبة بتمثيل روايات للجمهور مثل رواية "عواطف" الاجتماعية وقد أمد رئيس نادى الشبيبة الارثوذكسى بيانا خاصا بالتمثيل ومعه رئيس اللجنة التمثيلية وبعض الاعضاء (٢) ومما ساعد النهضة التمثيلية ظهور أفراد أفذاذ فى مجال التمثيل وقد كتبت مجلة النفير تقول " أن هناك شابا شرقيا عربيا يكاد وطنه يجهل شخصيته بينما دوائر برلين الادبية ومسارحها التمثيلية تتفنن بعبقريته وقد بذل جهدا فى سبيل نشر الادب العربى فى أنحاء المانيا فوضع الروايات التمثيلية الحافلة بما قرى العرب بالكتابة فى صحف المانية عن التراث العربى وبالنشاء الشعر العربى فى الاندية الالمانية وذلك الشاب هو عزيز ضومط وأخر رواية وضعها " والى عكلك " التى مثلت لأول مرة على مسرح بلدية (شتر السون) فثالت أستحانا كبيرا وقد عدوه فى الطبقة الاولى من شعراء المانية وأقاموا له حفلة تكريم القى فيها بالالمانية ترجمات شعرية لكل من مطران وشوقى وحافظ وهو من أبناء حيفه (٣) ومن الجمعيات التمثيلية فى هذه الفترة " جمعية الفنون التمثيلية " فى القدس وقد مثلت على مسرح مدرسة الفرير رواية " عنتره " (٤) وللمرة الاولى تظهر المرأة على المسرح عندما مثلت فرقة من شبان القدس رواية ماجد ولين على مسرح سينما صهيون وقد مثلت فرقة الشبان المسلمين الكبرى فى يافة رواية " دموع يائسة " على مسرح قهوة " أبوشاكوش " وفى الثلث الاول من القرن العشرين نشأت الفرق التمثيلية الجواله فى فلسطين والاردن كما فعل فريق الهيئة التمثيلية لنا دى الشبيبة فى بيت لحم حيث مثل " رواية الاستبداد " (٥) .

وقد عنيت جريدة النفير بتشجيع التمثيل وفرقة وتتبع أخبار الممثلين والجمعيات التمثيلية من ذلك حديثها عن النهضة التمثيلية فى حيفه بمناسبة حضور أكبر فرقة تمثيلية عربية اليها وهى فرقة رمسيس المصرية بقيادة يوسف وهبى وجورج أبيض حيث تذكر أن أول من غرس نواة هذه النهضة فى حيفه هى جمعية الرابطة الادبية

(١) الزهرة عدد ٩ ص ٢٥ .

(٢) النفير عدد ١٠ ص ٥ .

(٣) النفير عدد ٢١ ص ١٣ .

(٤) النفير عدد ٢٣ ص ٨ .

(٥) النفير عدد ٣ ص ١١ .

وقد جعلت حفلاتها التمثيلية عامة ومجانية فأتبل عليها سكان حيفه على اختلاف
 مللهم ونحلهم ثم تبعتهما الجمعية الاسلامية فمثلت على مسرح زهرة الشرق
 رواية (فهد الطرابلسي) فلاقت ما تستحقه من الاستحسان وقام
 أعضاء النادي الرياضي الاسلامي بتمثيل رواية " مطلع النساء " وكلها عبثا
 للنساء ولكن للأسف لم تحضر أى واحدة من النساء ثم مثلت فرقة كشافة حيفه
 رواية (الاسود والنعمان) وفي خلال الثلاثة أشهر - شباط - آذار - نيسان
 ١٩٢٩ مثل الاعضاء مايزيد على ثمان روايات (١)

هذه لمحة خاطفة عن نشاط الفرق التمثيلية في فلسطين حتى الثلاثينيات
 الاول من القرن العشرين ولم تكن حكومة الانتداب تشجع التمثيل في فلسطين
 لكونه يضر بوجودها . وفي يافا كانت فرقة نادي الشبيبة الارثوذكسية أنشط
 الفرق التمثيلية في فلسطين (٢) ثم نشط فن التمثيل فدخل المدارس ومختلف
 النوادي والجمعيات ثم ظهر العنصر النسائي بشكل واضح في تمثيل رواية " هملت"
 لشكسبير التي قامت بها فرقة الكرمل التمثيلية ومن بين المثلثات اللائي أجسدن
 أدوارهن " أسيا " خوري وثريا أيوب (٣) وقد تفاعلت هذه العوامل وأسهمت
 في فتح نوافذ على الحياة الغربية فازدهرت الترجمة التي كانت من أكبر هذه
 النوافذ لكثرة الارشادات الاجنبية التي كانت تعلم باللغة الفرنسية والانجليزية
 والاطالية والروسية والالمانية واليونانية حيث وجدنا أن أول مترجم سنة ١٨٦٠
 تأليف دينية (مرشد الاولاد) لفرنسيسكو سوانفيواس وقد عربه مينا يوسف
 دباس اليافوي وطبع في مطبعة القبر المقدس اليونانية (٤) وطبعت مطبعة
 الالباء الفرنسيكان في القدس قبيل القرن العشرين مائة وعشرين كتابا بالعربية
 والتركية والارمنية والعبرانية واليونانية فضلا عن اللغات الاوربية كالايطالية
 واللاتينية والفرنسية والاسبانية (٥) وفي مطلع القرن العشرين وجدنا موضوعات
 غير دينية مثل كتاب " الامومة عند العرب " ترجمها عن الالمانية بندلي صليبا
 الخوري وطبع في قازان سنة ١٩٠٢ (٦) . حتى اذا ظهرت الصحف اتجهت
 الترجمة نحو الحكايات والقصص والروايات . حيث أخذت الطابع الادبي وكسان
 الاستاذ خليل بيدس من أوائل من مارسوا الترجمة الادبية حيث كان يتقن اللغة

(١) النفير عدد ٢٩ ص ٢٩ .

(٢) النفير عدد ٢٩ ص ١٣ .

(٣) النفير عدد ٢٩ ص ١٣ (٤) م : النفير عدد ٣٠ ص ٣

(٥) المشرق عدد ٢ سنة ١٩٠٢/٥ ص ٧٠ (٦) المشرق عدد ٢ سنة

الروسية فترجم عنها الكثير وفي أعداد مجلته النفاثي كان ينشر العديد من الروايات والقصص كما ترجم رواية المملوك الشارد * لجورجي زيدان الى الروسية ومن أوائل المترجمين أيضا الاستاذ أنطوان بلان أحد أساتذة السينما - الروسية في الناصرة حيث نقل رواية " في سبيل الحب " ، ١٩١٢ (١) وخواطر من كتاب " طريق الحب " لتولستوي (٢). وغيرها كثير وقد وجدت جميعها في مجلة الاستاذ خليل بيدس " النفاثي المصرية " ومن الذين ترجموا عن الروسية أيضا سليمان بولس أبراهيم جابر ، وعبد الكريم سمعان ولطف الله الخوري ، وكلثوم نصر عودة وفارس نقولا مدور الذين نشروا قصصهم في مجلة النفاثي المصرية ، ومن الذين لمعوا في الترجمة عن الادب الروسي الاستاذ نجاتي صدقي . كتب للاستاذ ميخائيل نعيمة رسالة بتاريخ ٣ آب ١٩٤٤ جاء فيها " أما الفصول التي تطلعت وقرأتها لي من الدراسة التي تعدها عن بوشكين فقد تركت في ضميري كثيرًا من السرور مع شيء من الامتنان لك ذاك لانك قمت ببعض الواجب الذي كان من المفروض أن أقوم به أنا نظرا للصلة المتينة التي بيني وبين الآداب الروسية .

فقد رشفتها صافية من منابعها الصافية ولكم تمنيت أن يباح لي نقل بعضها الى لغتنا كيما ينعم أبناء الضاد ولو بنفحات من طيوبها النادرة المنال بين آداب الامم وهأنت (٣) تأخذ الكسندريوشكين أعظم شعراء الروس وقمة باسقة من قمم الشعر الباسقات في الارض فتنتقل الى قراء العربية أخبصار حياته القصيرة والحافلة بكل جليل ومد هش من الاخبار وما يزيد في قيمة عملك أنك وقد حصلت قصطا ليس بالقليل تستقي معلوماتك من مصادرها الاصلية ومن ذاك ما يفريني بالامل وقد فرغت من حياة بوشكين أن أراك تتصرف الى نقل بعض المعالم الادبية الى العربية فمن المخجل أن تبقى الى الآن محجوبة عن العرب وما من أمة حية - كبيرة كانت أو صغيرة - لا تتمتع اليوم بنصيب من جمالها الفتان وعناها المفرط ودوحها الانساني العميق (٤) وقد كانت مجلة النفاثي لمنشئها الاستاذ خليل بيدس النافذة الواسعة التي يطل منها الادب الروسي ويعد الاستاذ أنطوان بلان - والاستاذ نجاتي صدقي ممن أسهموا في ثراء الادب العربي الفلسطيني بالادب الروسي على صفحات النفاثي كما أسهم

(١) المشرق عدد ١٢ سنة ١٩٠٢/٥ ص ٥٧٣ .

(٢) النفاثي المصرية جزء ٧ سنة ١٩١٢/٤ ص ٣٤٢ .

(٣) النفاثي المصرية ج ٧ سنة ١٩١٢/٤ .

(٤) بوشكين أمبرا سوا روسيا ن سلسلة أقرأ رقم ٢٨ المقدمة سحر

(٥) كذا والصحيح " ها أنت ذا تأخذ " د . عبد السلام سرحان .

الاستاذان محمود سيف الدين الايراني وعارف العزوني في نقل الادب الروسى المترجم الى اللغات الاوربية الى الادب العربى على صفحات " الطليعة " (١) كما نشط الاستاذ جبران مطر في ترجمة القصص عن الالمانية ونشرها في مجلة النفائس المصرية وكذلك الاستاذ الياس نصر الله حداد ترجم رواية (ناثان الحكيم) عن الالمانية للشاعر الالماني لسنخ وطبعها في مطبعة دار الايتام في القدس (٢) ومن أوجه نشاط الترجمة أيضا ما كان يفعله المجلس المختلط للطائفة الارثوذكسية حيث أعضاؤه اثنا عشر عضوا منهم ستة من الرهبان وستة من العلمانيين وكان من بين العلمانيين الاستاذ خليل بيدس عن الناصرة وكان البطريك يتلو خطابه في المجلس باللغة اليونانية ثم يقوم عضو من الاعضاء ويقرا على المجلس الترجمة العربية للخطاب . وكان الاستاذ توفيق اليازجى يترجم في مجلة (الادب) - قصيدة الخمرة الممزوجة (للشاعر اليونانى يوانس بوليتسى (٣) أما اللفظة التركية فقد توجهت الترجمة اليها في وقت مبكر ولم يستفد الادب العربى كثيرا من الادب التركى بالنسبة لطول الزمن الذى دخل فيه العرب تحت الحكم التركى وذلك يعود أما لضعف الثقافة العربية والترجمة حيث لم تنهيا الدوافع للترجمة أولطفيان الادب التركى على الادب العربى بحيث لم يترك للاخير الفرصة لاستظهار الادب التركى والاستفادة منه . وأما لعدم شعور العرب بالفارق بينهم وبين الاتراك لان الشعور بالشخصية وتلمسها كان رد فعل لنزعة التتريك التى دعا اليها حزب الاتحاد والترقى بعد أسقاط السلطان عبد الحميد ومع هذا عرب المؤرخ - الفلسطينى البحاثة عبد الله مخلص كتاب نامق كمال (سيرة الفاتح) السلطان محمد الثانى (٤) كما عرب الكاتب الاديب حسن صدقى الدجاني رواية (حذار (٥) كما عرب الاستاذ عارف العزوني (ترانابابو) من رسائل شاب حبشى الى زوجته للشاعر التركى الكبير ناظم حكمت (٦) وعن اللغة الانجليزية يترجم أبراهيم حنا حكاية عن حذافرة الفرنساويين وأدراك الانجليز وترجم روزحسون حكاية عن زهرة البرتقال " في النفائس الثفارى وهناك ترجمات دينية ترجمها بولسى صدقى من القدس عن كتاب " تسعة أمثال

(١) الطليعة الاعداد ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ سنة ٢ ص ٥٦٧ - ٥٨٠ ٥٩٣ ٨٦٩

(٢) الهلال جزء ١٠ سنة ٤ ص ١٤٨٣

(٣) النفائس المصرية جزء ١٢ مجلد ٢ ص ٩٢ - ٩٤

(٤) النفائس المصرية جزء ٢ سنة ٣ ص ٩٥

(٥) معرض أقلام الزهرة عدد ٣ سنة ٢ ص ٩٢

(٦) الطليعة عدد ٤ سنة ٣ ص ٢٤٢

لربنا يسوع المسيح (١) ومن أشهر المترجمين أيضا الاستاذ توفيق الزبيبي الذي ترجم مقالا وقصصا لمجلة النفائس (٢) كتاب "ميزان النفس" حيث نشر فصولا منه في معرض أقلام الزهرة (٣) كتاب "الحرية والمعيشة" (٤) وكتاب حديث المائدة للكاتب الاجتماعي الكبير دوزن (٥) وترجم الاستاذ أحمد شاعر الكرمي في الكرميات التي صدرت سنة ١٩٢١ (لشاعر الانجليزى شلى) (فلسفة) الحب و (الحرية) و (التقلب) كما ترجم قصة "الفلسفة الشرقية" للكاتب الفرنسى برنارد بين دوسان بيدر عن الانجليزية وقصة (ما أغلاه) للكاتب الفرنسى جى دى موياسان نقلها عن الانجليزية (أسطورة العمل والموت والمرضى) للفيلسوف الروسى تولستوى عن الانجليزية و (أسطورة العمل والموت والمرضى) - للفيلسوف الروسى تولستوى - عن الانجليزية و (أسطورة الزهرة) - فينوس عن كتاب الصور لمارك تويين وترجم للشاعر الانجليزى بوب "روايته من أو الخريف والربيع" ونشرها في مجلة الرابطة الادبية في دمشق سنة ١٩٢١ وترجم قصة (خالد) للروائى الاميركى ماريون كروفود وقد كان للاستاذ وديع البستاني مجموعة كبيرة من الكتب المترجمة عن الانجليزية في السياسة والاجتماع والشعر والادب . أما الاستاذ أحمد سامح الخالدي فهو من أشهر من نقل عن الانجليزية بحوثا في التربية فقد اعتمد في وضع كتابه (ادارة الصفوف) على بحوث بجلي "Begley" طبع في القدس ١٩٢٨ واعتمد في وضع كتابه (اركان التدريس) على كتاب (الاشادات المعلمين) الذي نشره مجلس التعليم البريطانى وطبع في القدس ١٩٣٧ ونقل كتاب الحياة العقلية لمؤلفه وود وورث كما نقل كتاب (الطريقة المنشورية في التربية والتعليم) وطبع في القدس ١٩٢٥ - وترجم الى جانب ذلك (أقنعة الحب) للدكتور وليم شيتكل ومدارة التحليل النفسى طبع في القدس ١٩٤٦ كما أن زوجته غيرة سالم الخالدي قد قامت بنصيبها في الترجمة عن اللغة الانجليزية فقد كانت تنشر في (الكشاف) سنة ١٩٢٨ سلسلة مقالات - مترجمة بعد ذلك اليانزة هو ميروس عن الانجليزية ونشرتها في المطبعة المصرية في القدس سنة ١٩٤٦ وهى منقولة عن (قصة اليازة) لالفرد تشرش . ومن أشهر المترجمين عن الانجليزية أيضا الاستاذ عجاج نويهض اذا ترجم كتاب حاضر العالم

(١) النفائس المصرية جزء ١٢ سنة ٢ ص ١٠٠

(٢) فن التمثيل في خلال قرن يوسف داغر ص ٤٥١

(٣) النفائس المصرية جزء سنة ٣ ص ١٩٨

(٤) معرض أقلام الزهرة عدد ٧ سنة ٢ ص ٢١٩

(٥) النفائس المصرية جزء ٢ سنة ٦ ص ٧٣ (٦) الزهرة عدد ٢ سنة ٥ ص ١٧

الاسلاص لوثروب ستوارد طبع في القاهرة سنة ١٩٢٤ وهو الكتاب الذي علق على أصوله تعليقات وافية الامير شكيب أرسلان فجاء في أربعة مجلدات وترجم الاستاذ عجاج نويهض كتاب (النظام السياسي) نظرياته وأشكاله) في القدس ١٩٣٣ وترجم الاستاذ عبد الرحمن بشناق رواية في سبيل المجد الاثركويلسر كلوتش في القدس ١٩٣٩ وترجم الاستاذ جبرا أبواهيم جبرا (قصة حياة شلى) لاندريه موروا وترجم قصة (البلبيل والوردة) لارسكاروايلد وقصة (عاشق) - لجورج موسى وله ترجمات غير ذلك (١) .

الترجمة عن الفرنسية :-

لقيت الاداب الفرنسية عناية من الادباء الفلسطينيين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية توازي ما لقيت الاداب الانجليزية ولعل الاستاذ محمد روحى الخالدي يعد من أوائل الذين عنوا بالترجمة عن الفرنسية الى العربية وفي كتاب " فكتور هوجو علم الادب عند الافرنج والعرب ترجمات تاريخية وأدبية وعرض وتصوير واقتباس لكثير من آراء فكتور هوجو في الشعر والنثر ثم دخلت الترجمة مرحلة جديدة يظهر الصحافة حيث أخذت الصحف تترجم بعض القصص والروايات التمثيلية ومن أشهر الصحف التي أعتت بالترجمة " النفيير " " الزهرة " ومن أشهر المترجمين الصحفيين الاستاذ جميل بحرى الذي خصص القسم الاول من " الزهرة " للروايات التي كان معظمها منقولا عن اللغات الاوربية . وقد كان لظهور الاستاذ عادل زعتر فاتحة عهد جديد للثقافة الفلسطينية على الثقافة الفرنسية فمنذ كان في باريس سنة ١٩٣٣ طالبا في الحقوق وهو ينقل الروائع من الثقافة الفرنسية الى العربية في مختلف المجالات من أدب وسياسة واجتماع وتاريخ وفلسفة وقانون حيث ترجم سبعة وثلاثين كتابا ونحن لا يسعنا أن نذكر جميع المترجمين في مختلف اللغات لكثرتهم ولكن يمكننا أن نتصور عدد هم اذا علمنا أن فلسطين كانت مجالا خصبا للارساليات الاجنبية لمكانتها المقدسة وما كانت تسعى اليه كل ارسالية من نشر ثقافتها عن طريق لغتها وما تقدمه من مساعدات في هذا السبيل . وأذا علمنا أن كل دولة اجنبية لها ارسالية في أكثر من مكان واحد مثل بريطانيا وفرنسه وأمريكة وإيطاليا واليونان والمانيّة

(١) حياة الادب الفلسطيني ص ١١٤ - ١١٥

(٢) حياة الادب الفلسطيني ص ١١٤ - ١١٨ .

وروسية اذا علمنا هذا أدركنا مدى انتشار الثقافات الأجنبية بلغاتها في فلسطين لذلك بدأت الترجمة بالكتب الدينية ثم المدرسية وقد كانت هذه الرسائل ترسل المتفوقين من طلابها الى وطنها الأم في بحوث دراسية ليزدادوا اطلاعا على ثقافتها واتقانها للفتها .

أثر الرسائل التبشيرية في الحياة الثقافية بفلسطين :-

بعد أن استعرضنا الحياة الثقافية ببواعثها المختلفة نلاحظ ان الرسائل التبشيرية الأجنبية قد أسهمت في هذه البواعث اسهاما كبيرا ان لم تكن قد هيمنت عليها تماما . فلقد أحدث ضعف الدولة العثمانية سياسيا وثقافيا في البلاد العربية فراغا سرعان ما ملأته الدول الغربية الطامعة في البلاد العربية وقد كان لموقع فلسطين الجغرافي والتاريخ الأثر الأكبر في تركيز هذه المطامع عن طريق زيادة نشاط الرسائل التبشيرية . ~~والتاريخ~~ والتاريخ

ولقد كانت مهمة هذه الرسائل الأولى هي قطع الرابطة التي تربط بين العرب والخلافة العثمانية عن طريق استغلال مظاهر الضعف في الخلافة ثم اضماف البواعث الدينية في نفوس الشبيبة العربية لذلك كثيرا ما كانت تتظاهر باسم التفكير الحر والبحث العلمي والتسامح الديني للطعن في المقدسات والتراث الروحي متخذة من المواقف السلبية للخلافة العثمانية - اتجاه العرب - حجة لها ونحن نلاحظ انه لم توجد في فلسطين دعوة اسلامية حرة تلفت الأنظار الى قداسة هذا البلد التي بارك الله فيها في قوله تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع العليم " (١)

لتبعث في نفوس المسلمين العظة والعزة التي بها يرفضون كل ثقافة غير اسلامية لانها أجنبية بكل صورها واللوانها . بل رأينا بواعث الحياة الثقافية المختلفة تصبح بصبغة تبشيرية فمدارس الرسائل التبشيرية تنتشر في كل فلسطين ويتهافت الطلاب المسلمون عليها وهي لا تدرس شيئا عن الاسلام بل وتدرس لهم اشياء عن المسيحية حسب الطائفة التي تنتمي اليها هذه الرسائل وكذا الطباعة فـأول

(١) سورة الاسراء الآية الاولى

ما عرفت عن طريق اليهود سنة ١٨٣٠ حيث أنشأ " نسيم أقي " في القدس أول مطبعة في فلسطين أما الصحافة • فقد كان للمسلمين فيها نشاط ملموس ولكن الموضوعات التي تشرق قد كانت بعيدة عن التوعية والثقافة الإسلامية وهذا يعود اما الى مؤسسي هذه الصحف ضعيفي الثقافة الدينية بسبب تعلمهم في مدارس تبشيرية او ان الموضوعات الدينية لم تلق رواجاً بسبب ضعف الثقافة عند المسلمين وكذلك الجمعيات والأندية فقد انتشرت في فلسطين باسماء مسيحية لكل الطوائف وتعد هذه الجمعيات بنشاطها ثمرة للمدارس التبشيرية كما يعد التعليم نشاطها النظري وكذلك الاذاعة فان أثرها لم يكن فعالاً كأثرها اليوم لقلة من يملك أجهزة الراديو ثم ابراهيم طوقان الذي درس في الجامعة الاميركية في بيروت لا أجد في ديوانه قصيدة واحدة تشير الى أي أثر للدين في تفكيره ثم التمثيل الذي هو أبعد ما يكون عن النزعة الدينية ثم الترجمة التي نشطت في فلسطين نشاطاً ملموساً أظهر مدى فاعلية المدارس التبشيرية في الناشئة الفلسطينية وكفى أن الأستاذ عادل زعير وحده قد ترجم سبعة وثلاثين كتاباً عن الفرنسية •

كل هذا يلقي ضوءاً على البيئة الثقافية التي نشأ فيها الشيخ يوسف النبهاني الذي نشأ في بيئة ثقافية في قريته - أجزم - التي تختلف عن البيئة الثقافية الفلسطينية العامة • فقد كان تعليمه بعيداً عن متناول المدارس التبشيرية في قريته وعلى والده الأزهرى فقط حتى اذا بلغ السابعة عشر من عمره رحل الى الأزهر الشريف ليشرّب من النبع الديني صافياً من أيدي علمائهم الذين حرسوا هذا الدين في أحلك العصور وأظلمها وما زالوا يفعلون •

ولعل هذا كله يفسر لنا كيف أن النبهاني لم يستخ مؤثرات الحضارة الغربية في عصره والتي كانت تفتح قلوب المثقفين في بلاد الشام لها بكل قوة ولكنها لم تستطع ان تؤثر في الشيخ النبهاني لسمعها فقط بل لقد زادت من عنادها وكبرياء عليها وكان لا يلتفت لها الا بعد أن ينظر حكمها في القرآن والسنة حتى اذا وجدها يرفضانها ضرب بكل المسوغات التي أخذ الناس بها عرض الحائط ومن هذه المسوغات تغير الأحوال والازمان والضرورات - الاجتماعية ومقتضيات العصر وغيرها ثم يعود ليتفنى بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تمجيداً وتبجيلاً وكأنه يرى فيه وحده الأنموذج الذي يجب أن يحتذى وانه الانسان الكامل بما دعا اليه من تعاليم الاسلام التي بها وحدها خلاص البشرية من مشاكلها والامها •

الباب الاول

(عصره وبيئته)

الفصل الرابع :

الحياة السياسية والاجتماعية :

النظام الاداري :

عندما استولت الدولة العثمانية على بلاد الشام اناطت الحكم فيها بولاة كانت تعيينهم من بعض الموظفين الذين ترافقهم قوات عسكرية وقسمت البلاد الى ايلات : الشام وحلب وطرابلس الشام ، وعلى رأس الالة موظف يعرف بالوالي يعود بأموره الى وزير الداخلية في استانبول ، وكل ايلة تشتمل على عدة ألوية أو متصرفيات يحكمها الولي أو المتصرف ، وتتألف المتصرفية من عدة أقضية يحكم كل قضاء منها قائم مقام وكل قائم مقامية تتألف من عدة نواح يحكم كل ناحية منها مدير ناحية وتضم الناحية عدة قرى ينوب في كل منها عن مدير الناحية أحد ها ويعرف بالمختار وكانت ولاياتها هي :-

- (١) ولاية حلب وتشمل شمال البلاد السورية :
- (٢) ولاية طرابلس الشام وتشمل وسط البلاد وتضم طرابلس وحماه وحمص والسلمية وجبله .
- (٣) ولاية الشام وتشمل جنوب البلاد وكانت تتألف من دمشق والقدرس وغزة ونابلس وتدمر وبيروت وصيدا وفي عام ١٨٦٠ م أنشئت ولاية صيدا لتضم مدن السواحل وعلى أثر الفتنة بين الدروز والنصارى استقل جبل لبنان (ولا يضم بيروت) استقلالاً ادارياً بوحدة ادارية خاصة يتولاها متصرف برتبة وزير مرتبط برئيس الوزراء الذي كان يعرف بالصدر الاعظم ، وحوالي عام ١٨٨١ أنشئت متصرفية القدرس وصارت تتبع وزارة الداخلية في العاصمة استانبول مباشرة ، والحق بها أقضية يافة وغزة والخليل وبئر السبع . كما أنشئت في السنة ذاتها متصرفية بدير الزور ، وفي سنة ١٨٨٨ أنشئت ولاية بيروت لتحل محل ولاية طرابلس وصيدا ويتبعها متصرفيتا نابلس وعكة ، وكانت تضم متصرفيات حماه وحوران والكرك التي أنشئت سنة ١٨٨٧ وعجلون ويتبع حوران متصرفية

الكرك أقضية السلط ومعان والطفيلة •

وفي سنة ١٩١٠ كان قضاء عجلون يتألف من مدينة واحدة هي أربد ومن ناحيتي كفر نجة والكورة كما أن متصرفية الكرك كانت تشمل ثلاثة أقضية وهي السلط ومركزه السلط ويتبعه ثلاث نواح هي مادبا والطفيلة ومعان وتسع قرى و ١٢ مزرعة وقضاء معان وقصبته معان ويبقى ناحية الشوك وقضاء الطفيلة المؤلف من الطفيلة وقراها (١) •

يقول الاستاذ خليل طوطم " أما في القرن التاسع عشر فقد أُنْتَاب

فلسطين تقلبات إدارية كثيرة نلخصها فيما يأتي :-

كانت عكة حاضرة فلسطين الإدارية الوحيدة ثم أقتطعت صيدا قسما منها وبعد حين أخذت الشام نابلس وبلادها وظلت البقية تابعة لمكة ثم التحقت جميعها بالشام مركز الحاكم العام " باشا الدورة " أما النظار والمتسلمون " حكام البلاد " فكانوا وطنيين من أبناء فلسطين يحكمون مقاطعاتها ويجبون الضرائب ويجمعون الجنود ويطوف عليهم " باشا الدورة " فيأخذ منهم ما تعهدوا به فلما اعتزم السلطان محمود الإصلاح ألغى فرق الانكشارية وأبادها ومحا الطوائف الأخرى واستبدل بها فرقا منظمة وغير العمامة بالطربوش الرومي وتزيا بالزى الأوروبي وأمر باتخاذ زي رسمي وعسكريا ثم جاء بعده من السلاطين من نفوا بعض النظار من أمراء الاقطاع الى طرابزون وحولوا النظارات والمتسلميات الى مديريات على رأسها وطنيون ثم ألغيت المديريات وتجرد المشايخ من الوظائف المحلية الاقطاعية واستولى الاتراك على البلاد فعلا فأمروا بتحرير النفوس وطوبوا الأرضين ونظموا إدارة الامن العام وأسسوا العدلية فكانت محاكم فلسطين تستأنف الحكم الى عدلية الشام ثم تحولت الى عدلية بيروت وامتازت القدس فصار متصرفية تخابر الأستانة مباشرة في الأمور الإدارية وفي ابتداء القرن العشرين تأسس فيها محكمة استئناف فأنضم اليها لسواء نابلس وظل لواء عكة ملحقا ببيروت ومن ثم حكم العثمانيون البلاد بلا واسطة فأرسلوا مأموريهم الاتراك وقبضوا على دفة الإدارة واتصلوا بالشعب ولكنهم تقربوا من أصحاب النفوذ وراعوا امتيازاتهم القديمة لا ستمالتهم فتعادوا في غطرستهم واستعانوا بقوة الحكومة واتخذوها آلة لتنفيذ مآربهم وتسابقوا الى الطاعة وترويض أوامر الحكومة ابتغاء الحظوة عند المأمورين وكان من كسب ثقتهم وظفر بودهم يعد

(١) بلادنا فلسطين - الديار النابلسية - ج ١ ص ٩ - ١٠ • بتصرف

سعيد لأنه يستفيد من صحبتهم بغض أبصارهم عن أعماله مهما كانت فيبطش ويستبد^(١) .

وخلاصة القول أن فلسطين قد قسمت الى ثلاث متصرفيات في العهد العثماني هي :-

(١) متصرفية القدس ومركزها القدس وهي تتبع الاستانة مباشرة وتشمل مسدن و غزة و بيقة و بئر السبع و اللد و الرملة و رام الله و بيت لحم و الخليل و المجدل .

(٢) متصرفية نابلس : وتتبع ولاية بيروت وتشمل مناطق نابلس وقلقيلية وطولكرم وجنين وغور الفارعة .

(٣) متصرفية عكة وتتبع ولاية بيروت وتشمل مناطق عكة والناصرية وصفد وطيرة^(٢)

وما تجدر الاشارة اليه ان الخلافة العثمانية لم تكن تميز او تفاضل بين ولاياتها عربية كانت او غير عربية وعلى هذا نصت المادة الثانية من القانون الاساسي الذي اصدره الخليفة العثماني بكتاب توجيه الى وزيره في ٧ من ذي الحجة ١٢٩٣ على ما يأتي :-

الفقرة الاولى :-

" ان الدولة العثمانية تحتوى على الممالك والقطع الحاضرة وعلى الايلات الممتازة وجميعها جسم واحد لا يمكن تجزئته بوقت عن الاوقات او بسبب من الاسباب " .

الفقرة الثانية :-

" ان مدينة استانبول هي عاصمة الدولة العثمانية^(٣) ومقرها غير معفاة او ممتازة عما سواها من جميع البلاد العثمانية " وعند ما خضعت فلسطين للاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى قسمت الى ستة الوية وضمت ستة عشر قضاء على النحو التالي :-

(١) لواء القدس ويضم : القدس والخليل وبيت لحم ورام الله واربعا وبيت ساحور والمبيرة .

(٢) لواء غزة ويضم المجدل وبئر السبع والفالوجة واسدود وخان يونس ورفح والنقب ومركزه غزة .

(١) تاريخ فلسطين الاستاذ خليل طوطح ص ٢٦١ - ٢٦٣

(٢) جغرافية فلسطين محمد سلامة النحال ص ١١٣

(٣) كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ج ٦ ص ٥ جمع سليم فارس الشدياق وكذلك الجوائب عدد ٨٣٦ يوم الخميس ١٩ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ .

- (٣) لواء اللد ومركزه يافة ويضم ثل أبيت واللد والرملة ويافة •
 (٤) لواء السامرة ومركزه نابلس ويضم جنين وطول نكرم وقلقيلية •
 (٥) لواء الجليل ومركزه الناصرة ويضم صفد وطبرية وخطين وسقوريا وترشيحا وسلمنح وبيسان •

(٦) لواء حيفا ومركزه حيفا ويشمل مناطق حيفا وعكة وشفا عمرو •
 وفيما بعد أعادت حكومة الانتداب تقسم فلسطين الى أربعة ألوية هي : -

- (١) اللواء الجنوبي ومركزه يافة •
 (٢) اللواء الشمالي ومركزه حيفا •
 (٣) لواء الجليل ومركزه الناصرة •
 (٤) لواء القدس ومركزه القدس •

المسألة الشرقية :

وهي عبارة عن أطماع الدول الغربية لاقتسام أملاك الدولة العثمانية - الجبل المريض - بحجة حماية الأقليات الدينية وتحرير الشعوب ولعل المسألة الشرقية تبدو واضحة بعد ثورة اليونان على السلطنة عام ١٨٢٥ فأتجهت أنظار الساسة الأوروبيين الى تركيا وهم بين طامع فيها يود تقسيمها ومحافظ عليها يود أن يجعلها ترسا لمصالحه ، وقد كانت هذه الأدوار تتوزعها روسيا والمانيه وفرنسة وبريطانيه حسب مصالحها غير أن الدول الأوروبية كانت على اتفاق بصدد تحرير اليونان عملا بمبادئ الثورة الفرنسية ظاهرا وتحقيقا لتحرير العناصر والدول المسيحية من رقبة حكم الاسلام باطنا ، ولما رفض الباب العالي تدخلهم أحرقوا الاسطولين العثمانيين والمصري في موقعة نافارين باليونان وزحفت روسيا لتحرير مكدونيا وما حولها ومسكن هنا كانت بداية " المسألة الشرقية " في عرف الدول الغربية وهي في الواقع رجعة الى الحروب الصليبية من جانب أوروبا حيث اتخذ بعضها المطالبة بالاصلاح وحماية ومساواة الأقليات في الحقوق حجة لتدخله وكانت روسيا تطالب باجلاء المسلمين عن سائر أوروبا المسيحية • ولما تقدمت جيوش ابراهيم باشا المصرية سنة ١٨٣٩ م واحتلت سورية كلها ودخلت تركيا متوجهة الى دار الخلافة وقفت الدول الأوروبية الى جانب تركيا وأعادت سورية لدار الخلافة ، وعندها أصبح مصير تركيا بين أيدي ساسة أوروبا عندها أعلن السلطان عبد المجيد " فرمانا سلطانيا " وعدة اصلاحات لتحسين وضع الأقليات كانت تسير ببطء لقللة الكفاء من رجال الدولة بالاضافة الى

ان رعاياها كانوا غيبة كاداء في سبيل تحقيقها ، وقد أشار فيكتور يرار الى هذا فقال * لقد كان المسلمون يطلبون الأفضلية التي يجب أن تكون من نصيب المؤمنين وحدهم في بلاد الخلافة بهذا كان النصارى يحرصون على الحقوق والامتيازات الموروثة التي كانت لطوائفهم ولكنائسهم وكان وراء المسلمين الإسلام وعطف الدولة وكان خلف النصارى الدول الأوروبية ودسائسها وتدخل جيوشها .

وقد أدت روسية دورا مهما في عرقلة مساعي الإصلاح واثارة الدول الأوروبية لتجزئة السلطنة واثارة الفتن في أمصارها عن طريق تزويد دول البلقان بالسلاح (٢) ولما أشهرت روسيا الحرب على تركيا في حرب القرم عام ١٨٥٣ وقفت تركيا وفرنسة واجتهدا ضد ما فعلت مطامع روسية ولكن هذه الحروب حملت الخلافة عجزا ماليا جعلها تقدم على أول قرض من أوروبية ، وقد اضطرت السلطنة لان تصدر فرمانا باسم " الاصلاحات الخيرية " (٣) لمضمون الاصلاحات التي أعلنت على أثر الحملة المصرية ترضية لباريس ولندن وهو المشهد نفسه الذي حدث حين قامت فتنة في بلغارية في عام ١٨٢٥ وجعل الأتراك يطاردون الثوابة ويتمقبونهم من مكان الى آخر حتى لجأوا الى احدى قري بلغارية واسمها " بئيك " ودخلوا كنيسة القرية يلوذون بمقدساتها فما كان من الأتراك الا ان صبوا عليها البترول وأشعلوا فيها النار حتى أفنوها عن آخرهم وقد رعد الضحايا بنحو خمسة آلاف نفس ، فلما وصل نبأ هذه الفظائع الى حكومات أوروبية ثارت ثائرتها وأعلن جلاد ستون السياسى الانجليزى الشهير قوله المعروفة " ان الأتراك يجب أن يرحلوا عن أوروبية بقضهم وقضيضهم " .

الموار

واجتمع مندوبو الدول في استانبول يتداولون ويبحثون فيما يجب اتخاذه من القرارات والضمانات حتى لا تتكرر مثل تلك المآسى في البلاد الخاضعة للسلطان خاصة أوروبية . وبينها كان المندوبون جاكين في مداولاتهم اذا بطلقات المدافع

(١) فلسفة التاريخ العثمانى محمد جميل بيهم ج ٢ ص ١٥٩ راجع ايضا كتاب موقف

العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ج ١ ص ٧٩ - ٨١ .

(٢) عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٧٢ - ٧٣ راجع ايضا تاريخ الدولة العلية ص ٣٤١ .

(٣) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦٠ .

من قلاع استانبول تطرق آذانهم وتعلن للملاء صدور دستور جديد للبلاد عام ١٨٧٦^(١) وهي بداية تولي السلطان عبد الحميد الثاني للحكم . ومن باب " الشئ بالشئ " يذكر " نود أن نذكر ما لحق المسلمين البلغاريين على يد الروس من قتل وعذاب فقد نشرت الجوائب ترجمة المضبطة التي كتبها ووقعها عدة من مراسلي ومخبري الجرائد الاجنبية نقلا عن جرائد بك أوغلي وهي " نحن مخبري الجرائد الاجنبية الواضمين أسماءنا وامضاء نابذيل هذا الرقيم القاطنين الان في شـمـلـه نرى من الواجب علينا ان نعيد هنا على سبيل الاجمال ما حررناه سابقا بالتفصيل الى الجرائد من جهة الفضائع المفارقة للانسانية التي جرت في البلغار على المسلمين البريئين ونصرح بأننا رأينا بأنفسنا في زغراد وشملتا نساء واولاداً ورجالا مجروحين بضرب السيوف ووخز الرماح من عساكر الروسية وفي بعض الأحيان من البلغاريين وسمحننا أيضا منهم أن سكان عدة قرى من المسلمين قتلوا عن آخرهم وطرحوا جثثهم في مواطنهم وفي الطريق وفي كل يوم يأتي كثير من المجروحين ونصرح أيضا بأن اكثر هؤلاء المظلومين من النساء والأطفال " محل الامضاء " فـتـسـفـر لـر مـخـبـر مـنـشـر غارديان ساترغر كويلنغ زيتنغ وغيرهم (٢) .

أما حماية الأقليات فكما أنها أريكت الدولة العثمانية للتمييز بين رعاياها فـسـى الحقوق والواجبات . . ألحقت أضرارا بالغة بالمسلمين وهم الأكثرية الذين عاشوا مئات السنين مع هذه الاقلية ولم يميزوا أنفسهم عنها بشئ . وقد ظهرت حاجة الأقليات للتمييز نتيجة لأطماع وتحريض الدول الاجنبية التي جعلت من علاقتها الدينية بهذه الأقليات وسيلة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية تمهيدا لاقتسامها وقد نالت هذه الأقليات امتيازات كثيرة نتيجة لرعاية الدول الأجنبية الفنية لها فنالت حظا وافرا من التعليم والمساعدات الاقتصادية مما أهلها لأن تظهر وتعلو على حساب الأكثرية المسلمة التي لا ذنب لها الا أنهم مسلمون وقد أصبحت هذه الاقليـات ركائز ثقافية واقتصادية للدول الغربية التي يتشابهون معها في الطائفة الدينية وكانت أيضا محاطة بسور سياسي استعماري بحراسة دول أجنبية لم تربطها بهـذه الاقلية أى رابطة طيلة مئات السنين .

للتمييز

(١) التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) الجوائب عدد ٨٨٠ ص ١٨ رجب ١٢٩٤

وأضرب مثلاً واحداً لأقلية يهودية في صفد وكيف أنهم كانوا مدللين بفعلهم
 حماية الدول الأجنبية لهم " فقد ذكر السائح الانجليزي الموجود سنة ١٩٤٥
 (كينج لوك King Locke) في كتابه " Eathon " في الفصل
 الذي عقده باسم النبي دأمر يقول فيه " سمعت وأنا في طبرية ان أهل صفد
 متمصبون ويكرهون الأجنيبي لذلك لم أدخل المدينة بل نصبت خيامي في ظاهرها
 وتحت جناح الظلام زارني وفد من يهود صفد وكم ضحكت عند ما خاطبني أحدهم
 بقوله : يا مواطني مع أنه مولود في جبل طارق باسبانية ثم قال ، ان حالتهم سيئة
 جداً ولم يذوقوا طعم الراحة في صفد ، ولكنهم مضطرون للبقاء فيها بسبب قد استمها
 وفي هذه السنة أصيبوا بنكبة فادحة فان أحد دأمرش المدينة واسمة الشيخ محمد
 دأمر وقف مرة في السوق وصاح بأعلى صوته " ان اليفمة " (الهجوم) على حارة
 اليهود قريبة في أول ربيع سنة ١٢٥٠ هـ فمر الناس به غير مكترئين وما ان حل اليوم
 الموعود حتى كانت جموع القرى تملأ حارة اليهود ومحمد دأمر يتقدمهم وهو يصيح :
 هذا هو اليوم الموعود فهرب أكثرنا والذي بقي لم يتجاسر ان يبدى حراكاً حتى
 كان الولد المسلم الذي لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره يذهب الدار وصاحبها اليهودي
 لا يجرؤ على رفع رأسه اليه فضاعت أموالنا وأمتعتنا وكل ما نملك ثم علا نحيجه حسرتي
 استدر عطفى ، وتكلم الثاني ورجاني أن اعمل ما في وسقى لانصافهم فقلت في نفسي
 يجب ألا أتدخل فيما لا يعنيني ومع ذلك طيبت خواطرهم وقلت لهم سأتوسط
 لكم عند الباشا وصدىقى قنصل بريطانية فيها وصرفتهم ولكنهم عادوا بعد خطوات
 قليلة يرجوننى ألا أذكر على أسنتهم أى شىء لأن ذلك سيؤدى الى الشدة عليهم
 من جديد ولا فائدة من مراجعة الحكام فانهم شركاء في أموالنا من أصفر فلاح الى
 الوالى نفسه وفي الصباح جائتني نساءؤهم بأنواع الكعك والحلوى وقناني الخمر التى
 اكتسبت لونها من حمرة خدودهن^(١) وارسل وجوه صفد رسالة الى الامير خليل باشا
 الامير بشير الشهابي الثاني صديق المصريين ذكروا فيها " .. وحارة اليهود فسى
 نفس صفد صار عليها نهب من أهالى الدبرة والجبل ... ولما علم بشير الشهابي
 أن كل شىء تم في صفد قصد لها من الصفافة ولما وصل اليها جمع اليهود فيها
 وسألهم عن منهوباتهم فقالوا : لا يعلم مقدار ذلك الا الله ولكن المال وحده يزيد
 على أربعة وتسعين خزنة في كل خزنة عشرة أكياس وفي كل كيس خمسمائة ذهبية

(١) من تاريخنا محمود المابدي ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

فطلب من الأعيان تقديم هذا المبلغ فاقسموا له باغلف الأيمان أن كل ما يملك يهود صفد لا يوازي عشر معشار ما ادعوه فلم يسمع كلامهم بل ضبط بيوتهم وأرزاقهم وأخذ يعذبهم حتى هرب كثيرون منهم إلى عكة والناصرية وغزة ودמשق ومصر وهذا سر كثرة أسماء أسيرة الصفدي * . في خارج صفد ويقال : أنه مات عدد عظيم من الرجال تحت أسواط عذابه ثم أرسل إلى سجن عكة ثمانية عشر من ذوى المقام فيها * ومنهم نائب صفد (عبد الفنى النحوى) ومفتى صفد (محمد السلطى) والنقيب السيد على ومصطفى العبدونى وسليم محمد القواسمى وغيرهم .

والمغرضين

ومما تجب ملاحظته أن القناصل الأوروبيين والمؤلفين والمغرضين قد بالفوا في الخسائر التى أصابت يهود صفد وها هو ذا جرمانوس بحرى الذى أرسل إلى صفد ليدرس حالة اليهود عاد بتقرير إلى محمد على باشا وإلى مصر يقول فيه : -
بما أن قناصل الدول قد أكدوا لليهود أن الحكومة المصرية ستدفع خسائرهم من خزانتها فإن الكثير من اليهود قد اعتدى على الحق وبالفوا فيه ولقد بذلت قصارى جهدى فى أن أحمل الحاخامين على الرجوع إلى الحق ولكن لم أنجح (٢) .

وفى هذا الموضوع كتب حنا بك بحرى إلى ابراهيم باشا كتابا هذا نصه :
" أن شقيقى عبدكم كان قد ذهب إلى صفد بأمورية تحقيق منهوبات اليهود القاطنين فى الجهة المذكورة فعند وصوله إلى هناك علم أن قوائم المنهوبات المقدمة من طرف هؤلاء اليهود تتضمن أشياء لا وجود لها كما أن الثمن المقدر للأشياء المدونة يبلغ الضعف لأنهم زعموا - باغواء بعض وكلاء القناصل - أن بدل منهوباتهم سيصرف لهم من الخزينة وبما أن الكولونيل كامبل (قنصل بريطانية فى الاسكندرية) قدر خسائر اليهود بسبعين ألف جنيه وهو من المقاومين لسلطان محمد على فعلىنا أن نفترض على صحة ما قيل من أن محمد على لم يعتقد أن هذه الخسائر تجاوزت ٢٥ أو ٣٠ ألف جنيه وعندنا وثيقة رسمية محفوظة فى السجلات الملكية فى القاهرة كتبها باغوص بك الأرمنى فى ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٣ هـ بأنه علم من افادة :
جواز إعطاء الرد بعدم ورود تعليمات عند وقوع استفهام من قناصل الدول الأربعة عما يختص بمسأله صفد ، والباعث لذلك ما ورد من سليمان باشا (الجنرال سيف

(١) من تاريخنا محمود العبايدى ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢ - ٢١٣

الفرنسي (رئيس الجهادية وأنه قد استحب اعطاء الاجابة عند الاقتضاء هكذا
 * أمر من محمد علي باشا الى باغيس بك في ٢٩ رجب ١٢٥٣ خ * قد علمت
 نتيجة تقارير القناصل الجنرالالية المختصة بمادة سلب يهود صفد المقال بوقوع ذلك
 بأدلة غير مقبولة وتصميمهم على مصادرة أملاك أناس فقراء مسلمين تلك الجهات
 الغير مجنوحين فيها وبما أن قبول رغائب الملوك اليهم هذه أمر لا يتصور ولم يسبق
 تنفيذ أغراض مثل هذه في مملكة ما كما هو في احاطة علمهم لكن ما دام أصدقائنا
 القناصل أصروا وصمموا على ذلك فتخلصنا من هذه القائلة قد صدرت الاوامر خطيا
 الى سليمان باشا ببيع أملاك وعقارات هؤلاء الفقراء لتقسيم اثمانها على المدعين كذبا
 وتلك الاوامر مرسلة على طيبة لتسليمها الى القناصل ليوصلوها بمصرفتهم الى الباشا
 الموما اليه ومع كل هذه الترضيات التي قدمها محمد علي باشا الى الدول الاربع
 بريطانية والنمسة وروسية وبروسية فانهم لم يرضوا عن حكومته وساعدوا الدولة العثمانية
 عليه ولما تكاثفت هذه القوى على ابراهيم باشا واضطر لمغادرة الشام الى مصر لحقة
 الجنرال جوكموز *TOKMOZ* من حاصبية الى صفد في أول كانون اول سنة
 ١٨٤١ (١) ولما لم يدرك فيها فقد أسرع الى جنين وهكذا عادت البلاد الى الحكم
 التركي .

من هذه الحادثة نلاحظ دهاء اليهود وسياستهم في تقديم نسايمهم الى
 الرحالة الانجليزى كينج *Kinglocke* ثم نلاحظ انشدة البالفة في عقاب
 أهالى صفد من قبل والى عكة الأمير خليل ابن الأمير بشير الشهابى وكأن في نفسه
 عقدة الخوف من أن تتخذ الدول الغربية هذه الحادثة وسيلة للتدخل والاحتلال .

ثم نلاحظ كذب اليهود في تقدير الأموال المنهوبة التي لا يعقل أن تكون كل
 هذه المقادير منها عند هؤلاء النفر من اليهود في قرية صغيرة مثل صفد ، وقد كان
 كذبهم واضحا كما جاء في تقرير جرمانوس بحرى وكذلك في رسالة حنا بحرى السالفة
 الذكر ، وما يلاحظ من رسالة حنا بحرى من أن الوالى محمد علي باشا أمر ببيع
 جميع أملاك أهالى صفد لتقسم على اليهود فيها لترضية الدول الأربع بريطانية
 والنمسة وروسية وبروسية خوفا من تدخلها في أوضاعه الداخلية ليس أكثر ، ومع
 هذا وقفت هذه الدول الى جانب تركية واعادة سورية اليها .

واعادرت

والمسألة الشرقية قامت على أساس التعصب الدينى لفصل البلاد البلقانية عن الدولة العثمانية ولجعلها مسيحية وعن طريق امتيازات الأقليات الدينية فى البلاد العربية كل هذا كان واضحا من خلال المرائض التي كانت تنهال على الملكة فكتورية طالبة انقاذ المسيحيين من مذابح المسلمين وكان جلاد سستون زعيم حزبى الاحرار فى انجلترا يلقي الخطب ويؤلف الرسائل ناسبا الى تركية اضطهاد المسيحيين مبشيرا الى السلطان عبد الحميد بقوله " الشيطان " عدو المسيح " وهذا اللورد كرومر سكرتير سفارة انجلترا فى الآستانة يكتب تقريراً مطولاً عن المسألة البلقانية ينسب فيه الى المسلمين ارتكاب جرائم بشعة فى الانتقال من المسيحيين مقترحاً أن يكون حكام هذه الأقاليم مسيحيين كما اقترح أحد كتاب فرنسة القضاء على المسلمين ونشئ قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ونقل عظامه الى متحف اللوفر فى باريس كل هذه الشواهد تدل على ان الروح المدائية الغربية تجاه الخلافة العثمانية كانت صليبية عدوانية .

ولكن المسألة الشرقية لم تخل من بعض المسائل الايجابية بآثارها على الشرق يقول الأستاذ العقاد " وكانت المسألة الشرقية قد تمخضت عن دوراً خروراً دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركة الرجل المريض فبعد ان كان الفرض من المسألة الشرقية انتزاع الاقطار المسيحية من أملاك الدولة العثمانية اصبح هذا الفرض كما قلنا فى كتاب ضرب الاسكندرية هو تقسيم اقطارها جميعاً من مسيحية واسلامية وتبادل الاعضاء عن كل نصيب متفق عليه يقس في قبضة الظالمين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها بقيد الحياة (٤) " .

" الا أن المسألة الشرقية صنعت من المعجزات فى ايقاظ الشرق مالم تصنعه الحروب الصليبية لأن الشرق العربى انتصر على الغرب فى تلك الحروب ورد عادية الدول الأوروبية عن دماره ففتح بها انتهى اليه وتبقى على حاله التى هو فيها وهبسط من بعدها دركا تحت درك حتى أصبحت امم بين موروث يقيد الحياة وبين مسيرات

(١) عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٧٤ .

(٢) تاريخ الدولة العلية ص ٣٣٩ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٨٠١ .

(٤) محمد عبدة - العقاد ص ٩ - ١٠ .

كأسلاب الثنيمه فبمن بقدررون على السلب والاقتسام •

نعم ان المسألة الشرقية جاءت فى أوانها هذا فصنعت من المعجزات ما لم تصنعه تلك الحروب وكان سر هذه المعجزات أنها فتحت اعين الشرق على مواطن عجزه ونقصه وعلمته قهرا ما كان يابى أن يتعلمه بأختياره فأدرك حاجته الى التفسير الحاجل وأدرك ما هو ألزم له من ذلك وهو حاجته الى علم يجهله واعتقاده أن أم الغرب قد انتصرت بذلك العلم عليه وأنه لا غنى له عن ذلك العلم ليستعيد القسوة التى انتصر بها على أعدائه قبل أن ينتصروا عليه ويأخذوا عليه كل طريق غير طريق الفناء ومن لم يطلب التفسير بعلم يتعلمه من المنتصرين عليه كان أبله أو أحمق فقد آمن بأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وآمن بأن قومه غيروا دينهم فتخاذلوا واتخذلوا فلا نجاة لهم بغير الرجوع الى الدين الصحيح مبرا من لوثته البدعة والخرافة سليما من شبهه الدجل والفظة (١).

وقد كان الشيخ يوسف النبهانى من القائلين بهذا الرأى من وجوب الأخذ بأسباب الصناعات الحديثه على ألا تكون على حساب ديننا كما سنوضحه فى معالم شخصيته ان شاء الله تعالى •

الجامعة الاسلامية :

تسلم السلطان عبد الحميد العرش عام ١٨٧٦ وقد كانت السلطنة تعاني أشد الأزمات فقد استنفدت أموال القروض ولا سيما منذ أصبحت مشفوعة بتبذير عمه السلطان عبد العزيز فى حين أن أوروبا التى كانت تلح على تركية من اجل تحقيق ما وعدت به من الإصلاحات وتهددها اذا اجمت وفى الوقت نفسه كانت تعمل على إثارة العناصر فى كل مكان فلا تترك للدولة مالا ولا وقتا لتحقيق هذه الإصلاحات •

وقد كانت همّة السلطان عبد الحميد عالية فى تحقيق الإصلاح فمنذ ان تولى السلطة فأجأ مؤتمر سفراء الدول المجتمعة فى الأستانه لتقرير نوع الإصلاح فى شرق

(١) محمد عبدة الاستاذ العقاد - ص ١٠ - ١١

أوروبا العثمانية فاجأهم بإعلان الدستور • ولكنه سرعان ما عاد والخاء لانه وجد
ان المساواة بين العناصر والمطل لم يكف أطماع روسية بل أعلنت عليه الحرب كما
ان الدول الطامعة الاخرى لم تكف عن تحريض الشعوب على الفتن التي بهيئت^{وا} خلون
في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية •

•••• وأخيرا خرجت تركيا من شرق أوروبا بموافقة بريطانية التي كانت تقصف
في وجهه اى تقسيم للسلطنة •

وقد كان السلطان عبد الحميد يقيم سياسته على أساس التوازن السياسي
الدولي الغير الثابت مما يلحق بسيادة السلطنة خسائر فادحة كما حدث في الممالك
العثمانية في شرق أوروبا فتأكد له ان لا منجاة للدولة الا بهيأة القوة ولكنه كان لا
يملك المال والرجال فتلاثة أرباع شعبه يتخفزون للثورة عليه والانفصال عنه • فلم
يجد امامه الا عواطف المسلمين في أقطار العالم الاسلامي وأنظارهم الشاخصة
الى دولة الخلافة • ولم يكن السلطان عبد الحميد يحتاج الى مزيد دعاوية
للجامعة الاسلامية فان هجوم كرومر الدائم على المسلمين في بعض تقاريره وفسي
كتايبه اللذين ظهرا بعد مغادرته مصر " مصر الحديثه " وعباس الثاني " (١)
وتصورهم في صورة الهمج المتخلفين وان الاسلام غير صالح لان يكون دينا لمجتمع
راق ، ومما قوى فكرة الجامعة الاسلامية ايضا مخاصمة الدول الاوربية للدولة العثمانية
باسم الدين حمية لدول البلقان المسيحية (٢) .

والحقيقة ان الشعوب الاسلامية كانت في حالة من التمزق والتفرق والتأخر
السياسي والثقافي لا تسمح بانضمامها الى رابطة او وحدة في يوم ما ، وقد كشف
مصطفى كمال عن هذا المعنى فقال " انه لا يوجد مسلم متصور يمتد لحظة واحدة
ان الشعوب الاسلامية يمكنها ان تؤلف عصبة ضد أوروبا ان الحقيقة الساطعة الخالصة
من كل شئ هي ان حركة الجامعة الاسلامية بالمعنى المقصود منها في أوربية
لا وجود لها بالمرّة أما الشعور الموجود حقيقة وبلا نزاع عند كافة الشعوب الاسلامية
فهو شعور انعطافها وحنانها الى بعضها البعض ، وانه لما كان لتأخر الشعوب

(١) مصر الحديثه ج ٢ : ص ١٢٩ عباس الثاني ص ٤٥ ، ٤٨ ، نقلا عن الاتجاهات

الوطنية في الادب المعاصر ج ١ ص ٦١ •

(٢) تاريخ الدولة العلية ٣٣٩ •

الاسلامية أسباب واحدة فان نهضتهم تكون بوسائل واحدة وان الاسلام ليس عقيدة دينية فقط بل هو قانون اجتماعي (١)

وقد أشار جمال الدين الأفغانى مرارا فى مجلة العروة الوثقى الى الآمال التى يعلقها المسلمون على دولة الخلافة وأن جميع المسلمين يعدون أنفسهم رعايا هذه الدولة وان كانوا خارج حدودها السياسية خصوصا المسلمين فى الهند حيث أصبح الانجليز يخشون من اشارة السلطان عبد الحميد لدعوة المسلمين فى الهند للثورة على الانجليز (٢) . كما يبدو أن السلطان عبد الحميد بحنكته ودهائه استطاع توقيت الدعوة للجامعة الاسلامية حيث ان الاسلام كانت له شهرة عالمية بعد أن صدم العالم بالثورة الصناعية التى لم تستطع أن توفر السعادة للشعوب اذ لا بد من قيم روحية ترافقها حتى يكون الانسان قد اكتمل من جانبيه الروحى والمادى وفى هذا الوقت كانت الصحف تروج احتمال اتباع اليابان للدين الاسلامى وقد تابعت ^{مجلة} ~~الموضوع~~ فى ثمرات الفنون التى كان يصدرها الشيخ عبد القادر القبانى فى بيروت فى مقالات مسهبه فى العدد ١٥٢٠ ص ٤ وتموز ١٩٠٦ و عدد ١٥٨٢ ص ١٤/٥ آب ١٩٠٦ و عدد ١٥٦٦ ص ١٩/١ ربيع الاول ١٣٢٤ هـ وقد أرسلت الدولة العلية كلا من محمود أسعد أفندى مستشار الحقوق فى نظارة المالية واسماعيل أفندى من سترلى اجابة لطلب الميكادو ومن السلطان عبد الحميد الثانى .

هذا وقد كان اقبال اليابان على اختيار أحد الأديان السماوية حديث الساعة فى جميع صحف العالم . وتصور مجلة " ثمرات الفنون " أن هناك شبه اجماع من الصحف العالمية على ترشيح الاسلام منها ما نقلته عن احدى المجلات الألمانية حيث تقول " وأما الدين الذى سترفضيه اليابان فهو مما لا يمكن القطع به الآن غير ان الظواهر والأمارات تدل على أنه سيكون الدين الاسلامى بدليل أن حكومة اليابان أضحت لها خمس عشرة سنة وهى تبحث بعلمائها الى البلاد الاسلامية للبحث عن أسرار هذا الدين والتحرى عن حقائقه حتى يبات أولئك العلماء مقتنعين أن اليابان لا تتخذ غير الدين الاسلامى ديناً وهناك

(١) عبد العزيز جاویش لانور الجندى ص ١٦

(٢) العروة الوثقى ص ٣٧٢ - ٣٧٤ .

دليل آخر يبرهن على صحة هذا القول ويدل على تفضيل اليابان لدين الاسلام على سائر الأديان وهو خدماتها المهمة التي تتمتها نحو المسلمين وظهرها بمظهر التعظيم والاحترام لدينهم وثمة دليل ثالث أيضا وهو اعلان حكومة الصين اجابة لطلب اليابان ان المسلمين الذين يعدون بالملايين في البلاد الصينية هم مساوون للموثنيين في جميع الحقوق ثم ختمت الجريدة الألمانية كلامها بقولها : اننا اذا دانت اليابان بالاسلام فانها ستحرز حياة جديدة وقوة عظيمة ^(١)

هذا وقد لاحظ السلطان عبد الحميد ملائمة الظروف الدولية هذه لاعلان الخلافة الاسلامية لتعزيز السلطنة بقوة جديدة ودفع المؤامرات التي تبيتها أوروسه وقد كانت أوروسه تقدر الطاعة والولاء الذي تكفه الشعوب الاسلامية للخلافة .

يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي " وقد كان من هبة السلطنة على ممالكها خصوصا مصر - حتى بعد استقلال محمد علي باشا - ما جعل بريطانيا تؤخر اعلان استعمارها لمصر من سنة ١٨٨٢ - ١٩١٤ وقد لاحظ الزعيم مصطفى كامل ذلك فكان يدعو دائما الى الارتباط بالدولة العثمانية ولو اسما خوفا من ان بريطانيا وكان العرب ولا يزالون يشتمون بقدر سية ترجع الى أنهم هم الذين حملوا راية الاسلام وراء الرسول صلى الله عليه وسلم ثم هم لا يزالون أصحاب القرآن أنزل بلسانهم ولا يزال يقرأ في العالم بلغتهم . فقرر الخليفة الاستعانة بهم خصوصا أنهم كانوا بعيدين عن النزعة الاستقلالية التي سرت بين العناصر العثمانية الأخرى ، ولم يفكر العرب في الاستقلال عن السلطنة الا عندما أرسل الاتحاد يسون حاكمهم في سورية أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ ^(٢) .

قرر السلطان عبد الحميد أن يستعين بالمسلمين وذلك بالدعوة الى الجامعة الاسلامية وأن يقوى صلاته بالعرب نواة المسلمين وهو يؤمل أن يهز عسا الخلافة وقت الحاجة ^(٣) ، وقد استهل مشروعه هذا بدعوة كل من خير الدين باشا التونسي النشأة الجركسي الأصل وجمال الدين الأفغاني - ولعل مشروعا الخلافة الاسلامية يكون من وحي أحدهما أو دعهما لمساعدته في تنفيذ -

(١) مجلة ثمرات الفنون عددها ١٥٢٠ ص ٤ ٩ تموز ١٩٠٦ .

المشروع • ومن يقرأ أعمال جمال الدين يجد أنه كان من الداعين الى الجامعة
الاسلامية أصلاً وكثيراً ما كان يهيب بالخليفة للاستفادة من شعور المسلمين نحو
ثم قرب السلطان فريقاً من علماء العرب وشيوخ الطرق كالشيخ أبي الهدى الصيادي
الرافعي من خان شيخون في جوار حلب ، والشيخ محمد ظافر من الجزائر ، والشيخ
سميد من حمص ، والشيخ أحمد أسعد القيصرلي من المدينة ، كما استدعى
بعض أشرف مكة وعلى رأسهم الحسين وعلى حيدر وعبد الله باشا وصادق وأجرى
على هؤلاء العلماء والأشراف المرتبات وخصهم بالكتابات كما أجرى المرتبات وأجزل
العطايا لغيرهم من المتخلفين في بلادهم المعرفين بنفوذهم كما عهد اليهم
بمختلف الوظائف والمناصب الرئيسية في الدولة دون تفريق بين الملل فقد عين
أحمد عزت باشا ^{العاب} العبد الكاتب الثاني في بلاطة وقد تمتع بنفوذ واسع جعله الاول
في السلطنة وشفيق بك المؤيد المفوض في الديون العمومية • وشفيق بك الكوراني
رئيس الضابطة وعرب حقى باشا وسليم بك ونجيب بك ملحم وقد بلغوا رتبة الوزارة
وجميعهم من سورية ولبنان وطالب بك النقيب وأحمد باشا الزهير من أعضاء مجلس
شورى الدولة وهما من العراق ، كما اتخذ من بعض ضباط العرب خاصه له فكان
ياورانى الفريقان محمد باشا وجميع الدين باشا ولدا الأمير عبد القادر الجزائري ،
وكان المشير أركان حرب شفيق باشا وأخوة الفريق وهيب من أساتذة المدارس العسكرية
وهما من قرية المتين في لبنان وشكري باشا الأيوبي الدمشقي ناصر الأعمال
العسكرية والدكتور يوسف الراص من لبنان وكان استاذ علم التشريح الدكتور الياس
مطر من بيروت والأستاذ سليم يازر من بلدة دير القمر في لبنان وكان استاذاً في
مدرسة الحقوق واتخذ من أبناء الحروية حرساً أنزلهم حول قصره وألبسهم العمام
الخضر كما عهد الى مصاهرتهم فزوج أميرتين من أسرته من شابين عريين ورفعهم
الى رتبة الامارة وهما الأمير عبد المجيد بن الشريف علي حيدر وصالح بك بن خير
الدين باشا التونسي ولف حواشي طائفة من الكرد والارمن وكدرويش باشا الألباني
أحد الياوران واسماعيل باشا الكردي فضلاً عن بعض الشراكسة كما أنشأ مدرسة
العشائر لتربية أبنائها • كما فتح معاهد الأستانة أمام جميع الطلبة ليقر في نفوسهم
أنهم جميعاً يشتركون في أنهم عثمانيون وقد رحب السلطان كثيراً بفكرة أحمد باشا

والارمن و

(١) مصطفى كامل لعبد الرحمن الرافعي ص ٣٣٧ •

(٢) عبد العزيز جاويز ص ٢١ - ٢٢ •

(٣) فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ١٧٧ •

العابد بعد خط حديدى بأموال المسلمين يصل بين سورية والحجاز وقد ناسبت هذه الفكرة برنامج السلطان يجعل نفوذه الفعلى يمتد الى الحرمين الشريفين اضافة الى تسهيل الحج على المسلمين ليكسب عواطفهم فى العالم قاطبة •

وفى الجملة نجح السلطان عبد الحميد فى تحقيق الجامعة الاسلامية فقد استطاع وقد حفظت السياسة سلطنته فى مندوبات عدة من الأخطار كما أنها استأخرت زوالها سنين عديدة أما عصا الخلافة فى تلك الحقبة التى كان يلوح بها فكانت العلم النبوى الشريف ليزحف المسلمون وراءه من كل صوب " (١)

ولعل فى الحادثة التالية التى وقعت لفؤاد باشا مندوبا عن السلطنة فى بيروت بمناسبة فتنه ١٨٦٠ - توضح قوة الخلافة وأثرها فى قلوب المسلمين وأن الجهاد المعلن من الخليفة هو السلاح الرهيب الذى كانت تخافه الدول الأوروبية " فقد كانت بيروت تعج بعد هذه الفتنه بسفراء الدول الذين انتدبوا للتحقيق فى المذابح التى وقعت بلبنان وشهدته الى دمشق وكان هؤلاء السفراء يتبادلون الدعوات والحفلات فيما بينهم وبين مندوبى الحكومة فتحفل هذه الاجتماعات بالتعليقات على الشؤون السياسية وتدخلها المداعبات •

دخل المدعوون ذات يوم الى مائدة أقيمت على ظهر سفينة أمير البحر النمساوى : وكان فؤاد باشا وبعض أركان الحكومة فى مقدمتهم فإذا بهم يشاهدون أعلام الدول مرفوعة على المائدة فوق رؤوس حيوانات من المعجنات وكل واحد منها يحمل رأس الحيوان الذى اتخذته الدولة رمزاً لها فكان علم فرنسة يخفق على رأس الديك وعلم روسية على هامة الدب وعلم انجلترا على الأسد أما لواء تركية فكان مرفوعاً على هامة خنزير وشاء أحد السفراء أن يتحدى فؤاد باشا على سبيل المفاكحة فأشار الى الخنزير متسائلاً عن العلم الذى يرتفع فوقه فابتسم الباشا وقال له " هذا علم تركيه المظفر فوق أرضكم الخبيثة " وأثناء ضحك السامعين تناول الحديث سفيراً آخر وقال بين الجاد والمزح " لا تزالون يا صاحب الدولة تذكرون النصر والانتصار والآن أارجعنا مصدر ذلك شجاعة جيشكم فأين لكم تأمين المال وهو عصب الحرب • " وحينئذ استقام فؤاد باشا وتحول الى المتحدث وقال بلمهجة الجد " حسبك فقد أخرجتنى حتى لم يبق فى وسمى كتم السر أنتم تعلمون كم مضى على المسلمين

(١) فلسفة التاريخ المثمانى محمد جميل بيهم ص ١٧٩ - ١٨٠ •

وهم يقصدون الى بيت الله الحرام وكم من - ملايين الناس قد أدت فريضة الحج في هذه الحقبة الطويلة أما الذي لا تعلمونه وقد حملتموني على أفشاء ^{للمسلمين} سره فهو أن لبيت مال المسلمين الذي تسمعون به فريضة على الحجاج يومئذ بها كل منهم على قدر طاقته ولا بأس أن يكون أولئك الفريضة بتقديم الجواهر والاحجار الكريمة • وبعد فكم تبلغ ثروة بيت مال المسلمين هذه التي لا تحسبون لها أي - حساب أنها رهن أوامر الخليفة (يضطر لخراج العلم النبوي ودعوة المسلمين للجهاد فحن أذن بإسادة أغنياء بالرجال وبالمال أيضا (١) ثم يعقب الاستاذ بيهم على هذه الحادثة فيقول " وهذه الحادثة التي رواها لي في عهد الصبا أحد الشيخ تدل سواء كانت صحيحة أم موضوعة على أن السلطنة العثمانية كانت حتى قبيل عهد السلطان عبد الحميد المشار اليه تستفيد من الخلافة عفوا أو - تجرب أن تستفيد منها ، ولكن هذا العاهل الذكي السلطان عبد الحميد اختط طريقة علمية للجامعة الاسلامية وذلكها لسياسة الدولة حيال الاجانب وأستثمرها أحسن استثمار غير أن من الواجب الاعتراف بأن هذه السياسة وأن حققت لواضعها جملة من المنافع جرت وراءها كثيرا من الاخطار الداخلية والخارجية فالأترك على وجه عام تقوموا على السلطان من جراء تقرب أبناء العروبة دونهم وأنكر عليه شبابهم المؤقف هذه السياسة الاسلامية لأنها لا تتفق مع روح العصر ، ولا تتلائم مع العالمين التي اقتبسوها عن أوربه فأجمعوا أمرهم بينهم على أزاحتهم عن عرشه حتى يتسنى لهم تطبيق الدستور القائم على مبادئ الثورة الفرنسية " (٢) وبعد أن عزل السلطان عبد الحميد ضعفت الرابطة الاسلامية بين السلطنة وولاياتها وانكشفت حقيقة حزب الاتحاد والترقي ومعاداته للاسلام " بعدما صرح رئيس وزراء الجمهورية التركية الجديدة بقوله علينا وعلى رؤس الاشهاد بأنه لم يبق لتركية علاقة بالدین الاسلامي الحنيف وبعد ما أعلن الحرب على الاسلام فألقى بالقرآن الكريم من يد من غرفته التي هو فيها وحرص المرسلين المسيحيين على - التبشير بانجيلهم في الاسلام الاسلامية لحمل المسلمين على اعتناق الدين المسيحي (٣) وبعد عزل السلطان عبد الحميد سرعان ما قسمت بريطانيا وفرنسه العالمين العرب بينهما وأستولت إيطاليا على ليبيا • كما أتجهت الحملات العنيفة لتشويه تاريخ

(١) فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ١٨٠ - ١٨١

(٢) قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور جميل بيهم ج ٢ ص ١٦ - ١٨

راجع موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ج ١ ص ٧٩

(٣) مجلة الفتح العدد ٧٠ ص ٧ السنة الثانية •

الدولة العثمانية وسلاطينها وكان مصدرها ذلك الاتجاه الذى خلفه النفوذ الاجنبى وجند له عددا من الكتاب والمفكرين ، وأغلبهم من متعصبى اللبنانيين والأتراك ورجال الدونمة ممن هاجروا الى مصر وكانوا يحملون فى قصر عابدين والسفارة البريطانية أو الفرنسية رامين الى القضاء على الاسلام واللغة العربية علما بأن أول جمعية سرية تألفت لمقاومة العثمانيين قامت فى الجامعة الاميركية فى بيروت وقد حملت فكرة - الجهاد العربى كوسيلة للقضاء على فكرة الجامعة الاسلامية لتمزيق وأسقاط دولة الخلافة الاسلامية (١) .

وكان الشعور بالانتماء والولاء الى الجامعة الاسلامية شعورا عاما وظاهرا على جميع التيارات السياسية من خلال دعوة قادة الاحزاب والجماعات للولاء لدولة الخلافة ففي سنة ١٨٨٢ قبض أحمد فارس الشدياق ونشئ الجوائب (٢) - من سفارة إنجلترا فى الاستانة مبلغ الف ليرة انجليزية حتى يطبع صورة المنشور الذى صدر من الباب العالي باعلان عصيان عرابى باشا لاثارته نار الفتنة فى وادى النيل فكان ذلك سببا لانكسار عرابى وسقوط أعتباره من عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة (٢) وقد كانت معظم الاحزاب وأصحاب الدعوات الفكرية والاصلاحية يعدون الخليفة هو الامل والنقد من أطماع الدول الغربية فى البلاد الاسلامية وأن من واجب السلطنة حماية هذه البلاد وقد كانت هذه الدعوة واضحة فى - تصريحات زعماء الحركات الوطنية فى مصر (٣) وفى قرارات المؤتمر العربى الاول فى باريس وقيام الحكومة اللامركزية التى تعطى للوطن السورى مقدساته للسياسية من غير انفصال عن الكيان العام الذى تمثله الدولة العثمانية (٤) وحين ثار عرابى على عساد أساليب الحكم فى مصر وعلى تغفل النفوذ الاجنبى لم يخطر بباله الخروج على الخليفة فهو يعرض عليه خطوات مستمدا منه السلطة فى كل مايفعل (٤) وفى مصر كان الحزب الوطنى مثلما كان مؤسسها مصطفى كامل وخليفته محمد فريد مصريا فى الدرجة الاولى واسلاميا فى الدرجة الثانية (٥)

(١) عبد العزيز جاویش ص ١٩ - ٢١

(٢) تاريخ الصحافة العربية فيلب طرازی ص ٦٢ ج ١

(٣) مجلة النعسة الوثقى ص ٣٧٢ - ٣٧٤ .

(٤) عبد العزيز جاویش ص ١٤ - ١٥ .

(٥) مذكرات عرابى ج ١ ص ٧١ و ٢٢٢ .

(٦) الفكرة العربية فى مصر انيس الصايغ ص ٤٩ .

وقد أكد الحزب الوطني ثلاثة أمور جعلها أسسه التي لا تتغير وهي :-

- ١ - أيقاظ الأمة المصرية من حيث حق كيان له طابعه الواضح الكامل .
 - ٢ - مقاومة الانجليز ومخاصمتهم خصومة كاملة حادة لاتسامح فيها ولا مهادنة .
 - ٣ - تأكيد الروابط الثقافية والروحية والسياسية مع الدولة العثمانية دولة الخلافة ^(١) ووضع مستر بلانت في مقدمة برنامج الحزب الوطني -
- الاعتراف بسلطة الباب العالي وبيان جلاله السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله في أرضه وأمام المسلمين ^(٢) ومن بين المهتمين للجامعة العثمانية علماء الدين من المسلمين فهم يؤيدون السلطانة يدافعون - السلطانة الفيرة الدينية وهؤلاء لا يهتاجون الا لما يمس الدين ولا يرون بين الاقطار الاسلامية من يستطيع أن ينهض بعبد الذود عن الاسلام والمسلمين غير تركيه لانها اقواها وأقدرها على مواجهة مطامع الدول المسيحية ومن هؤلاء الشيخ يوسف النبهاني .

السلطان عبد الحميد ١٨٧٦ - ١٩٠٩

مفتاح شخصيته ليس أدنى على شخصية السلطان عبد الحميد مقالته الفيلسوف جمال الدين الافغانى في وصفه في حيث قال أن السلطان فوزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر رجحهم ذكاء ودهاء وسياسة فقد رأينا به بذل ما يتام لملكه من الصعاب من دول الغرب حيث كان يعلم دقائق الامور السياسية ومرامي الدول الغربية وهو معد لك هوة تطراً على الملك مخرجاً وسلاماً وأعظم ما أدهشني ما أعدّه من خفى المسائل وأمضى العوامل كي لا تتفق أوربه على خطير في الممالك العثمانية كان يريها عياناً محسوساً أن تجزئة السلطنة العثمانية لا يمكن الا بخراب للمالك الاوربية بأسرها وكلما حاولت دول البلقان الخروج على الدولة يجرب كان السلطان بدهائه المعجيب يحل عقدة ما يبطوه وتفريق ما جمعوه " ويقول أيضاً " ضاقت أوربه ذرعا بسياسة السلطان عبد الحميد وحيطة وثبتت من أكثر دول البلقان ، فحاولت كيداً بدس الدسائس وصرفت همها بالاستقرار الى أخف الديالات حلوما وأكثرها غرورا وجيشها وهي دولة اليونان فقد بدأت تتحرش بالدولة العثمانية لتتدهور بالحر جمع السلطان

(١) عبد العزيز جاویش ص ١٣ .

(٢) مذكرات عرابي ج ١ ص ١١٧ .

عبد الحميد (١) ويقول أيضا "أما رأيته من يقظة السلطان وشدة حذره - وأعداده العدة اللازمة لإبطال مكايده أوربه وحسن نواياه وأستعداداته للنهوض بالدولة (الذى فيمنهضة المسلمين عموما) فقد دفعنى إلى مديدي له ومبايعته بالاخلافة والملك عالما علم اليقين أن الممالك الإسلامية في الشرق لا تسلم من شرار أوربية لا من السعى وراء أضغافها وتجزئتها وفي الأخير أزد رادها واحدة بمعد الأخرى الأبيقظة - وأنتباه عموما وأنصواء تحت راية الخليفة الأعظم (٢) استولى السلطان عبد الحميد على العرش بعد خلع السلطان عبد الميز حيث - قامت ثورات في البوسنة والهرسك والصرب والجبل الأسود ، وكريت أستنفذت القروض المعقودة وأدت إلى أعين تركية أفلاسها (٣) وقد كان الجهد الأعظم في تولي السلطان عبد الحميد الحكم مكان أخيه يعود إلى مدحت باشا الذى كان يرأس - حزبا في السلطنة - تركيه الفتاة - كانت فاتحة أعماله خلع السلطان عبد الميز وقد أشرط مدحت باشا على السلطان عبد الحميد ثلاثة شروط وافق عليها هي :-

- ١ - إعلان القانون الأساسى .
- ٢ - استشارة الوزراء المسؤولين دون سواهم في أمور الدولة .
- ٣ - تعيين بعض أفراد حزبهم في المناصب .

ولكن السلطان عبد الحميد ما أن تسلم العرش حتى أوجس خيفة من تدخل مدحت باشا وحزبه فعزل مدحت باشا من منصب الصدارة وشتت أعوانه ولكن السلطان اضطر لإعلان الدستور لأن روسية وعت الدول لإجباره على إجراء الإصلاحات المطلوبة في مكدونية والافيه ستخذ التدابير اللازمة منفردة وقد جرى افتتاح المجلس العمومى المؤلف من مجلس الاعيان - والمبعوثان في ١٨٧٧ وذلك يوم افتتاح مؤتمر السفراء في أستانبول الذى اقترحه روسية ولما تساءل السفراء في جلستهم الاولى عن سبب قصف المدافع نهض صفوت باشا وقال لهم "أيها السادة أن أصوات المدافع التى تسمونها هي من أجل الاحتفال بإعلان القانون الأساسى وهو سيتم جميع عناصر - السلطنة الحقوق المنشودة بحيث لم يبق موجب لأعمال المؤتمر ولكن روسية -

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٣) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦١ .

حملت المؤثرين على الاقتناع بوجوب متابعة أعمالهم لما أبى الباب العالي خرجوا غاضبين وأعلنت بطرسبرج الحرب على تركيا ولما رأى السلطان أن إعلان الدستور لم يحل دون إعلان الحرب وأن أعضاء المجلس النيابي كانوا غير أكفاء حتى لقب مجلسهم بمجلس (أوت أفندم) (١) لموافقته على مقترحات الرئيس دون مناقشة بادر إلى حل البرلمان وأنصرف لمواجهة الحرب الناشئة غير أن ما أصاب جيشه من الفشل منذ المعارك الأولى جعله يتحول مرة أخرى إلى مصانعة كل من الدولة والإحرار من رعيته فاستقدم مدحت باشا من أوريه وأمر بانتخاب مجلس آخر نيابي وجرى افتتاح المجلس في ١٨٧٧ ثم ندم السلطان على ما فعل حينما أيقن أن أوريه لم تحدد عن سبيلها في صد أجملاء السلطنة عن البلقان وتقليم أظافرهما في البلاد الأخرى ولا سيما التي تطالب باستقلالها فأصدر أراذته السنوية بعد شهرين من افتتاح المجلس الثاني بوقفه أيضا وشرع يطارد المتمردين من أعضائه ونفى مدحت باشا إلى الطائف حيث قتل خنقا فيها سنة ١٨٨٣ . (٢) من هنا نلاحظ أن السلطان عبد الحميد كان يعترم المضي في الإصلاح لولا الفتن الداخلية التي أخذ بعضها برقاب بعض والتي كانت تستنفذ أموال الخزانة وتصرفه على مشاريعه الإصلاحية وقد كانت هذه الفتن التي ترمى إلى التحرر من ربة أيد أجنبية تستر وراء طلب الإصلاحات وهي في الواقع إنما كانت تريد تخليص الأقليات من الترتيب وتقوية نفوذها عن طريقها لاقتسام ممتلكات السلطنة فثورات كريد وثورات أرمنية كانت تحدث مع ثورات أخرى في البلقان ومكدونية والبالنية فتصرف السلطان عن أمانه الإصلاحية وتشير بالتالي الشكاوى ضده كما أن أفلاس لخزنة بسبب هذه الفتن حمل النقرة على السلطان إلى صفوف جيشه فانقلب عليه وازاحه عن عرشه . (٣)

الاساب التي كونت سياسة عبد الحميد :-

أولا : الخطر الأوروبي منذ أواسط القرن التاسع عشر شرعت روسيه تفكر في أجلاء السلطنة عن الاراضى الأوروبية والعمل على تجزئة أمصارها بمساعدة كسل من إنجلترا والنمسة يظهر هذا من قول قيصرها نقولا الأول عندما زار الدول الأوروبية لاقتناعها بالتقسيم وخصوصا إنجلترا المعارضة " يوجد

(١) أوت معناها عشب . أفندم سيد أو مخترم .

(٢) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) فلسفة التاريخ العثمانى ص ١٦٢ .

بين وزرائي وأيان بشأن تركية فبعضهم يصحح بانها بلغت حالة الاحتضار وبعضها -
يعلن أنها لقيت حتفها * وعلى كل فلاشي* يحول دون مآتها العاجل وفي مناسبة
أخرى يقول القيصر للسيد هملتن سيمور سفير إنجلترا في بطرسبرج

أود أن أصرحك بأنه إذا أتيج لهذا المريض أن يتخلص منا في يوم من الايام -
فسيكون من أسباب البلاء على أوزوية ولا سيما إذا حصلت هذه المفاجأة دون أن -
تأهب لها هذه التصريحات تبين لنا النوايا العدوانية الأوروبية ممثلة في تصريح قيصر
روسيا وأن كانت إنجلترا تعارض - في بادى الامر - فكرة تقسيم ممتلكات الدولة

العثمانية وربما أستعجلت موتها لذلك كما حدث في مساعدتها لتركية في حرب القوم المرم
وقد قدرت السلطنة موقف بريطانيا فتخلت لها عن جزيرة قبرص لتكون لها من بعد
نقطة حربية للدفاع عن بقية الامصار العثمانية • ولكن بريطانيا كشفت عن عدايتها
للسلطنة بعد أن حصلت المانيا على امتياز مد خط حديد الاستانة بغداد الذي -
ينتهى الى الخليج العربي •

ثانيا : تدخل الدول في شؤون السلطنة : - لقد كان لضعف الدولة العثمانية
العام خصوصا من الناحية العسكرية اثره الواضح في فرض ارادة الدول الأوروبية عليها
عن طريق حماية الاقليات الدينية أو عن طريق العمل العسكري كمساعدة دول البقان البلقان
وغيرها على الاستقلال وقد أخذ هذا التدخل شكله السافر بعد مؤتمر باريس -
١٨٥٦ لما قدمته كل من إنجلترا وفرنسه وسر دينية من المساعدة في حرب القوم ثم
ازداد هذا التدخل بعد أنقاذ السلطنة من حملة محمد على باشا وفي هذه الحملة
وقفت فرنسا ضد السلطنة ووقفت إنجلترا معها مما أدى الى فشل الحملة وبلغ هذا
التدخل الى حد اجتماع الدول الأوروبية في مؤتمرات لايجاد حلول لمشاكل تركية
دون أن تشترك فيها ومن ثم تطالبها بتنفيذ مقرراتها وكان آخرها اجتماع ريفال في
(١١ حزيران ١٩٠٨) وقد كان عجز السلطنة عن سداد ديونها للدول الأوروبية
قد أدى الى أستخفاف هذه الدول بالسلطنة من جهة ولتساح السلطنة حيال تدخلها
في شئونها خصوصا ما يتعلق بالاقليات من رعاياها •

ثالثا : الوعي القومي عند العناصر : لقد تسرب الوعي القومي من أوروبية للمناصر

الخاضعة للسلطنة فهي لا ترى جهودا في المساعي الاستقلالية الا زادتها اضطراما وقد غمر الوعي القومي المثقفين من العرب فعملوا على الاستقلال وقد كانت الدول الأوروبية تقدم لهم كل المساعدات في هذا الاتجاه علما بأن معظم المثقفين العرب المعاصرين هم خريجو المدارس التبشيرية المسيحية .

رابعا : فراغ الخزانة — كانت الاموال التي اقترضتها السلطنة طيلة عشرين سنة حتى ١٨٧٥ قد بلغت ثلاثة مليارات وثلاثة عشر مليون فرنك ذهبي وكانت خزانة السلطنة قد أعلنت الافلاس في عهد السلطان عبد العزيز ، وهكذا استلم السلطان عبد الحميد الحكم والبلاد في حالة افلاس ولم يستطع أن يقترض من الماليين في أوروبا بسهولة يقول الاستاذ محمد جميل بيهم " كانوا اذا أقدموا على شراء الأسهم تلك القروض كأنهم يبتاعون أسهم " اليانصيب " وما كان يفرسهم بشراء تلك الأسهم الا الفوائد الباهظة ومع ذلك رأينا القروض التي أستطاع عبد الحميد أن يدركها ذهبت فريسة الحروب الخارجية التي كان أكثرها وأخطرها مع روسيا أو في سبيل تهئية الفتن الداخلية وقد أستغذت هذه الحروب أموال الخزينة فم تترك مجالا للإصلاح والتعمير .

فلم

هذه هي المؤثرات في السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد وقد كان — في معظمها طرفا ضعيفا لذلك أعتمد على أسلوب ترضية دولة لتقف معه في وجه دولة أخرى عن طريق منحها بعض الامتيازات أو الولايات .

سياسة السلطان عبد الحميد الداخلية :

لقد سار السلطان عبد الحميد في سياسته الداخلية على سياسته قديمة بها الخوف وعدم الثقة من عناصر شعبية أو عماله لذلك أجرى تغييرات كثيرة بحيث أصبح جميع السلطات بيده وقد كان للأحوال السياسية الخارجية في المنطقة أكبر الأثر في توجيه السياسة الداخلية أن لم تكن تجاوبا وصدى لها . فمن مظاهر سياسته الداخلية :

١ — نقل السلطة العليا الى المايين : فقد عين تدريجها على نقل السلطة من الإدارة العظمى ومجلس الوزراء الى المايين فأصبح الحد والعقد ومنح الامتيازات من اختصاص سراي يلديز أما الوزراء فكان عليهم تنفيذ ما يبرم وقد كان النفوذ يتناوبه الكاتب الاول والكاتب الثاني ومأمور الشفرة تبعا لثقة صاحب الجلالة وكثيرا ما كان المشايخ المقيمين ينازعون هؤلاء — سلطتهم فكان الشيخ أبو الهدي الصيادي يتمتع بالنفوذ تارة وطورا أحمد عزت باشا العابد الكاتب الثاني وكلاهما عرب ولما نجح الأخير في مد الخط

الحديدي الحجازي عن طريق الاكتاب به من جميع المسلمين • علانجمة ولم يعد يعملوه في النفوذ أحد الا الخليفة نفسه أو كان رئيس الجواسيس فهم باشا يلقي الرعب في قلوب الرعية وكان بعض رجال السراي أميين وقليل منهم يحسنون اللغات الاجنبية وأقل منهم من يتمتعون بخبرة سياسية ودون هؤلاء وأولئك : من يعلمون للمصلحة العامة (١) .

٢ - النضال بين السلطان والدستوريين : ارتقى عبد الحميد العرش بمساعدة مدحت باشا دستوراً يا حيث كان صدراً أعظم لدى السلطان عبد العزيز ولكن عبد الحميد أوجع خيفة من الحزب (تركية الفتاة) الذي كان يتزعمه مدحت باشا وكان ينسب اليه حادثتين ذهب ضحيتها عمه السلطان عبد العزيز وأخوه السلطان مراد كان السلطان يعتقد أن هناك أيدي خفية انجليزية وروسية وراء خلع وقتل عمه عبد العزيز لذلك أعلن بعد فترة وجيزة من إعلان الدستور سنة ١٨٧٦ تعطيل العمل به ونفى مدحت باشا وشرذ أنصاره وأنتهى الصراع بين عبد الحميد وأتباعه وختم بخلع عبد الحميد ومبايعة أخيه محمد الخامس ١٩٠٩ - ١٩١٨ •

٣ - سياسة التفرقة بين العناصر : قضى على السلطنة العثمانية أن تعيش مفككة الاصال متنافرة العناصر والطوائف منذ عهد كل واحدة من الدول الاجنبية الى توجيه هذه الطوائف الى التناوب بين بعضها لآخر لبعض وذلك بغية وصول هذه الدول الى نيل نصيبها على وجه أتم من تركة " الرجل المريض " وقد كان لإعلان السلطان عبد الحميد سياسة الجامعة الاسلامية أثر بالغ في ألتفاف عواطف المسلمين حوله ومقاومته للدول الاجنبية التي تتستر بحماية الاقليات المسيحية عواطفها • وقد أدى هذا بطبيعة الحال الى أنشاق الطوائف على بعضها لانها تعد السلطان عاجلاً للمسلمين أكثر منه ملكاً للعثمانيين • وقد فصل السلطان الكنيسة البلغارية عن البطريركية الارثوذكسية بينما كانت أوروبا للمسيحيين - روسيا والنمسا وفرنسة - تعمل جاهدة لتوحيد هذه العناصر ضد السلطنة • كما ألقى السلطان عبد الحميد ببذور التفرقة بين العرب والمسيحيين (١) خوفاً من تعاونهم ضده خصوصاً بعد ظهور الوعي القومي الذي كانت الارشاليات

(١) لقد كان السلاطين الاوائل لا يفرقون بين مسلم ومسيحي وكانت التفرقة منشأها من عمال الولايات حيث أن الفتن والمذابح التي حدثت بين ١٨٦٠ لم تكن بقصد أحد من السلاطين أو رجال دولتهم الا مناء بل من العمال - الاردياء كتاب حشر اللثام ص ٢٣ •

والقنصليات الاجنبية تغذيه • وقد نالت بلاد الشام قسطا كبيرا من هذه السياسة لوجود الطوائف المسيحية فيها أكثر من غيرها لهذا يرجح كثير من الباحثين أن — تكون المذابح بين المسلمين والنصارى في مطلع القرن العشرين بتدبير من السلطنة على يد بطلها الوالى رشيد بك الذى رقى بنقله الى رتبة أعلى من رتبة الولايات يقول الاستاذ محمد جميل بيهم : ولازلت أذكر تلك الفتنة التى وقعت بين المسلمين والنصارى فى قرية بتاتر فى الشوف عام ١٩٠٥ وكان حدثها فى نفس اليوم الذى — وقعت فيه مذبحه المزرعة فى بيروت برهانا على أن الفتنة فى الولاية بالمساحل وفى المتصرفية فى الجبل كانت من عمل يد واحدة غفية (١) وقد انعكست هذه — السياسة فى ميدان التربية والتعليم فكانت للمدارس الاجنبية والرساليات فرصة استثنائها من رقابة الدولة فعملت على القاء الرعب من المسلمين فى أفئدة طلابها النصارى بقصد تنفيرهم من الدولة واكتساب قلوبهم مستعينة ببعض التآلى التى — تطعن فى الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم وفى المقابل كانت المدارس الرسمية لا تقتصر على رسم صورة قبيحة للاجانب وإخطارهم بل تتعدى الى بث روح البغضاء بين الملل والطوائف (٢) وأما فى البلاد التى لم يكن فيها غير المسلمين كجزيرة العرب فإن السلطان كان يخرى ابن رشيد وابن سعود ويجند أشراف مكة ضد أمام اليمن ويلقى الخصومة بين أمام اليمن وأسياد عسير ، كذلك بين الاكراد والارمن وبين السوريين والشراسة فى بلاد الشام • لقد كان الشعب العثمانى عبارة عن مجموعة أعداء يثرص بعضهم الدوائر بالعض حتى اذا أطبقت الالسنه بأعلان الدستور بالبعوض أنكشفت السرائر وظهر من ثم تفسخ فطبع بين الصفوف يستحيل معه بقاء هذه الكتل المتنافرة تحت سماء وطن واحد من هذه الزاوية كان السلطان عبد الحميد يحد من إطلاق حرية العناصر المختلفة ولا سيما الأعداء منهم حفاظا على سلامة السلطنة كما كان يحكم الرقابة عليها عن طريق جواسيسه ليطلع على نواياهم ومن ثم يوجه اليهم الضربة قبل أن يتحدوا ضد السلطنة •

٤ — الخلافة والاتحاد الاسلامى : قلنا فيما سبق أن السلطان عبد الحميد لجأ لدعوة الخلافة لاستغلال العاطفة الاسلامية من حيث هى سلاح يحمى به

(١) فلسفة التاريخ العثمانى ج ٢ ص ١٧٦

(٢) راجع كتاب حصر اللثام ص ٣٦ وما بعدها •

السلطنة من أعداء في الخارج الذين تألبوا عليه باسم العاطفة المسيحية (١) التي لاجلها عملوا في مساعدة الاقليات الدينية على نيل حقوق وأمتيازات خاضعة لها أما دول شرق أوروبا العثمانية فقد كانت تنادى - أى الدول الأوروبية الطامعة جهاراً بوجوب تخليص للمسيحيين من الحكم العثماني المسلم وخروج العثمانيين من شرق أوروبا أجمالا . ولقد كان في الدعوة الى الجامعة الاسلامية تحريضاً لمسلمي الهند ضد بريطانية وهم شديدو العاطفة نحو الخلافة وقد كانت نسبة كبيرة منهم تعمل في الجيش البريطاني . مع مسلمين آخرين من بلاد أخرى واقعة تحست النفوذ البريطاني وكذلك في فرنسا فقد كانت نسبة كبيرة في جيشها من مسلمي السنغال والمغرب والجزائر وغيرها من المسلمين الافارقة وهم يشكلون خطراً في كل من فرنسا وبريطانية اذا ما تحرك فيهم الشعور الاسلامي نحو دولة الخلافة (٢) وبالاجمال كانت هذه الملاح هي السمة العامة لشخصية السلطان عبد الحميد المؤثرة في سياسته الخارجية والداخلية وفي هذا المعنى يقول - الاستاذ محمد جميل بيهم " أن السلطان عبد الحميد لم يكن مصدر هلاك السلطنة كما يزعمون بل أن السياسة الخارجية التي اختارها هي التي أمدت - في عمرها نحو جيل وأن السياسة الداخلية التي مارسها كان مصوقاً اليها بموامل خارجية وداخلية كثيرة وكان بعضها لا يخلو من حكمة وبصيرة ذلك أن السلطان عبد الحميد لم يرتفع الى عرش اجداده الا بعد أن ترعزت أركانه وأشرف على الانهيار (٣) وفي مقابلة شخصية مع الاستاذ محمد جميل بيهم قال " السلطان عبد الحميد أنشأ حوله أعداءه من الاتراك والترقي هالة مظلمة غير أن كان في الواقع على غير صفوة به ومن المؤسف أن هذه الدعايات ضد السلطان عبد الحميد أنتقلت الى بلاد وتبناها كثير من أدبائنا المعروفين فضلاً عن أدباء الدولة

(١) نقل شيخ الاسلام مصطفى صبرى في كتابه وموقف العقل والعلم ج ٢ ص ٨١ ذكره . " أنكلهارد " أحد سفراء فرنسا في تركيا في مقدمة كتابه (تركيا والتنظيمات) في تاريخ أصالح الدولة العثمانية يقول " وكان الفرض من التنظيمات تقريب الحيلة الاجتماعية الاسلامية الى الحياة الاجتماعية المسيحية فقد كان العامل في وقف الامبراطورية العثمانية في موقفها بالقرون الوسطى الذي تحسها يوماً عن يوم في ظلام تلك القرون الكثيفة والذي سينتج في يوم من الايام أندراسها بقاء الحكومة العثمانية منفردة في خارج الهيئة الدولية الأوروبية وكان السبب الحقيقي لهذا الانفراد هو الدين .)

(٢) للتوسع في هذه الفكرة راجع كتاب " الحرب الصليبية والأوربية التاسعة ص ١٣٨ : ١٤٥

(٣) فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ١٦٩ .

العثمانية التقليديين " (١) ومن أولئك الاستاذ عمر الدسوقي الذي يقول " -
استولت الدولة العثمانية على الشام في القرن السادس عشر وساسته مع بقية البلاد
العربية التي سيطرت عليها سياسة متعصبة فشددت على الاقليات وحرمتها الكثير
من حقوقها وانتقل استعمال الشدة من الاقليات الى الجميع حتى قال بعض الباحثين
ظلت مصر وبلاد المروية ثلاثة قرون تحت حكم الاتراك وهي في ظلال داس وجهل
فأضحى تعاني مرارة الظلم وقسوة البغي . قلب ماشئت من أسفار التاريخ يترى الا -
صفحات سوداء قاتمة تنبعث منها روائح الاستبداد والبطش (٢) .

ومنهم أيضا الاستاذ ولي الدين يكن الذي يقول " لم يهمل عبد الحميد شاردة
ولا واردة مما كتبه الاحرار في صحفهم وأسفارهم الا أحاط به خبرا وأحصاهم ونظرفية
وتأمل قريبة وبعيدة وفكر في جلية وخفية فماراه حجة عليه تلتطف في أزالته غير مظهر
أنه أزاله خوفا من هجاء الاحرار ومالم يكن كذلك تركه على حالة غير مبدل من حاله
شيئا ولكن أمرين كانا شديدين على نفسه شهوة ولزوما : إعلان الدستور والتخلي
عن الاستبداد هذان أمران ما حدثته نفسه أن يرضى فيهما الله ولا عباده وكان -
كلما ذكر له خصومة مثلبة من مثالبه غلت مراجلة وهاج غضبه في خوف تيد وعلى وجهه
آثاره وأن بالغ في تكتمه " (٣) هذا وينبغي أن نذكر أن ولي الدين يكن كان -
ماسونيا ومن الاعضاء البارزين في حزب الاتحاد والترقي حيث القى في حفل نيازي -
في القاهرة بمناسبة افتتاحه قصيدة مطلعها .

يا عصر قد حسدتك اليوم أعصار
الامر شورى وكل الناس أحرار
ختمها يقول : هنئتكم بأخاء كان مختفيا مخفيا
بين القلوب فحان اليوم أظهار
لم يستجد ولكننا نكسرره
وهكذا يستديم الامر تكرر

كما القى الاستاذ نعم شقير / رئيس محفل نيازي - وهو مسيحي وكان -
سكرتيرا لحاكم السودان الانجليز قصيدة مطلعها :-

فتى الاحرار لا تخش الصعابا
ولا تحسب لنا ثبة حسابا
ختمها يقوله : نشير بأدعياء الدين حريبا
ونكشف عن ذوى الظلم الحجابا
ونثبت في الجهاد الحق حتى
نلاقي عند خالقنا الثوابا

(١) مقابلة الاستاذ بيهم في بيته في بيروت في ١٥ / ١ / ١٩٧٥ .

(٢) في الادب الحديث ج ١ ص ٩ راجع محاضرات في نشوء القومية العربية

ص ١٠٨ راجع أيضا تاريخ فلسطين خليل طوطم ص ٢٦٨ - ٢٧٢ .

وعبارة وصفحات سوداء : خطأ نحوي واضح والصواب أسود . د عبد السلام سرحان

(٣) مناهل الادب ولي الدين يكن ص ٩٢ .

جاء في آخره قد عقب أحد الكتاب الماسونيين على هاتين القصيدتين في مجلة المقتطف بمقال * ولا تظن أن أحدا يطالع هاتين القصيدتين الا ويرى فيهما روح - الماسونية والفرض الذي ترمى اليه وهو التعاون على البر والنفع العام وهذا شعار الماسونية * (١) من أدبائنا الذين تبنو الهجوم على السلطان عبد الحميد - الاستاذ المؤرخ محمد رفعت - وزير المعارف المصرية سابقا أذ يقول مشهرا :-

* ورسمه أي عبد الحميد لا يبيح أنظارهم - أي العثمانيين - ومخيلاتهم وهو يتراءى لهم في صورة المطبوعة المعلقة على جدران بيوتهم ومتاجرهم وفي مجال أعمالهم ولكن اسم السلطان لا يطرق أسماع الناس حينذاك الا مقترنا بالفاظ الجلالة فهو أمير المؤمنين وظل الله على الأرض وهو خليفة المسلمين كافة ومع ذلك فأن هذا السلطان الذي مجده الناس كادوا يؤلهونه لم يكن في حقيقة الامر الا طاغية مستبدا لم يتورع عن الظلم والفردوس سفك الدماء حتى أنحدر اسمه في التاريخ منسوتا به * السلطان الدامي * أو * السلطان الاحمر * (٢) والحقيقة التي أظهرت السلطان عبد الحميد بهذه الصورة هي أنه كان حازما في عمل كل ما يصون الدولة من الانهيار أمام الاسباب المتكاثرة عليها سواء أكانت داخلية أم خارجية ويتساءل الاستاذ الفرجاني فيقول * وأني لاسأل المعترضين على هذا (الاجتهاد) الذي (أجتهد به) - السلطان عبد الحميد وعمل بمقتضاه أين هو الدستور المعمول به في هذا المشرق بعد مرور أكثر من ستين عاما على خلع عبد الحميد (٣) وقد أظهر أعداء الدولة والسلطان هذا الحزم وكأنه سفك دماء ومجازر وظلم خصوصا وأن معظم أعمال الدولة الخارجية منها كانت بيد الحاقدين من رعيته والى هذا يأخذ جمال الدين الافغانى على العثمانيين تساهلهم مع القوميات والطوائف المختلفة فهو يلاحظ أن مستشار وزارة الخارجية العثمانية كان أرمينيا وهو أرتمين باشا وسفيرها لدى أنكلترا كان روميا * موزوروس باشا * وحاكم جزيرة كريت هو قسطاكي باشا ويتساءل الافغانى فيقول * فهل يمكن أن نرى مستشار خارجية بريطانية مصرية أو هنديا ويقول صفوت - باشا * أن سبب انفصال الولايات المسيحية عن الدولة العثمانية كان نتيجة لحسن معاملة السلطنة لاهلها وترك التقاليد الاصلية حرة * وقد تكلم فضيلة الشيخ مصطفى صبرى عن هذا وأشار الى ما كتبه الامير شكيب أرسلان في الخلاصة التي كتبها * جوفارا لكتابه * مائة مشروع لتقسيم تركيا * حيث يقول * كانت السلطنة العثمانية سلطنة - عسكرية محضة مستندة على شرع سماوى * وقال * العداوة الحقيقية كانت عداوة النصارى

(١) مجلة المقتطف ج ٣٦ ص ١٥٧

(٢) التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة محمد رفعت ص ٨٣ .

(٣) الحزب الصليبية الأوروبية التاسعة ص ١٠٥ .

(٥) للمسلمين برغم تسامح المسلمين في الحرية الدينية التي يتمتع بها المسيحيون في السلطنة العثمانية " وقال : " مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية " (١) كما أشار المستر وليم للكراف في كتابه " المسألة الشرقية " ص ١٠ - ١١ ما تعريه بالحرف الواحد " أن المسلمين آمناء ذوو عهود وحرمة وبيثاق بخلاف غيرهم كبعض الارمن واليونان والمالطيين فأنهم مفترون مختلفون لا كاذيب وأقاصيص لا أصل لها أفترأ على المسلمين وعلى دولتهم ولسو الحظ فأننا نرى هؤلاء الافاكين هم التراجمة الذين يرافقون السياح الاجانب في البلاد - العثمانية والغريب أن هؤلاء السياح أيضا يعتقدون أقوال أولئك النمامين كآيات بينات ينشرونها في أوروبا فتتلقاها الأمم الأوروبية قضية مسلمة فتزداد إذا ذاك - ضلالا على ضلال " (٢) وقال في صحيفة ٢١ ما عناه " لقد كثر المفترى عن - سلوك الجنود العثمانيين مع أننا إذا رافقناهم الى المدن والقرى التي بدخلونها أو المعام التي يخوضونها أو المعام التي يخوضونها ألباطالا أمناء مسومين (٤) صبورين على احتمال المشاق كما يشيعه اليونان أفترأ عليهم فالحق قصود منه تضليل الشعوب الأوروبية لا غير ومن ذا الذي لا يوجب عند ما يرى أن الكذب - ليس تجارة لليونان فقط بل للسفارات الأوروبية بواسطة تراجمتها الشرقيين " (٣) وعن معاملة الدولة العثمانية لرعاياها على اختلاف مللهم ونحلهم معاملة حسنة بدون تفريق : قال الكونت هنري كرسنسكى في كتابه المدعو " تاريخ قوزاق - الاقرين " ص ٥٣ " ولقد ندم (خميالنسكى) أمير القوزاق أن لم يجعل بلاده من أملاك الدولة العلية عوضا عن ضمها الى روسية وكان آخر كلامه وهو على فراش الموت سنة ١٦٥٦ م قوله " الهى لقد أقترضت ذنبا عظيما وأحرقته بيم أعذر عنه إذ جهلت قومي تحت سلطة من لارحمة في قلوبهم ولم أجعلهم تحت حكم الدولة العثمانية الرحيمة برعاياها لقد غدرت بقومي ولم أنصحهم إذ لم أجعلهم تحت حكم

راحت رفعت

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ج ١ ص ٨٢

(٢) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٢٠٧ ص ٨٣ رجب ١٣١٦ هـ

(٣) المرجع السابق

(٤) مسومين - لهم علامات (٥) كذا والصواب " على الرغم من "

(٦) كذا والصواب " تتهجم "

(٧) هذا جمع خاطئ كل الخطأ والصواب : صبر

(٨) الصواب : بواسطة • كفير وغير وعفور وغفر • الخ

سلاطين آل عثمان الكرام * وقال في مكان آخر * وكانت البلاد العثمانية خير حصن بأوى اليه من رماء الدهر بالارزاء من الاوربيين جميعا ولما أعتمد بلاء قوزاق (الزبوروكسى) راشدر النجاوا مع أميرهم الى الدولة العثمانية فأحسنّت اليهم وأعطتهم عقارات وأراضى فسيحة يزرعونها ويقتاتون من ريعها (١) وفي هذا تأييد لرأى جمال الدين الأفغانى الذى أوردناه بهذا الشأن .

السلطان عبد الحميد ضحية فلسطين وشهيدها الاول :

بدأت نهاية الدولة العثمانية تيم وقف السلطان عبد الحميد فى وجهه —
المطامع اليهودية عن تحقيق أهدافها فى فلسطين وحتى نتمك من فهم دور اليهود فى أسقاط السلطان عبد الحميد الذى به انتهت دولة الخلافة وهيبته يجب أن نبدأ من القرن التاسع عشر حيث كانت الدولة العثمانية تعطف على اليهود عملا بتوجيهات الدين الاسلامى الذى يوصى بأهل الذمة خيرا وقد رحبت بالمهاجرين اليها منهم عند فرارهم من وجه الظلم الاوروبى ولعل فيما كتبه صاحب ثمرات الفنون يوضح مدى القسوة التى كانت تعامل بها الطوائف من قبل الدول الاخرى . فقد أورد صاحب ثمرات الفنون خبرا جاء فيه * وقال الكونت المذكور — هنرى كرسنسكى فى كتابه تاريخ القوزاق الاقويين — فى وجه ١١١ ما حصله * وشرع الروس يقتلون — اليهود والكاثوليك والروتستانت نساء ورجالا وأطفالا لا وكانو يشفقون الرجل البولونى الكاثوليكى ويقره رجل بروتستانتى ويشفقون بينهما كلبا مبالغة فى الاحتقار وفى سنة ١٧٦٧ حرقوا بالنار الوفا من اليهود دون أن يرحموا صغيرا أو كبيرا الى أن قال فى وجه ١٣٠ أما العثمانيون فلم يبد منهم الا الاحسان لكل من أم بلادهم ومادخلت الدولة العثمانية بلدا الا وعمرها عدلها وصانها شرعا وقد نشرت ووسية أعادنا عموميا بالامان طن يروم المودة الى وطنه فصدق بعض القوقاز الذين أحتمو بالبلاد العثمانية قولها فعادوا نحو أوطانهم فما استقرت أقدامهم بالبلاد الروسية حتى لاسقوا كئوس الموت الزؤام ولم ينج منهم أحد (٢) وفى مكان آخر ذكر صاحب ثمرات الفنون فى المعنى نفسه قول المسترفون والمستر واهويلم فى كتابهما المدعو *

(١) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٩٢ ص ٣ .

(٢) مجلة ثمرات الفنون ج ١١ ٩٨ ص ٢ .

"أركان الأوربيين وجه ٢٠٨ متعريه بالحرف الواحد " أن أبناء جلدتنا - يتخطفون المسلمين زه من كل جانب ومع هذا نرى هؤلاء يحسنون اليهم ويحمونهم من بعضهم البعض ويحرسون معابدهم ورواساءهم الروحانيين فكان المسلمين لم - يذوقوا مرما فعله متوحشوا أوروية من الفضائح نيا فضيحة من يقول أننا قوم عادلون وهذه أعمالنا التاريخية تشهد علينا بعكس ذلك " .

وقال في وجه ١٥٥ من الكتاب نفسه " لقد قتلت الوف من اليهود نساء - أو أطفالا أو رجالا في أزقة أشهر المدن الاوروية ولم يعد لولئك المساكين مأوى أمين الا بلاد الدولة العثمانية فهي بلاد الراحة والامن والسلام .

وجاء في الكتاب المدعو " تاريخ اليهود " وجه ٥٤٨ مانصه " لقد كثر قتل اليهود وحرقتهم بالنار دون استثناء الصغير منهم والكبير في كافة المدن - الاوروية ولم ينج من العذاب الا القاطنون في بلاد الدولة العثمانية بسلام - الامن والسلام (١) ومن الادلة على عطف الدولة العلية على اليهود وحمائتها لهم أن " يهودا - حثسيد " حاخام طائفة الاشكاز أستدان مبالغ كبيرة من أهالي القدس - لينفقها على شؤون طائفته ثم عجز أو أنه تظاهر بالمجزع عن تسديدها فأصدر السلطان محمود الثاني إرادته السامية عام ١٨١٦ باعفاء الاشكاز من هذه الديون وفي عام ١٨٥٠ كان عدد اليهود في كافة أنحاء الدولة العثمانية لا يزيدون على ١٥٠ ألف يهودي كانوا يعيشون في نظام خاص بهم منهم سبعة عشر ألفا في - فلسطين وينتشرون في القدس وياقه وطيريه وصقد . وبدأ شعور الدولة يتبدل نحو اليهود في أواخر عهد السلطان عبد المجيد ١٨٦١ حيث بدأ أعوانه يشتبهون في اليهود وسلوكهم ألا أن تدابير صارمة لم تتخذ بحقهم بل اكتفى بفرض المراقبة على نشاطاتهم . أما فكرة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين فقد تبنتها بريطانيا منذ أنشأت قنصليتها في القدس عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ وأعلنت فيه حمايتها لليهود مع حملة صحفية بريطانية تؤيد أمكنس اليهود في فلسطين ظهرت في مقالات التايمز في السابع عشر والسادس والعشرين من أغسطس ١٨٤٠ تحدثت

فيه عن إمكان قيام دولة يهودية بجهد بريطاني (١) وزار السيد لورنس أوليفانت
البريطاني فلسطين عام ١٨٧٩ وقام خلالها بدراسة سرية لشئون الزراعة والسرير
والثروات الطبيعية ثم عاد الى لندن ليتقدم للحكومة البريطانية وكانت برئاسة
اليهودي دزرائيلي - بمشروع للاستفادة من الاراضي المحيطة بنهر الاردن على
أن يقوم اليهود باستثمارها والسكن فيها فوافقت عليه الحكومة البريطانية وتبنته
ولما عاد أوليفانت الى الاستانة وأجرى اتصالات مع الحكومة العثمانية بشأن مشروع
استدعاه السلطان عبد الحميد وأفهمه بصراحة أنه لن يسمح لليهود مطلقا باستعمار
فلسطين لاعتقاده بأن غرضهم الحقيقي هو إقامة مملكة لهم فيها أساسها الدين . .
. وأضاف أن اليهود يستطيعون بسلا وأطمئنان أن
يعيشوا في أي جهة من الدولة العثمانية ما عدا فلسطين فاستجد لورنس أوليفانت
بمسفير بريطاني وأمريكي لمساعدته على اقناع السلطان لتغيير موقفه ولكن السلطان
رفض تدخلها وأمر باخراج أوليفانت من البلاد وقام السفير الأمريكي
المسترد الاسماعيل جديد لحمل السلطان على السماح لليهود بالهجرة الى
فلسطين وأستملك الاراضي فيها فأفهمه السلطان بصراحة وحزم أن لا أمل لليهود
في فلسطين وأنه اذا كان اليهود يريدون عملا خاليا من أي غرض وهدف سياسي
فأمامهم ما يشاءون من سهول العراق وسوريا والاناضول . ولم يكف السلطان
عبد الحميد بالرفض بل وقع قانونا عام ١٨٨٠ يمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين
وأستملكهم الاراضي فيها ويعد ذلك يمامين أحتلت بريطانيا مصر وأعلن في الوقت
نفسه عن قيام الحركة الصهيونية فضاغف هذان الحادثان من قلق الدولة العثمانية
ومخاوفها من المطامع اليهودية وأد لاحظت بعض التحايل من قبل
اليهود على القانون^{حيث} أستطاعوا بالتعاون مع الدول الاجنبية وبمساعدة بريطانيا وأمريكا
خاصة مواصلة التحايل على القوانين العثمانية مستغلين ما كان يسود الادارة العثمانية
أنداك من تدهور ورشوة فلم يجز السلطان بدأ من أن يتدخل بنفسه وأصدر أوامره -
الشخصية المشددة بمنع أي يهودي من دخول فلسطين الا اذا كان يحمل جوازا رسميا
يحمل تأشيرة تركية للدخول كما أمر بطرد جميع اليهود الذين يثبت أنهم دخلوا
أراضي الدولة العثمانية بصورة غير شرعية فتدخل السفير الأمريكي تنفيذا لتعليمات
مشددة تلقاها من واشنطن وباريس ليضغط على الحكومة لالغاء الاوامر فم يفلح بأكثر
من أن الصدر الاعظم سعيد باشا وافق على السماح لليهود الذين يحملون جوازات

بحر

صفر قانونية بالاقامة في فلسطين مدة أقصاها ثلاثة أشهر وظل السلطان عبد الحميد مشددا في منع اليهود من الهجرة الى فلسطين وأستملك الاراضى فيها ووقف العديد من المساعى والجهود التى كان ممثلو بريطانيا وأمريكا يبذلونها باستمرار لحمله على الدول عن خطته واستمر هذا النشال العنيف مدة عشرة أعوام تقريبا دون أن تستطيع الدولتان الفوز بأمنيتهما ، وفى عام ١٨٩١ أرسل قنصل أمريكا الى حكومته رسالة يقول فيها أن تركيا المسلمة لن ترضى باقامة مملكة لليهود في فلسطين وفى عام ١٨٩٣ أصدر السلطان عبد الحميد أوامرا جديدة يمنع اليهود من شراء الاراضى في فلسطين . ثم دخلت المفاوضات بين السلطان عبد الحميد والصهيونية مرحلة جديدة أكثر جديّة وصراحة وتصميما من قبل مثل تيودور هرتزل الزعيم الصهيونى بين يدي عبد الحميد سنة ١٨٩٣ وكان يرافقه موسى لاوى الحاخام الاكبر للدولة العثمانية وبعد مقدمة مليئة بالرياء والنفاق والتلق ببناء له حاجة أمتهم للحماية والرعاية التى تلقاها من الدولة العلية ثم دخلا في صلب الموضوع الذى جاء من أجله بمناوره كلامية بحسناتها فكان - السلطان الداهية حريصا على أن يسبر غورها ويكشف أمرهما دون أن يظهر عليه أى أثر للانفعال ويصفى اليهما برحابة صدر وهدهو .

فقال أحدهما : أن عبيدكم اليهوديا أصحاب الجلالة مد ينون لكم ولا جدادكم العظام وللشعب التركى المجيد بحسن الضيافة والمعاملة التى يلقونها ولن ينسى التاريخ مالم يه الشعب اليهودى من العطف والرعاية التى رأوها وهم يدعون لكم بطول العمر " (١) .

قال السلطان : أريد معرفة مقاصدكم الحقيقية التى طلبتم مقابلتى من - أجلها : فأجابا بتواضع وتحفظ " أننا نجروا بالبيان لسدكم الصمونية ، أن عبيدكم اليهود المشمولين بالطاقم الملوكية ^{نصرانية} بحسرة وحاجة الى وطن يلم شعبتهم ولا ينسون لكم هذه المنّة والفضل مدى الازمان وسيدكرونه لكم بالتعظيم وبالاكبار والتبجيل " فقال السلطان : " كنا نظن أن اليهود في ملكتنا - يتمتعون بكل عز ورفاه مشمولين بالعدالة والامن كما كنا نظن بأنكم مسنونون من - حسن المعاملة التى يلقاها اليهود أسوة ببقايا الرعايا العثمانيين لهم مالمهم عليهم بدون تمييز فهل لكم شكاية من معاملة غير عادلة لانصرفها نحن " فأجابه برهبة وخشوع " نستغفر الله يا صاحب الجلالة أن رعاياكم اليهود يتمتعون بكل

(١) كان اليهود يجتمعون للصلاة والدعاة للسلطان راجع الجوانب عدد

طمأنينة وامتنان ولا توجد لهم أى شكاية وكل ما هنالك أننا نسترحم منكم ولو قطعة أرض رمزية لتكون لهم مركزاً دينياً يحجون إليه فى ظل دولتكم وليقوموا فيه - بالصلاة والدعاء والشكر لسد تكم العلية ودوام حياة جلالتكم " فأجابهم السلطان باقتضاب " لا يمكننا أن نعمل أكثر مما عملناه حتى الآن تجاه أمنكم التى تتمتع بخيرات البلاد كمواطنين عثمانيين بل وأكثر وأظنكم تذكرون ما كان يلقاه اليهود قبل لجوئهم الى بلادنا من الحقار والذل والاضطهاد فى مختلف البلاد التى هاجروا فيها " وأدار السلطان وجهه الى الخاخام موسى لاوى بنظرة جادة وقال له " أليس ذلك باخاخام أفندى " فأجابة الخاخام بتلكوت وتمتعة : الله يزيد فى عور جلالتكم " وتكلم تمودور هرتزل فقال " هل لى أن أتقدم بعرض على جلالتكم بأن تقدروا أن تحسبوا مائة ستمسبوه من ثمن الاراضى التى تعود ملكيتها الى جلالتكم فى فلسطين بشرط أن يدفع اليهود بدلها نقداً مع الزيادة مهما بلغ وأرتفع الثمن من ملايين الليرات الذهبية وهنا هوى الدم فى عروق السلطان وصاح بهما : " هل وصل بكم الامر لتعرضا على ثمننا لقطعة أرض عزيزة من أرض الوطن المبدولة فيها دماء الشهداء التى لا تباع - ولا يمكن التفريط فى شبر منها بل نحن على استعداد لكى نبذل المزيد من الدماء للمحافظة عليها أكثر مما بذلناه حتى الآن " ثم نهض علاوة انهاء المقابلة فانسحب هرتزل ولاوى بجرران ذبول الخيبة ، ويقال أن اليهود تدارسوا فيما بينهم نتائج هذه المقابلة ودعوا الى مؤتمر عقده فى مدينة بازل فى سويسرا عام ١٨٩٧ ضم أكثر من تسعمائة شخص يمثلون ستمائة جمعية يهودية وفى هذا المؤتمر اتخذت مقورات (بروتوكولات حكما صهيون " المشهورة ويقال أن هرتزل قد عرض فى هذا المؤتمر فكرة إقامة وطن قوس لليهود فى غير فلسطين فى أوفندة مثلاً بعد أن يش من السلطان عبد الحميد الا أن - بقية المؤتمرات قروا الزحف الافرادى المتواصل الى فلسطين للتمركز فيها والسكن فى تلك البقاع المقدسة بصفة زائرين أو مجاورين وفى ذلك العام زار - الاستانة الامبراطور غليوم الثانى الالمانى ومنها توجه الى زيارة القدس فاعتم اليهود الفرصة ورجوه التوسط مع مضيفهم لمانحهم ما يريدون ^{لهم} الامبراطور فعلا ولكن السلطان عبد الحميد لم يتخرج عن موقفه قيد أنملة بل على العكس من ذلك جعلته هذه الوساطة يحس بالتركيز اليهودى على فلسطين ويتوجس خيفة فأصدر أوامره المشددة لتقييد اليهود الزائرين للاماكن المقدسة بـ (البطاقات الحمراء) التى مالبثت أن عرفت باسم (الجواز الاحمر) وهذه لاتبيع بقاء اليهودى الزائر فى فلسطين أكثر من شهر واحد ومع هذا لم يياس اليهود -

وتوكل

فأوفدوا اليه نائب سالونيك عمانوئيل قره صو أفندي ليعرض على السلطان خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية للخرينة السلطانية الخاصة ويبلغ أكبر تحدده - الحكومة العثمانية ويعطى لها كقرض بلاقاعدة والى أجل غير مسمى مقابل اعفاء واعطاء اليهود المثلث القائم بين يافا والبحر الميت وكانت الدولة تخوض فى ذلك الحين حربا مريرة مع روسية وتجتاز أزمة اقتصادية خانقة ومع هذا غضب السلطان وطرده من خضرتسه .

وتقول بعض المصادر التاريخية أن تيودور هرتزل مالبت أن أعاد الكرة وقابل السلطان بعد توسط سفيرى بريطانية وأمريكة وعرض عليه أن ينشئ اليهود لدولته أسطولا حربيا وتجاريا يفوق ويستلب من الاسطول البريطانى سيادة البحار . . . فأبلغه السلطان أنه يرفض جميع العروض اليهودية من أساسها وأنه لن يسمح لهم باستعمار فلسطين والثابت قطعا أن مكاتبات جرت بينهما حول هذا الموضوع وأن السلطان ظل متمسكا بموقفه حتى النهاية طالبا الى اليهود أن يحتفظوا بملايينهم الى الحين الذى يستطيعون فيه الحصول على فلسطين ولكن على أنقاض دولته العلية العثمانية (١) .

وضاق اليهود ذرعا من تصلب السلطان عبد الحميد الثانى تجاههم فاتخذوا - مقررات جديدة خلاصتها محاربة السلطان عبد الحميد وبذل كل جهد لازاحته عن العرش (٢) واللجوء الى الاغتيال اذا لم يبدأوا ببثون الدعايات - ضده عن طريق جنسياتهم السرية والماسونية فى الصحف الاجنبية وأعدوا مؤامرة لاغتياله (٣) بوساطة فوضوى أرمنى كان السبب فى اختياره خوفهم من عدم نجاح هذه المؤامرة فلا يلحق حينئذ باليهود أى ضرر وفعلا انفجرت -

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١١٢ - ١١٤

(٢) لمعرفة حقيقة الدفعة الماسونية فى عزل السلطان عبد الحميد عن طريق الاتحاد والترقى راجع كتاب حقيقة الماسونية للدكتور محمد على الزغبى ص ١٧٤ - ١٧٥ وكتاب الماسونية فى العراق للدكتور محمد على الزغبى ص ١٧٤ - ١٧٩ حيث ذكر ضبط أحد جلسات محفل سالونيك -

الاكبر التى تم فيها المطالبة والتخطيط لاسقاط عبد الحميد كما ورد فى مجلة التحرير " العدد الثانى كانون الثانى ١٩٣٩ التى تصدر فى مصر وتطبع فى مطابع الترقى فى دمشق .

(٣) وهم الذين كانوا كثيرا ما يدعون له كما جاء فى صحيفة الجوائب " المؤمن . مكافرة -

قنبلة موقوته في عربة السلطان بعد ظهر الجمعة ٢١ تموز ١٩٠٥ وللصادفة البحث بل العناية الالهية كان السلطان قد وقف مع شيخ الاسلام خلافا لعادته يبادله بعرض الحديث فتأخر بذلك عن **الركب** فترة من الوقت انفجرت القنبلة خلالها وكان من نتيجة هذه المؤامرة المذابح التي تعرض لها الارمن وثورتهم في ذلك العام .

وعندما فشل اليهود في محاولتهم هذه توسلوا بوسائل دنيئة أخرى - فلفقوا قصصا وحكايات لايزال الكثيرون من الناس يؤمنون بها وكأنها حقائق - ثابتة . . . منها أن السلطان قد أغرق ثلث أو نصف أعضاء مجلس المبعوثان - العثمان الاول في البوسفور وأنه مالبث أن أغرق المئات من طلاب - الجامعات والزعماء المعارضين في البحر عن طريق ربط أرجلهم بالحجارة الثقيلة ورميهم فيها من سراي بروني (١) ومنها قصة وجود سوء استعمال وسرقات وفي مشروع سكة حديد الحجاز واحتفاظ السلطان لنفسه بالاعلانات التي جمعت بمعرفته من أقطار العالم الاسلامي مع أنه حينما استتب الامر للاتحاديين لم يعلن قط عن اسم نائب أو زعيم أو طالب قد رمى في البوسفور أو يكون مفقودا لم يعرف مصيره هذا من جهة ومن جهة أخرى أشادوا برجالهم أمثال مدحت باشا وسموه أبا الاحرار وهو رئيس جمعية (تركيا الفتاة) اليهودية التي أطاحت بالسلطان عبد الحميد (٢) وكان عملهم لتقويض الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد في ميدانين (ميدان خارجي بما لهم من نفوذ ومؤسسات وتحكم في الدولة الأوروبية وميدان داخلي في تغذية الروح القومية الانفصالية لعناصر المملكة المختلفة من عرب وأكراد وشركس وأرناؤط وأرمن وغيرهم وأحزاب وجمعيات سرية زودتها الصهيونية بـ (عقائد يات) حسنة الظاهر ولها في كيان الامة فعل الديناميت المفجر حتى أتت الحركات والجهود المختلفة ثمارها فجعل حزب - الاتحاد والترقي (اليهودي الماسوني) مركز عمله سرا في (سالانيه) وقد اختارها لان فيها عدا الجاليات الاجنبية الكثيرة عددا من المحافظين الداسونية كانت عوناً لهم على تشكيلاتهم وعلى كتمان مساعيهم ثم قويت حركات المعارضيين

بالاعلانات

مم السبت اجتمع الاسرائليون في معبد هم وتلو أدعية خيرية بطول بقضاء مولانا وسلطاننا المعظم وتأيدوا دولته العلية ونصره ومكره " الحوائب عدد ١٨٥٦ لسنة ١٧ " ربيع الثاني ١٢٩٤ .

(٢) " رار الماسونية للجنرال جواد رفعت أتلخان ص ٥٩ .

(٣) راجع كتاب الثورات سلامة موسى ص ٧٢ - ٧٩ .

حتى صارت علنية بعد السرية وتجاوب مع معارض (سلاتيك) الارمن وسائر —
الاقليات تحت شعار (الدستور) (١) أما الشبان العرب فقد اعداهم
التجسس القوي الذي كان الاجانب يورثونه لهم (٢) من حيث لا يشعرون —
بهم وكانت الارشاليات الاجنبية ومدارسها والقنصليات زر رمساك الوعسى نزار
القومى واعتنت المدارس الاجنبية المنتشرة فى المملكة فرصة —
استثنائها من رئاسة الدولة فالقت فى أفئدة تلاميذها النصارى العرب —
المسلمين لتفترهم من الامبراطورية العثمانية ولتكتسب قلوبهم مستعينة على ذلك
ببعض التأليف التى لم تتورع عن الطعن فى الاسلام والتشهير برسوله (٣)
ثم جاء الظرف الذى اضطر فيه السلطان عبد الحميد للعمل بموجب الدستور
العثمانى فى ٢٤ تموز ١٩٠٨ وفى هذه المناسبة قال الامير شكيب فصيده —
مطلعهم — :

الا يابنى عثمان حسبكما شكرا لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبرى
ويصف الخليفة بأنه ظل الله حيث يقول :
والهم مولانا الخليفة ظله قياما على الدستور فى الملة الفسرا
تداركها رمقا باكسير ناظر اذ امان نحر الترب سيره تسبرا . . .
الى أن يقول :

وقد وا أميرا مؤمنين بأنفس كتمها الى عثمان نسبتها فخرا (٤)
ويسجل الاستاذ خليل طوطح شيئا عن تاريخ هذه الحقبة فيقول
وكان شعار الناس قاطبة حرية عدالة مساواة فكثر الفساد وعم التعدى وضعفت
الادارة الملكية وسابت الفوضى وضوئت هيئة الحكومة وطمح الناس الى احتقار
الحكام وجعلوا معنى الحرية فظنوها الاشتراكية أو الفوضوية فكان الرجل ينهب
مال غيره ويستيد بالضعيف واذ اغنته أو زجرته قال حرية مساواة * (٥) ولكن
سرعان ما عاد السلطان والذى الدستور والعمل به ولكن جمعية الاتحاد والترقى
كانت قد تغفلت وأستشرت وزجفت فرقة من الجيش نحو العاصمة أستانبول بقيادة
محمود شوكت باشا الفاروقى * وهنا يسجل السلطان عبد الحميد موقفا حقن به

(١) مجلة العربى عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الافغانى .

(٢) التأثير الاغراء بين القوم وأيقاد النار .

(٣) مجلة العربى عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الافغانى

(٤) ديوان شكيب أرسلان ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٥) تاريخ فلسطين الاستاذ خليل طوطح ص ٢٦٩ .

الدهاء في الوقت الذي كان يستطيع أن يقاوم بحرس قصره ويرد هذه الفرقة ويشم
خبره تحضر فرقة الجيش الأخرى لنصرة السلطان (١).

ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني أيضا " يحفظ المعمرون في دمشق عن أحد
باشوات الدولة العثمانية المرحوم " زاهد باشا الهبل " وكان يروى لجلسائه
آخر ما أتى السلطان في قصره يوم الخلع قال : لما اضطربت الحوادث وتمردت
(سالانيك) أخبر الصدر الأعظم سلطنة بعضيان جيش سالانيك فقال السلطان
(طيب) ولم يزد عليها ثم أخبره باتجاه العصاة نحو العاصمة (استانبول)
فقال (طيب) ولم يأمر بشيء ثم أخبره بدخولهم العاصمة ٠٠٠٠ ثم باتجاههم
نحو قصره ٠٠٠٠ ثم بحصارهم القصور في ذلك كله يقول (طيب) ولا يزيد عليها
وكان الصدر الأعظم شديد الهيبة للسلطان ثم دخل أمر القوى في القصر يستأذن
السلطان بضرب العصاة والمقاومة فنعه ثم عاوده القول بأنهم يريدون أذنه -
بالمقاومة لهم فقال أعرف جيدا ما يريدون هو خلعي أو قتلي وأنا شخص واحد فإذا
أمرتكم بالمقاومة سقطت مئات القتلى منكم ومنهم وأنتم جميعا أفراد من هذه الأمة
والأمة تحتاج اليكم فيما ينزل بها من شدة ثم دخل العصاة ولم يقاومهم
أحد " (٢) كان ذلك في ٣١ آذار ١٩٠٩ .

وتولى بعده أخوه محمد رشاد الذي لم يكن له من الأمر شيء حتى التوقيع
أو الختم فقد وضعت جميعها بيد أنور باشا وأصبح يهود الدفعة والماسون يحكمون
من وراء ستار عن طريق كبار رجالهم أمثال " جاويد بك والميتر سالم " وصانوييل
قرة صو " ولم يكن خافيا على أحد تغفل وسيطرة الماسونية على جمعية الاتحاد
والترقي يقول صاحب الدقتطف " ٠٠٠ وحسبك شاهد ما فعلته جمعية الاتحاد
والترقي العثمانية وأكثر أعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بارشادها "
كما أشار إلى دور الانجليز أيضا في خلع السلطان عبد الحميد في مناسبة
افتتاح محفل نيازي في مصر برئاسة نعم بك شقير مكان الحفل فندق كونتيننتل
وحضر الحفل أدريس بك أغيب مدير المحافظ الماسونية المصرية وإلى يمينه نعم بك

(١) ولكن الدكتور محمد حسين يقول " ٠٠٠٠ ويلجأ زعماء الاتحاديين

في الجيش إلى العنف فيقتحمون الاستانة ويحاصرون يلدز ويشتبكون مع
رجال عبد الحميد في معركة كبيرة تنتهي بالتسليم " الاتجاهات الوطنية
في الأدب المعاصر ج ١ ص ٤٦ ولكنه لم يذكر المراجع .

(٢) مجلة العربي عدد ١٦٩ (ص ١٥٤) مقال الأستاذ سعيد الأفغاني

شقيق رئيس محفل نيازي ثم حضره ستاك بك وكيل حكومة السودان وحضرة القائم مقام برتوك من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فاديرت الوان الطعصام الفاخرة وتداول الجلوس المسامرات الفكاهية ثم شربوا نخب الجنب العالي والحضرة السلطانية وجلالة ملك الانجليز رئيس المحافل الماسونية والانجليزية السابقة . . . وخطب برتوك بالتركية وأثنى الثناء العاطر على الحكومة الانجليزية والامة الانجليزية لانها ساعدت العثمانيين في هذا الانقلاب المبارك — ضد عبد الحميد — الذي فرض أساس الاستبداد ووطن أركان الحرية في الممالك العثمانية وقال صريحا " أن الماسونية كانت المحرك الاول والمرشد الاكبر للجنة الاتحاد والترقي وأظهر الذين تكلموا بالمصرية فضل الماسونية في تأليف القلوب بين كل الامم على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ^{سهرين} مستشدين بذلك ^{سهرين} الاجتماع الذي جمع كثيرين من المصريين والانجليز والترك من المسلمين والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم وكلهم أخوان تجمعهم رابطة الحرية والاخاء والمساواة " (١)

هذا وفي ١٤ نيسان ١٩٠٩ أوفد البرلمان العثماني هيئة مكونة من الرئيس حكمت باشا وثلاثة أعضاء هم أسعد الطوبتالي باشا وغالب باشا وعمانوئيل قره صو أفندي الى سراي يلدز لا بلاغ السلطان قرار الخلع وقد كانت أمارات التردد — والتهميب على وجوه رجالها وكانت النشوة ظاهرة على ملاح قرصو وعندما أبلغه عارف حكمت باشا قرار الخلع أجابه عبد الحميد " ذلك تقدير العزيز العليم وبعد أن صمت برهة تابع يقول " لا بأس فليكن ذلك لقد أممست قيادة الامة يخيط أرفع من خيط القطن مدة ثلاثة وثلاثين سنة دون أن ينقص فأتعني لكم النجاح أكثر مني ، وأعلموا أن المسؤولية التي تحملونها ثقيلة جدا وأستغرق في تفكير عميق كمن يستعرض الاسباب الحقيقية التي أدت الى خلعه والرهبة آخذه بأعضاء اللجنة كل مأخذ وفجأة أنتفض عبد الحميد وأشار الى قوة صوت متسائلا " ماهو عمل اليهودي في مقام الخلافة ؟ " (٠٠) ثم التفت الى بقية أعضاء الوفد وصاح بهم " بأي قصد أتيتم بهذا اليهودي الى هنا ؟ أنا أفهم حقكم كمسلمين —

المقتطف

(١) القطف ج ٣٦ (١٩١٠) ص ١٥٧

فى خلع سلطانكم وخليفة لبيكم ولكن . . . ما هى علاقة هذا اليهودى بالسدى
جئتم من أجله . . . ؟

وهناك ساد الارتباك أعضاء الهيئة وارتعدت مفاصل زعيم يهود سالونيك
وفى رواية ان السلطان انتهره وأخرجه من المجلس (١) .

لقد كان مجىء زعيم يهود سالونيك ضمن اللجنة التى تبلغ السلطان قرار
الخلع أكبر دليل على اليد الطولى لليهود فى خلع السلطان (٢) وقد كان لموقف
السلطان المتعنت اتجاه المطامع اليهودية فى فلسطين السبب الأول فى موقف
اليهود منه موقف العداء والعمل على خلعهم وإذا استبعدنا هذا الفرض لم نجد
هناك سببا مباشرا لهذا العداء فهم بأعترافهم كانوا يعشون أرغد عيش فى
ظل الدولة العثمانية فى الوقت الذى يضطهد ويحرق فيه اليهود فى أوروبا .

يعشون

وفى رسالة السلطان عبد الحميد الرشيد الشيخ محمود افندى أبى الشام
شيخ الطريقة الشاذلية فى عصره حيث كانت تتم بينهما المراسلات عن طريق
أحد الحرس - على السلطان عبد الحميد - الذين أخذوا العهد والطريقة
من الشيخ أبى الشامات أثناء وجوده فى استانبول فى غلقة (راغب رضا بك)
مدير القصر السلطانى كما أخذ عنه عدد من وجهاء استانبول وموظفى القصر
السلطانى وجوهه وحراسه وهى حجة دامغة فى بيان دور اليهود فى عزل
السلطان عبد الحميد (٣) وهذا نصها :

هياحة

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١١٢ - ١١٨

(٢) راجع الماسونية فى العراق ص ٢١٨ - ٢٢٢ . وكتاب حقيقة

الماسونية ص ١٧٤ - ١٧٦

(٣) يقال ان الذى مول الفتنة التى قضت على السلطان عبد الحميد

يهودى يدعى ناثن رئيس بلدية روما راجع كتاب مصطفى كمال

تأليف جو بورت فون تمريرف كامل مسيحه ص ٢١

يا هــو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل السلام وأتم التسليم على سيدنا محمد
رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين الى يوم الدين أرفع
عريضتي هذه الى شيخ الطريقة العلمية الشاذلية الى مفيض الحياة ، الى شيخ
أهل عصره الشيخ محمد افندي ابى الشامات وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته
الصالحة .

بعد تقديم احتراسي أعرض أننى تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٢٢ مارس فى السنة
الحالية وحمدت المولى وهكره أنكم بصحة وسلامة دائمتين .

سـيـدى :

أننى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهارا
وأعرض أننى ما زلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة . بعد هذه المقدمة
أعرض لرشادكم والى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة
الآتية كآمانة فى ذمة التاريخ " أننى لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى
أننى - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة بأسم (جون ترك)
وتهديدهم - اضطررت واجبرت على ترك الخلافة وان هؤلاء الاتحاديين قد
أصرورا وأصروا عليّ " بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود فى الأراضى
المقدسة (فلسطين) ورغم أصدرهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا
وعدوا بتقديم (١٥٠) مليون ليرة انجليزية ذهبيا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية
أيضا وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :

انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبيا - فضلا عن (١٥٠) مليون ليرة انجليزية
ذهبيا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة
المحمدية مما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صدأ ثياب المسلمين آبائى وأجدادى من
السلاطين والخلفاء العثمانيين .

لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعى وبعد جوابي القطعى أتفقوا
على خلعي وأبلغوني أنهم سينفوننى الى (سالانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير
هذا وحمدت المولى وأحمدته أننى لم ألتخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامى

المرارح

بهذا المار الأبدى الناشء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضى المقدسة
فلسطين ..

وقد كان بعد ذلك ما كان ولذا فأنى أكرر الحمد والثناء على الله المتعال
واعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام وبه أختتم رسالتى هذه ألسن
يدكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامى بسالى الى جميع
الاخوان والأصدقاء •

يا أستاذى المعظم :

لقد أطلت عليكم التحية ولكن دفعنى لهذه الاطالة أن تحيط سماحتكم
علما وتحيط جماعتكم بذلك علما أيضا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

فى ٢٢ ايلول ١٣٢٩

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

.....

هذا وقد نشرت هذه الرسالة ضمن مقال طويل للاستاذ سعيد الافغانى
فى مجلة العربى عدد ١٦٩ وذكر الأستاذ الافغانى أن هذه الرسالة مترجمة
عن النسخة الأصلية بخط السلطان عبد الحميد باللغة التركية وقد نشرت
مجلة انجليزية اسلامية نص الرسالة بالانجليزية بعد مقدمة طويلة ففضلنا
الاعتماد على الترجمة العربية المأخوذة عن التركية مباشرة بدلا من ترجمة
النص الانجليزى الى العربية والمجلة اسمها

Impact International fortnight London
23 March - 12 April 1973 Vol 2:21.

ونشرت مجلة العربى أيضا فى عدد ١٧٨ ص ٥٢ - ٥٨ مقالا
فى الرد على الأستاذ سعيد الافغانى بعنوان " السلطان عبد الحميد
طاغية وليس خليفة " للاستاذ عبد الله أحمد حسين يعتمد فيه على المراجع

التي روجت ما أدعته جمعية الاتحاد والترقي من بطش وظلم واستبداد عبد الحميد علما بأن موقف هذه الجمعية من القومية العربية وقضاياها موقوف لا تحسد عليه •

وينبغي لنا ان نقول : ان هذه الرسالة لم تضاف اي جديد في موضوعها سوى أنها وثيقة من السلطان عبد الحميد لاثبات دور اليهود في الاحزاب والجمعيات التي كانت تشور على السلطان منادية بالدستور والحرية في الظاهر وهي تسعى لهدم الخلافة العثمانية في الباطن • حتى أتقدت شرارة الخلاف سافرة أمام رفض السلطان عبد الحميد الموافقة على اقامة الوطن القوي اليهودي في فلسطين حيث قدم السلطان المؤمن عرشه ليكون الثمن • وقد كان هذا معروفا بحقيقته لمثقفى الأمة العربية أمثال الأمير شكيب أرسلان والشيخ محمد عبده ورشيد رضا والشيخ يوسف النبهاني والمؤرخ الأستاذ محمد جميل بهيم وغيرهم من الذين بقى ولاؤهم للدولة العثمانية حتى اللحظة الأخيرة من حياتهم •

وما ان تسلم الاتحاد والترقي الحكم حتى أنطلقت القوائد والتأييدات ترحيبا بالاحرار والدستوريين او شماته في السلطان عبد الحميد أو رثاء له •

هذا شوقي يقول في قصيدته :-

سل يلد ز ذات القصور	هل جاءها نبأ البدر
شيخ الملوك وان تضع	في الفؤاد وفي الضمير
نستغفر المولى له	والله يعفو عن كثير

الى ان يقول :

عبد الحميد حساب مثلك	في يد الملك الخفور
سدت الثلاثين الطوال	ولسن بالحكم القصير
تنهى وتامر ما بدالك	في الكبير وفي الصغير
لا تستشير وفي الحمى	عدد الكواكب من مشير

ثم يشيد بالجيش فيقول :

يا أيها الجيش الذى	لا بالدعى ولا الفخور
يخفى فان رجع الحمى	لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف فى الفعـال	وليس يسرف فى الزئير
فى مدح أنورك الجـرىء	وفى نيازيك الجـسـور
يا شوكت الاسلام بـل	يا فاتح البلد الحـسـير (١)

وهذا حافظ ابراهيم يرثى السلطان فى قصيدة تفيض حزنا حيث يقول :

لا رعى الله عهدا من جدود	كيف أمسيت يا ابن عبد المجيد (٢)
فرح المسلمون قبل النصارى	فيك قبل الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمة	أن يشمت الورى فى طريقـد
خالد أنت رغم أنف الليالى	فى كبار الرجال أهل الخلود

الى ان يقول :-

حاولوا طمس ما صنعت وودوا	لو يطيقون طمس خط الحمـيد
ولى الأمر ثلث قرن ينـادى	باسم كل مسلم فى الوجـود
كلما قامت الصلاة دعا الدا	عى لعبد الحميد بالتأيـيد
فاسم هذا الأمير قد كان مقرو	عما باسم الرسول والتوحيـد (٣)

ولكن حافظ ابراهيم سرعان ما انقلب الى الهجوم على السلطان عبد الحميد فى قصيدة ألهاها فى الأزبكية فى احتفال بعيد الدستور العثمانى وذلك بمـعد عزله بثلاثة شهور يوليو ١٩٠٩ .

(١) انور و نيازى وشوكت من كبار قادة الانقلاب الشوقيات ج ١ ص ١٣٦

(٢) الجدد جمع جدد (بفتح الجيم) وهو الحظ

(٣) الديوان ج ٢ ص ٤٢

يقول :

ولم يخن عن عبد الحميد دهاؤه ولا عصمت عبد الحميد تجاريسه
ولم يخفه عن أعين الحق مخدع ولا نفق في الأرض جم ماسيه
وأصبح في منفاه والجيش دونه يغالب ذكرى ملكه وتغالييسه
يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم فكل امرئ رهن بما هو كاسيه
مضى عهد الاستبداد واندك صرحه وولت أفاعيه وماتت عقارييسه (١)

وهذا شعر يدل على نفاق الشاعر أو على جهله بحقائق الأمور . مع الاسف الشديد . . .

وهذا الشاعر احمد محرم يغلب الوفاء عليه في قصيدته ويرى الناس الذين تزلقوا لعبد الحميد بالأمس يأكلون لحمه اليوم فيقول : -

ثوى عاثر الآمال يؤنسه الأسي وثوحشه أوطاره ومآرييسه
كان جلال الملك لم يبد حوله مهيباً ولم تضرب عليه مضارييسه
كان رؤوس الصيد لم تك خشعا لدى بابه المرجو بالأمس حاجييسه
كان بنات الشعر لم تغش بابه بمستعليات تزدهيها مناقبييسه

الى أن يقول :

أرى الناس من يقعد به الدهر ينقموا عليه وان كانت قليلا معايبه
الم يك ظل الله في الامس بيننا نلوز به والخطب ضحك مذاهبيه
أنطريه قهارا ونؤذيه مرهقنا كفى الليث شرا أن تغل مغالبه
ألا راحم ؟ هل من شفيح ؟ أما كفى ؟ أكل بني الدنيا عدو يغاضبيه
أكان يريد سوء بالملك ؟ أم يرى مسرته في أن ترن نوادييسه
أكل ماتيه ذنوب ؟ أكله عيوب ؟ ألا من منصف ان نحاسبه
أكل ذوى التيجان بالعدل قائم ؟ أما فيهم من لا تعد مثالييسه
أليس الأولى غشوه أجدر بما لأذى وأولاهم بالشر من هو جالبييسه

وأما ولي الدين يكن وهو من حزب الاتحاد والترقي ، فقد حمل حملة شعواء على السلطان عبد الحميد ولا يرى له أى حسنة وقد نقض قصيدة شوقي - الرائية السابقة - على نفس الوزن والقافية معتقداً أن كل حسنة ذكرها شوقي للسلطان عبد الحميد هي في الحقيقة سيئة يقول :

هاجتك خالية القصور	وشجتك آفة البسور
وذكرت سكان الحمى	ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الفزير	لباعث الدمع الفزير
ولوا هب المال الكثير	وناهب المال الكثير
حاش الثغور الباسمات	مضيق أهلة الثغور ^(١)
أهدى الفتور لقلبه	ما باللواحق من فتور
والجند عارية منها	كبها مقصمة الظهور
قص البطون من الطوى	دقت فعادت كالسيور ^(٢)
باتت على خشن الثرى	من بعد مضجعها الوثير
كانت زهور شمسية	لهفى على تملك الزهور
كم خلفها من صبيحة	تمت ومن شيخ كسير
يترقبون مأبها	ان المآب الى النشور
من كان يستحلى الشرور	يموت من تملك الشرور
لما أدبل من السرير	بكاه عباء السرير
نذروا النذور لعوده	هيها تيرجع بالنذور
أسفوا عليه وانما	أسفوا على المال الدريور ^(٣)
طلبوا له عفو الغفور	وشمد عن عفو الغفور
قلص ظلالك راحلا	ودع البرية في المهجور

-
- (١) الثغور الاولى افواه الحسان والثانية البلاد التى على الحدود
 (٢) السيور جمع سير وهو الذى يقدر من الجلد .
 (٣) الدريور المكتنز الخلق المقتدر او السريع من الدواب والمقصود هنا المال الدريور أى الكثير .

أما الشيخ يوسف النبهاني فلم أجد له قصيدة في هذا الغرض لضيق جميع شعره الذي قاله في غير الأغراض الدينية البحتة - إلا القليل - لأنه أوصى باتلافه أيضا - والذي نراه أنه لا بد أن يكون قد نظم شيئاً في هذا الشأن لأنه بفضل حبه للسلطان عبد الحميد وولائه له أصبح رئيس محكمة الحقوق في بيروت وهو الذي يقول في قصيدة يمدح بها أحمد عزت باشا العابد بعنوان " عنوان التهناني ببلوغ الأمان " قال في أولها " وهي قصيدة فريدة في التهنئة بتوجيه رتبة الوزارة السامية من لدن مكارم سيدنا ومولانا وولي نعمتنا السلطان الأعظم والखाقان الأكرم ، أمير المؤمنين وحامي حمى الدين المبين حضرة السلطان الفازي عبد الحميد خان اطال الله عمره وخلد تأييده ونصره الى أبلى كتابه الصادقين وصدق اقربائه المقربين الوزير الجليل الأصيل النبيل عابد زاده حضرة د ولتو أحمد عزت باشا الكاتب الثاني للحضرة العلية السلطانية وأحد اقربائهم الكرام وفخر البلاد الشامية وخصوصا مسقط رأسه دمشق الشام .

والقصيدة تبلغ خمسة ومائة بيت ومن الأبيات التي ذكر فيها السلطان عبد الحميد قوله :

جل الملك الذي أولاه نعمتها	وزاده الله تنويلاً وتنويها
ويلغ الدولة العليا سيدنا	عبد الحميد بها أقصى أمانها
هدية من عظيم القدر قد عظمت	ان الهدايا على مقدار مهابها
لله د ر أمير المؤمنين ففقد	هيا السهام وأعطى القوس بارها
تعجب الناس من حب الملك له	لغاية مالها مثل يسارها
فقلت لا تعجبوا ان الملك له	عقل يحادل د نيانا وأهلينا (١)

وما يؤكد لي أن الشيخ النبهاني كان وفيّاً في ولاءه للسلطان عبد الحميد أنني عثرت له على قصيدة يمدح بها أبا الهدى الصيادي وفيها يذم الترك ذمّاً شنيعاً ويتهمهم بالكفر والعداء للعرب مما يدل على أن المقصود هو حزب الاتحاد والترقي الذي ربما يكون قد أخرج الحملة عليه لاعتقاده أن عملية عزل السلطان عبد الحميد ومجيء أخيه محمد رشاد ليست أكثر من عملية داخلية وأن الأوضاع والمفاهيم العثمانية السابقة لم تتغير ولكن يبدو أنه زار الآستانة فوجد أن الأمور

(١) قصيدة عنوان التهناني ببلوغ الأمان للشيخ يوسف النبهاني

قد تغيرت كليا ولم يعد للسلطان محمد رشاد هبة وصوله أخيه عبد الحميد فقال معرضا بالترك أى الاتحاد والترقى - فى أثناء مدحه لأبى الهدي الصيادى وكان هجاءه الشنيع للاتحاد والترقى هو فى حقيقته مدحا لأبى الهدي الصيادى الذى أودى ونفى بعد خلق السلطان عبد الحميد يقول الشيخ النبهانى من قصيدة مطلعها :-

تذكر دهرنا بالحقيق تصرما
وهبت عليه من ربا الشام نسمة
فواصل سفح الدمع فى خد، دما
فكاد يفيض النفس لما تنسما

الى ان يقول :

مكررة (ص ٥)

ويمت دار الملك أحسب أنها
فالفيتما قد أقفرت من ربوعها
حوت قوم سوء اسلموا أى نفوسهم
والفيت فيها أمة عريضة
وما نقموا منا بنى العرب خلة
ولكن حجاب الحقد أعى قلوبهم
بنى اللؤم انى ما تكلمت هاجيا
ولو لم يكن قصدى مدح أبى الهدي
فانى على رأى لزوم هجائكم
الى الآن لم تبح الى المجد سلما
ولم يبق فيها الفضل الا توهم^(١)
الى الكفر الا من له الله سلما^(٢)
يرى القوم منها أمه الزنج أكرما
سوى أن خير الخلق لم يك أعجما
فلم ينظرونا من ورا حجب العمى
ولكن قلبى من جفاكم تكلمما
لجرعتكم لو ذقتم الهجو علقما
أرى المدح فى فرع النبوة الزاما^(٣)

كل هذا يجعلنى أجزم بوجود قصيدة للشيخ النبهانى توضح موقفه من خلق السلطان عبد الحميد .

(١) إشارة الى السلطان عبد الحميد وانصاره

(٢) إشارة الى حزب الاتحاد والترقى .

(٣) فرع النبوة : (ابو الهدي الصيادى لانه من الصرة النبوية الطاهرة)
وسوف نذكر القصيدة بتمامها عند الكلام على اغراضه الشعرية الفصل الثانى
الباب الثالث .

وأخيرا يتضح أن شخصية السلطان عبد الحميد لم تتم دراستها على حقيقتها (١) حتى الآن ذلك أن الدعاية المضادة

التي يشهها حزب الاتحاد والترقي والجهات الأخرى لأهداف دينية وسياسية صورت السلطان عبد الحميد بالطاغية وصاحب المظلمات بالإضافة إلى أن المصادر الأصلية لدراسته قد ملكها الاتحاديون فزيفوها أو تلففوها وما كان منها ففى البلاد العثمانية قد استولى عليها الاستعمار البريطاني أو الفرنسي أو الإيطالي الحاكم الجديد ونقلها إلى جامعاته ومعاهده .

أما عن الدعايات المضادة فيقول الجنرال جواد رفعت أتلخان " " وأدى هذا الرفض - إقامة الوطن القوي اليهودى فى فلسطين - إلى إثارة دعاية يهودية عالمية ضد الطبقة الحاكمة فى الدولة العثمانية متخذة من الافتراءات والأكاذيب سلاحا لها وكانت هذه الأكاذيب والافتراءات من القوة بحيث لا يمكن للإنسان أن يقف أمام تيارها الجارف وكانت تتضمن أمثال هذه الكلمات " لا حرية فى الدولة العثمانية " " الاستبداد يخلع عليها " " السلطان يفتك بالعناصر المثقفة ويرميهم من نوافذ القصر إلى البحر " .

يقول الجنرال جواد رفعت أتلخان وهو أحد أبطال الجيش التركى فى حرب البلقان والقرم " وفى الواقع أن جمعية الاتحاد والترقى التى خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه هى التى أقامت الاستبداد بعد ذلك وشهدت البلاد من المأسى ما لم تشهده خلال ثلاثة وثلاثين سنة من حكم السلطان ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسهم الأخيرة على أعواء الدشائى التى نصبت فى مختلف أنحاء البلاد. أما المصيبة الحقيقية الكبرى فهى وقوع إدارة الحاكم تحسب تأثير النفوذ الماسونى اليهودى وكأن الأرض قد انشقت مرة واحدة عن مستعمرات يهودية ذوات أبنية شاهقة من مناطق حيفه ويافه والرملة والكرمل وهكذا نسرى أن اسر إسرائيل قد أرسيت بأيدينا وأن طلعت باشا (مأمور البريد السابق)

(١) راجع كتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر

ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧ - الهامشى .

رئيس وزراء الحكومة العثمانية المسكين لم يكن على علم بخفايا الأمور لانه كبقية الخافلين كان قد صدق المزاعم الماسونية التي تتفنى بالحرية والمساواة والاخاء البشرى والسلام العالمى ، ولقد انهارت الدولة العثمانية ولفظ طلعت أنفاسه الاخيرة غريبا فى بلاد أجنبية بوصاص الماسونية اليهودية (١) .

هذا وقد أشارت المجلة الانجليزية التي نشرت نص رسالة السلطان عبد الحميد الى شيخه أين الشامات أشارت الى مصادر دراسة السلطان عبد الحميد وما دار حولها من شبهات .

(١) أسرار الماسونية ص ٥٨ - ٦٠ .

وأخيرا يقول الأستاذ محمد الفرحاني :

" وليس أبلغ ما رثى به السلطان عبد الحميد ما رواه المجاهد التركي المغفور له جواد رفعت اتلخان من انه بعد اندحار الجيوش المثمانية في كافة الجبهات وانفراط جمعية الاتحاد والترقي زار القائد جمال باشا أنور باشا في داره الكائنة في أورطة كوي في استانبول - وكان جميع رفاقه قد هربوا - وتذكرا معا في الهزائم وحللا أسباب هذه الاندحارات فقال وزير حربية الاتحاديين - أنور باشا - وقائد جيوشهم موجهها كلامه الى زائريه " أتصرفون ما هو ذنبنا الحقيقي ؟ لقد كان ذنبنا أننا لم نقدر السلطان عبد الحميد حق قدره فأصبحنا الة بيد الصهيونية واستثمرتنا الماسونية . . . هذا فظيع جدا ولكنه في الواقع مع كل أسف كنا العوبة في أيدي اليهودية العالمية " (١) .

الحركة العربية الحديثة :

عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى كافة الشعوب وهو آخر الرسل كان من الطبيعي ألا يفاضل بينها الا بمقدار ما تستجيب لهذه الدعوة متمثلة لها بأفعالها وأقوالها والآيات والأحاديث في هذا الخصوص كثيرة منها قوله تعالى " أن أكرمكم عند الله أتقاكم " (٢) وقد كانت الشعوب راضية بتساويها أمام هذا الدين ولما بدأت السياسة العربية تظهر واضحة في أواخر العصر الأموي وقف الفرس الى جانب المباسيين للاطاحة بالأمويين وأخذت الشعوب العربية تظهر بشكل واضح على لسان شعرائها وأدبائها مجددة لشعوبها في الظاهر نابذة للاسلام في الباطن (٣) .

وقد كان الفرس يطلقون لفظ العرب على كل من يدخل الاسلام منهم .

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٢٠

(٢) سورة الحجرات آية ١٣

(٣) راجع مجلة العربي عدد ٥٤ ص ٩٨ - ١٠٠ مقال بقلم انعام الجندى بعنوان شعوبية ابن المقفع .

يقول الدكتور عبد العزيز الدوري " ان الفتوحات نشرت السيادة للعرب وفتحت أبواب المعمورة أمام التدفق العربي ولم تكن الشعوب المغلوبة تميز في البدء بين العروبة والاسلام في هذا التوسع بل بقي المفهوم مترادفين لديها خلال القرنين الأولين حتى ان الداخلين في الاسلام من الشعوب الأخرى اعتبروا (عربا) في نظر من بقي على دينه منهم ويبدو أن الحرب أنفسهم كانت لديهم أولدى أكثرهم مثل هذه النظرة (١) .

كما أورد الطبري أن " أشروس بن عبد الله السلمي - أمير خراسان وما وراء النهر - وعد باعفاء من يسلم من الضريبة فأقبل الكثيرون على دخول الاسلام فشكا دهاقين بخارى الى الأمير فقال " ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا (٢) " .

من هذا نفهم أن المفهوم الأول للعروبة والاسلام شيء واحد . فمن أسلم من غير العرب فهو في طريقه لان يصبح عربيا بقراءة القرآن والعلوم الاسلامية المكتوبة بلغة العرب وفي العصر الحديث انضم العرب للحكم العثماني ولم يروا غضاضة في ذلك لأن السلاطين العثمانيين لم يفرقوا بين رعاياهم خصوصا العرب الذين هم معدن الاسلام الذي باسمه تخضع الشعوب الاسلامية للسلطنة العثمانية وقد كان العرب يتميزون بنوع من التقديس والاحترام لدى السلاطين وقد لاحظنا ذلك لدى السلطان عبد الحميد كما أن العرب كانوا يفاخرون بأنهم عثمانيون كما أنهم عرب .

وقد تبدلت الأمور منذ أن بدأ الترك يفاخرون بطورانياتهم حيث استيقظ العرب يفاخرون بمجدهم القديم وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عربي والقرآن الكريم

(١) كلمة اعتبروا خطأ شائع بالمعنى المراد منها والصواب : عدوا . د. عبد السلام سرحان

(٢) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ١٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٩٨ راجع ايضا حول الحركة العربية الحديثة

للاستاذ محمد عزة دروزة ج ١ ص ١١ - ١٤ .

بلغة الحرب اذن لا يفضلهم غيرهم من الشعوب • وقد كانت هذه بداية
الوعي العربي الذي عرف فيما بعد بالوعي القومي •

أما الدعوة الطورانية التي أعلنها حزب الاتحاد والترقي - بعد أن أطاح
بالسلطان عبد الحميد - فقد كان مدفوعا من قبل الماسونية اليهودية الهادفة
الى تفتيت دولة الخلافة العثمانية عن طريق إثارة القومية الطورانية مما يؤدي الى
ثورة القوميات الأخرى التي لم يعد شئ يربطها بدولة الخلافة بعد ان أعلنت
انحيازها لأصلها الطوراني وتميزها عن شعوبها •

ومن جهة أخرى أخذت الدول الأوروبية تساعد هذه القوميات على الاستقلال
لاضفاف الدولة العثمانية تمهيدا لتنفيذ أطماعها في الاستيلاء على اجزاء منها
مدفوعة بدوافع نفسية صليبية أظهرها قوادها العسكريون عندما دخلوا القدس
ودمشق •

هذا وقد ظهرت الروح القومية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تقريبا
وقد كانت تتخذ شكل المناذاة بالاصلاحيات الداخلية أو الحكم اللامركزي ضمن
الاطار العثماني العام ولم يكن أحد يجاهر بالانفصال عن دولة الخلافة قبل
اعلان سياسة التتريك من قبل حزب الاتحاد والترقي مما أدى الى نشوء (الحزب
الائتلافي) مكونا من العناصر غير التركية ومنهم العرب وانضم اليهم بعض المسترک
من خصوم الاتحاديين (١) فتولدت لدى السلطنة العثمانية مشكلتان الأولى هي
ثورة العناصر العثمانية مطالبة باستقلالها مثل الكرد والألبان والعرب والعناصر
المسيحية من البلقار والارمن واليونان كما قامت النمسة وأحتلت المهرسك والبوسنة
واحتلت اليونان جزيرة كريت واحتلت ايطالية ليبيا وأطلقت يد فرنسا في مراكش
بعد ارضاء المانية بأعطائها بلادا أخرى في افريقية (٢)

(١) قوافل العروبة ومواكبها محمد جليل بيهم ص ٢٠ - ٢١ ج ٢

(٢) فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ١٨٩ يقول الاستاذ بيهم في مقابلة أجريتها
معه في بيته في ١٥/١/١٩٧٥ " أنشئت القومية العربية للتفريق بين
العرب والأتراك وكانوا يسلكون كل السبل الى الهدف لإضمها التفريق بين
العناصر العثمانية والأتراك الحاكمين وقد كان هذا مسهلا للدعايات
الاجنبية التي كانت تدعو بصورة سرية للتفريق بين العناصر العثمانية •

المشكلة الثانية :

هى شروع الاتحاديين فى العمل على جمع شمل الأتراك حولهم حيث كانوا فى روسية ويوغوسلافية والمجر وبulgارية وغيرها فأثاروا بذلك حفاظ الدول ذوات العلاقة بالموضوع، وقد ساعدت هذه المشاكل الحزب الائتلافى لاستلام مقاليد الحكم وعهد الى كامل باشا تأليف الوزارة وهو من رجال السلطان عبد الحميد غير ان هذا العهد كان قصيرا اذ سرعان ما أسقطت الحكومة الائتلافية وأبعد الضباط العرب عن البلاد العربية وتدخلوا فى انتخاب المجلس النيابى سنة ١٩١٣ حيث لم يمكنوا العرب من ارسال أكثر من خمسين نائبا بدلا من سبعين ومنذ هذه اللحظة أصبح العرب يطلبون الاستقلال التام بعد أن كانوا يطلبون الإصلاح واللامركزية ضمن نطاق السلطنة (١) .

وتولد فراغ لظهور الحركة العربية الاستقلالية لملئه ولكن سرعان ما نشبت الحرب العالمية الاولى فوجد الاتحاديون دولتهم بحاجة الى رعاياها من كل الشعوب فأخذوا ينادون بالخلافة الاسلامية والجهاد المقدس وأخذت جريدة الشرق التى تصدر فى دمشق وهى لسان حالهم فى البلاد العربية تنشر لجمال باشا قائد الجيش الرابع فى الشام أقواله التى يصحح بها أن لا فرق فى نظم الاسلام بين تركى وكردى وعربى وتلج بأستقلال الشرق (٢) ولكن هذه الدعوة لم تلق صدق لدى المسلمين لأن تركية كانت تحارب الى جانب المانية ورسما لان خلع السلطان عبد الحميد ترك مكانه شاغرا فى قلوب المسلمين الذين استطاع ان يستلمهم مشاعرهم نحو الجامعة الاسلامية .

كان النصر فى سنى الحرب الاولى الى جانب المانية وتركية فأيقن الاتحاديون أن النصر النهائى سيكون من نصيبهم فكشفوا عن دخالهم واذا بجمال باشا ينقلب على العرب انقلاب غيره من الولاة والقادة على بقية الرعايا فى الولايات

(١) قوافل العروبة ومواكبها ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ج ٢ ص ٢٥ .

الآخري وإذا بالحكومة الاتحادية تستأنف نشاطها أيضا في الدعوة الطورانية (١) بشكل جدي ولكن الكلمة الأخيرة كانت للحرب حتى إذا خسرت تركية الحرب خسرت كل شيء واحتلت الآستانة من قبل الانجليز عام ١٩١٨.

وليكن معلوما أننا إذا كنا قد بدأنا الكلام عن الحركات العربية الحديثة منذ سقوط عبد الحميد وإعلان سياسة التتريك من قبل الاتحاديين فنحن لا ننكر وجود أوليات لهذه الحركة كما لا يحقل أن تكون قد انطلقت من الصفر بل كان لهذه الحركة جذور غذتها وساعدت على تكوينها فأتخذت طابع (الوحي) و"التنبيه" فمنذ القرن الثامن عشر اتخذت اتجاهها اسلاميا ينادى بإصلاح المجتمع وبالعودة إلى الاسلام وقد تمثل هذا الاتجاه في الدعوة الوهابية وفي القرن التاسع عشر أخذت مظهر "التجديد" وذلك بتوضيح الاسلام بروح عصرية والاستفادة من المدنية الغربية وبالتالي اتخذت طابع الحركة القومية المعروفة.

وكانت حركة الشيخ محمد عبده إصلاحية تدعو إلى استعمال الاجتهاد والفكر مع التأكيد على التراث (٢) وقد كان الاهتمام باللغة العربية الفصحى ظاهرا في هذه الاتجاه فأبن تهيبة (٣) قديما دعا لجعل العربية لغة المسلمين ويرى في تعدد اللغات تكوينا ومحمد عبده حديثا دافع عن العربية الفصحى في اللهجات المحلية وشد توسع اللغات الأجنبية. وأكدت هذه الحركة على

(١) يقول الاستاذ المؤرخ محمد عزة دوزة في مقابلة معه في بيته في دمشق في ١٥ / ١٢ / ١٩٢٤ " وما كان السلطان عبد الحميد يفرق بين العرب والأتراك فالظلم عام والجهل عام والأتراك خلاقا للفرس لم يكن لهم فكرة تهديم العرب ولا تهديم الاسلام تسلطهم ليس كتسلط الفرس سلوك الأتراك مع العرب سلوك اصدقاء وسلوك الفرس سلوك اعداء.

(٢) يقول فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب مطول " ... وكان محمد عبده لا يرى تناقض اساسي بين الاسلام والعلم الحديث ولقد فسر بعض الايات تفسيراً عقلياً وأدرك قصور المدرسة الاسلامية ... وقد ساهم كلاهما محمد عبده والافغانى اكثر من اى كاتب عصرى في تمزيق ثوب المحافظه والرجعية الذى التف به الاسلام منذ العصور الوسطى وهو اول من هاجم بعنف تعدد الزوجات والطلاق والحجاب ص ٨٨٧ - ٨٨٨.

(٣) الصراع بين الموالى والعرب محمد بديع شريف ص ١٢٢ - ١٤٥.

المغرب في التاريخ ودعت الى تجديده • محمد عبده ورشيد رضا لاحظا أن المغرب هم الشعب البارز بين الشعوب الاسلامية لذا هم أفضل هذه الشعوب للقيادة ولاعادة الاسلام لمكانته فالنهضة العربية ضرورية لنهضة الاسلام •

X ويأتى دور الكواكبي في إبراز دور المغرب التاريخى فى المدنية ويركز على عرب الجزيرة بالذات فهم " أعرق الأمم فى أصول الشورى وفى الشئون العمومية " وهم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية " كما دعا الى نهضة اجتماعية سياسية وحمل حملة شعواء على ظلم العثمانيين ودعا الى خلافة عربية (١) •

ويتخذ الكواكبي فى دعوته نبرة " قومية " مبكرة حين يقول " أيها المغرب المسلمون ان أنكر المنكرات بعد الكفر هو الظلم فانهم عن المنكر ان كنتم مؤمنين وانتم ايها العرب من غير المسلمين ادعوك الى تناسى الاحقاد وأجلكم عن الاتهتدوا الى وسائل الاتحاد وانتم المتنورون السابقون ، فهذه أم أميركا قد هداهم العلم للاتحاد الوطنى لأن الدينى فما بالناس نحن لا نفكر فى ان نتبع احدى تلك الطرائق فيقول علماءنا لمثيرى الشحنة من الاعاجم والأجانب بيننا ، دعونا يا هؤلاء نحن ندير شأننا دعونا نجتمع على كلمة سواء الا وهى فلتحى الأمة فليحى الوطن ولتحى طلقاء اعزة " وهو يجاهر بالاستقلال اللامركزى فى قوله " من أهم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالى تركية على استقلال نوعى ادارى يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم •

وفى أقوال الكواكبي دلالة على تدخل الأجانب فى شئون المغرب الداخلية وفيها أيضا تمهيد للدعوات اللامركزية ثم الاستقلالية عن الدولة العثمانية " (٢) • كل هذا كان وعيا عربيا خالصا وجاءت حملة نابليون فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تحمل معها الفارق الحضارى بين أوروبا الحديثة والشرق - المغرب -

(١) كتاب ام القرى للكواكبي ص ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨

(٢) طبائع الاستبداد للكواكبي نقلا عن الجذور التاريخية للقومية العربية

التأخر أضف اليها الارساليات التبشيرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كل هذا أدى الى تغلغل الأفكار والمعادن الغربية وبالتالي فرضت السيطرة الغربية فرضاً وفي هذا تبدد والمفارقة بين الوعي العربي والوعي القومي ثم الحركة القومية (١) .

يقول الدكتور فيليب حتى " كان في حياة الشعوب العربية في هذا الزمن شيء من التناقض الظاهر فقد كانوا يصدون تدخل الأوروبيون في شئون بلادهم بيد ويتقبلون الأفكار الجديدة الكثيرة التي استوردوها في أوروبا فكرنا القومية العربية والديمقراطية السياسية (٢) .

ويقول الاستاذ محمد جميل بيهم في مقابلة معه في ١٥/١/١٩٧٥ " .. الدول الأجنبية بوساطة مؤسساتها اسهمت في انشاء القومية العربية (٣) .

ويقول الدكتور فيليب حتى " وقد بدأت حركة القومية العربية أول الامر كحركة (٤) فكرية صرفة وكان دعائها الأول بالاكثرفكرين السوريين ونوع خاص اللبنانيين المسيحيين الذين تعلموا في جامعة بيروت الاميريكية وعملوا في مصر (٥) .

هكذا نشأت الحركة القومية بجذور ثقافية وطابع ثقافي متميز ثم اتجهت الى ناحية سياسية كانت البدايات في الانتباه الى الارث الثقافي والاعتزاز بدور العرب الحضاري وفي التركيز على اللغة العربية فقد كان للمطابع الموجودة في سورية ومصر دورا ايجابيا في نشر بعض كتب التراث كما ان دور الثقافة واللغة العربية كبير في تكوين الأمة وفي تراثها تجد شخصيتها التاريخية . وقد تمثل النشاط الثقافي في الجمعيات الأولى التي تأسست في البلاد العربية كالجمعية العلمية السورية التي تأسست في بيروت سنة ١٨٥٧ والحلقة الثقافية في دمشق حول الشنينة طاهر الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر واشترت في جمعية النهضة العربية ١٩٠٦ كل هذه جمعيات ثقافية في أساسها ثم ثقافية سياسية فقد ضمت الجمعية العلمية السورية أعضاءها من مختلف الطوائف الدينية (٦) .

(١) راجع كتاب حول الحركة العربية الحديثة محمد عزة دروزة ج ١ ص ٥ - ٨

فقد القى اضاءاً على هذه الفكرة .

(٢) تاريخ العرب مطول ص ٨٨٧ .

(٣) راجع ايضاً كتاب حول الحركة العربية الحديثة ج ١ ص ٤ - ٥ فيه توضيح وربط بين الحركة القومية العربية والتركية والاوربية .

(٤) كحركة تعبير من الخطأ الشائع - لان الشيء لا نسبته بنفسه والصواب من حيث لا سرحان

(٥) تاريخ العرب مطول ص ٨٨٩ (٦) القومية العربية مصطفى الشهابي ص ٤٦ - ٤٧

وكانت حلقات دمشق تدعو الى دراسة تاريخ العرب وقواعد العربية وآدابها وكذلك النهضة السورية أولت هذا الاهتمام الثقافي نفسه لفهضتها مع إثارة الهم لتحرير الامة العربية ومن أوليات فكرة الخلافة العربية ما صرح به أحد أقطاب - جمعية النهضة العربية - الاستاذ محب الدين الخطيب - أذ يقول " ليس بين الاتراك فيما أحسب من لا يعلم أن الامة التركية ما علت إلا على آثار الامة العربية وما شيدت من دعائم ملكها وما وطدت من أسسه إلا على أنقاضها وهم يخشون أن تسرى فكرة الخلافة العربية فتتسرب في فكر الكبير والصغير ومن ثم تقوم الامور بعضها على بعض وهناك الطامة الكبرى (١) وفي هذا تحول في أغراض الجمعيات الثقافية الى أغراض وأهداف سياسية وكان التأكيد على اللغة العربية من أهم مطالب هذه الجمعيات لمواجهة انتشار الارشاليات التي كلفت الاتدخر جهدا في تعليم اللغات الاجنبية وبعد سياسة القترك زاد التأكيد على أهمية اللغة العربية قوميا حيث يقول أحد أعضاء جمعية النهضة العربية " ولقد ثبت بالاختبار أن الرجل اذا أخذ بنصيب من العلم بخير لفته لامته لا يرجى منه في الاعم الاغلب من أحواله - أي خير لقومه ولا يدع فاللغة من الذرائع الكافية لتقويم الحياة القومية " ويقول أيضا " وبعد : فإن # الحناية بخير لفتنا والاضراب عن لغة آبائنا هو الذي سبب لنا هذا العجز الكبير في ميزان التقدم وأن هو الانتيجة سوء التربية والتعليم (٢) وكان التأكيد على الدور التاريخي للعرب من أهم مظاهر الوعي القومي خصوصا في الحقبة التي بين ظهور الاسلام وسقوط بغداد وقد كان للفوضى والتأخر في الدولة العثمانية ~~السلطان عبد الحميد~~ ^{السلطان عبد الحميد} اتجاه هذه الجمعيات (٣) ثم الموجات الضربية الهادفة للنيل من رسالة العرب القومية وتدخل الدول الضربية في الشؤون العربية كل هذا كان له أثر في تعميق الوعي القومي • ويبدو أن السلطان عبد الحميد بذكائه ودهائه شعر بقوة هذا الوعي فأخذ يقرب العناصر الضربية ويوليها المناصب الهامة في الدولة في محاولة لصد هذا الشعور ولأن العرب أقوى عناصر الدولة العثمانية من جهة الخلافة الاسلامية •

(١) محب الدين الخطيب - الدكتور صلاح الدين القاسمي ص ٧٤

(٢) محب الدين الخطيب الدكتور صلاح الدين القاسمي ص ٤٥ - ٤٦ •

(٣) راجع فلسفة التاريخ العثماني محمد بيهم ص ١٧٢ ج ٢ •

وقد تجلت الدعوة القومية الانفصالية في أجلى صورها في المنشور السندي أصدرته الجمعية الوطنية السورية في باريس سنة ١٩٠٥ موجهة الى الدول العظمى جاء فيه " أن العرب الذين تحكم فيهم الاتراك بتفريقهم على مسائل ثانوية تتصل بالمقيدة والشعائر أصبحوا داعين لوحدتهم القومية والتاريخية والعنصرية يرغبون في الانفصال عن الشجرة العثمانية النخرة وأقامة دولة مستقلة لانفسهم وستتسدد حدود هذه الامبراطورية العربية الجديدة الى حدودها الطبيعية من وادي - دجلة والفرات الى قناة السويس ومن البحر الابيض المتوسط الى بحر عمان وستحكمها حكومة دستورية تحرة على رأسها سلطان عربي (١) .

وأخيرا نجح حزب الاتحاد والترقي - وكان من أعضائه بعض دعاة الاصلاح من العرب (٢) - في التخلص من السلطان عبد الحميد وأعيد إعلان الدستور وتوهم العرب أن عهد الحرية والازدهار تحت الراية العثمانية قد جاء واعتقدوا أن الوقت حان ليحقق العرب ذاتهم ويرفعوا كيانهم (٣) في حين أن الدستور يفرض صهر العناصر المختلفة في بوتقة عثمانية لفتها التركية وهذا يهدم الكيان الثقافي والقومي (٤) .

ولذلك جوسمت الحركة القومية بتحد وأصارار خصوصا بعد خلع السلطان عبد الحميد وسيطرة الاتحاديين سيطرة مطلقة مما أدى الى أن تعمل بعض الجمعيات جهرا وهي معتدلة وبعضها تعمل سرا وهي أقرب للتعبير عن النوايا الحقيقية فمن الجمعيات النائية بعد إعلان الدستور جمعية المنتدى الادبي في الاستانة (١) النائشة وحزب اللامركزية الادارية العثمانية شكلته الجالية السورية في مصر ١٩١٢ وقامت جمعية بيروت الاصلاحية في أواخر سنة ١٩١٢ . هذه الجمعيات علنية كانت تنادي باللامركزية وعدم الانفصال عن الدولة العثمانية . أما الجمعيات السرية أهمها الجمعية القبطانية تألفت في الاستانة سنة ١٩١٥ والجمعية العربية الفتاة ١٩٠٩ وتأسست جمعية العهد سنة ١٩١٣ وهي جمعية عسكرية وكانت تنادي بالاستقلال التام والعمل على الوصول باللغة العربية الى مصافى الامم المتعدنة وكان رأى - الجمعيات السرية هو الرأى السائد للعرب وقت الحرب .

ثم دعت الجمعية العربية الفتاة الى عقد مؤتمر وجهته الهيئة التحضيرية للمؤتمر منشورا جاء فيه " دعوة الى أبناء الامة العربية المنتشرة في اقطار الارض تحت كلمة التضامن الاجتماعى والسياسى لهذه الامة حيث نبسط للامم الاوربية أننا أمة متمسكة ذات وجود لا ينحل ومقام عزيز لا ينال وخصائص قومية لا تنزع . . . ونصاح الدولة العثمانية بأن اللامركزية قاعدة حياتنا (٥) وكانت الاستجابة سريعة وعقد المؤتمر العربى الاول في ١٨ حزيران ١٩١٣ .

- (١) الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٧٠ (٢) راجع مجلة المنار ج ٢ ص ٩١٣ - ٩١٩
(٣) محب الدين الخطيب ص ٣٦ - ٤٠ (٤) التوجيه السياسى للفكرة العربية -
الحديث محمد رفعت ص ٩٤ (٥) راجع كتاب الوحدة العربية محمد عز دروزة ص ١١٩
القومية العربية للشهابى ص ٧٠ - ٧١ الثورة العربية الكبرى امين سعيد ج ١ ص ٩٠ - ٩١
(٦) كتاب (المؤتمر العربى الاول) ص ٩ - ١٠ القاهرة ١٩١٣ (٧) المصدر السابق .

وكان في قراءه تأكيد لحقوق العرب السياسية واسهاماتهم الفعالة في ادارة الامبراطورية والنص على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد . وفي محاضر جلسات المؤتمر تظهر لنا القومية العربية بخصائصها المميزة .

قال عبد الفتى العريسي " ان العرب تجمعهم وحدة لغة و وحدة عنصر و وحدة تاريخ و وحدة عادات و وحدة مطمح سياسي (١) وهنا نلاحظ استبعاد العقيدة والدين من حيث هو رابطة قوية عربية واسلامية .

قال الشيخ عبد الحميد الزهراوى رئيس المؤتمر حين سأل مراسل الطان الفرنسية فقال " هل انتم تريدون الوحدة العثمانية لأجل الرابطة الدينية ؟ فأجاب " أن ، الرابطة الدينية قد عجزت عن ايجاد الوحدة السياسية . . . فنحن لا نتمسك بالوحدة السياسية لأجل الرابطة الدينية بل رغبة منا في ايجاد مجموع عثماني قوى يرتقى فيسه مجموعنا العربي بدون حائل في طريقه وأما في قيام حكومة رشيدة تكون لنا مشاركة في أمورنا (٢) ثم جرت مفاوضات مع الاتحاديين وعود بالاستجابة لأهم المطالب ثم سوفوا والتزموا بقدر رضيل منها ثم أعقبه اضطهاد صار لكل القوميين كل حين أذى أدى الى صقل الفكرة الاستقلالية واتخاذ الحركة القومية طابعا استقلاليا تحرريها كل هذه كانت ارهاصات (٣) تهيب " لثورة عربية فكانت ثورة الشريف حسين التجسيد العلمى لآمالها ونواياها فما أن أصبحت تركية شريكا في الحرب الى جانب الطانية ضد الحلفاء حتى أوقف الوطنيون العرب كل نشاط لهم ضدها .

يقول الأستاذ محمد رفعت " اما الوطنيون العرب فقد استلموا موقفهم عند نشوب الحرب من صادق وطنيتهم وما كانت تهمليه عليهم الحكمة السياسية والظروف الدولية . وكان أول استجابة منهم لنداء الوطنية أن أوقفوا نشاطهم السياسى ضد تركية ما دام الاتراك يحاربون ضد العرب والاستعمار وذلك الى أن يستبين لهم الطريق السوى واكثر من ذلك أن جميعياتهم السرية قد اخطرت اعضاءها عند اندلاع نيران الحرب بأن عليهم أن يعاونوا تركية في محنتها ضد العرب (٤) . وهو الموقف نفسه الذى وقفه الشريف حسين أيضا فهو على رغم من سوء الملاقة بينه وبين

(١) كتاب المؤتمر العربى الاول ص ٩ - ١٠ القاهرة ١٩١٤

(٢) كتاب المؤتمر العربى الاول ص ١٨ - ١٩

(٣) الارهاص الاثبات ارضى الشىء اذا اثبتته واسسه .

(٤) التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ص ١٠٤ - ١٠٥

حكومة الاتحاد والترقي التي كان يتوقع منها عزله كما صرح ولده وسفيو المتجسسول
الامير عبد الله (١) وعلى الرغم من المفاوضات الجارية له مع الانجليز عن طريق ولده
المذكور مع " السير روناك ستورز " السكرتير الشرفي بدار المندوب السامي البريطاني
في مصر أثناء لجة الشطرنج ثم المفاوضات الرسمية بالمكاتبة بعد دخول تركيا الحرب
مع السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر التي أصبح بموجبها
ملكا على الجزيرة العربية والصراق وسوريا مع بعض الاستثناءات .

ومع هذا لم يسارع الشريف حسين لاعلان الثورة على تركيا بل بقي يناور ويداور ،
بل ارسل العلم النبوي الشريف في صحبة بعثة شرفية سافرت الى دمشق حيث استقبلها
أحمد جمال باشا ورجال الحكومة بالتكبير والتهليل وجنا جمال باشا أمام البيروق
النبوي مقبلاً طرفه وقام حامل البيرق من الاسرة الهاشمية يدعو للجيش التركي وباركه
قبل رحيل الجيش لغزو مصر عام ١٩١٥ حتى اذا قامت الحملة على مصر بقيادة
جمال باشا يساعد القائد الالمانى كونسشتين وفشلت الحملة في هجومها في ٢ - ٣
فبراير ١٩١٥ وعاد جمال باشا الى سورية مهزوما وحكم على أحد عشر من قضاة
ووجهاء البلاد بالاعدام في مارس واغسطس سنة ١٩١٥ حيث عشر جمال باشا على
الاوراق التي يطلب هو لا فيها وضع سورية تحت الحكم الفرنسي والذي أرشده
اليها هو " فيليب زلز " ترجمان القنصلية الفرنسية في بيروت والذين ذهبوا
ضحية بريئة وشنقوا ظلما ثلاثة فقط هم شكرى الحسنى وعبد الوهاب الانجليزى وعبد
الغنى المصري ويروى أن يوسف الهانى عندما صعد جبل المشنقة هتف وقال
" أموت في حب فرنسا والوطن (٢) " ولعل هذا ان يكون قبيل ما حدث في
تركيا كما يقول الاستاذ د روزه " وكان هناك بعض الرجال والنساء يسرون
الخلاص الحقيقي في الانتداب الامريكى والحصول عليه اعتقادا منهم بأن البلاد فى
حاجة الى مساعدة علمية واقتصادية لن يجدوها نزيهة الا في امريكية كما كانوا يعتقدون
أن مثل هذا الانتداب قد يحفظ للدولة وحدتها وكيانها (٣) .

وفي أبريل ١٩١٦ زحف الاتراك على قناة السويس مرة أخرى بقيادة الضباط
الالمان بجيش عدد ١٨٠٠٠ جندي قابلهم الانجليز بجيش عدد ٣٠٠٠٠ جندي

(١) المصدر السابق ص ١١٠

(٢) راجع كتاب الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٢٤ - ١٢٧ وكتاب

حياة الشرق لمحمد لطفى جمعة ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(٣) تركيا الحديثة ص ١٤

فانهم الاتراك وكانت آخر محاولاتهم .

وفي مايو ١٩١٦ أعدم واحد وعشرون اخرون حتى اذا نعى الى الشريف حسين أن جيشا تركيا متألفا من ٣٥٠٠ جندي على وشك أن يهتدي شبة الجزيرة العربية لتهدئة الحال في اليمن عندها أوجس الشريف حسين خيفة من قدوم الحملة نادى - بالثورة على الاتراك في يونيو ١٩١٦ (١) .

من هذا يتضح لنا أن الشريف حسين وقف الموقف نفسه الذي وقفه وطنيــــــــــــــــو الجمميات العربية وبقى يماطل في اعلان الثورة على الرغم من اتفاه مع الانجليز على قيامها وهذا يدل على شخصية الشريف حسين وحكمته فقد كان رجلا عنيدا أوتــــــــــــــــى كثيرا من الحنكة والدربة السياسية وقد أمسك العصا من الوسط مدة طويلة على الرغم من توالي الاحداث متيحاً لنفسه الاستفادة من الطرفين الحلفاء والمحور - ولمـــــــــــــــــ ينضم الى الحلفاء تعبيرا عن المشاعر السياسية العربية التي كانت امام موقفــــــــــــــــين الاول : أن يفتتحو فرصة دخول تركيا الحرب فيساندها ويدالبوها باستقلالهم بعد الحرب ثانياً ، والثاني : أن ينضموا الى الحلفاء للحصول على الاستقـــــــــــــــــلال اذا كسب الحلفاء الحرب (٢) .

وقد تحقق الموقف الثاني نتيجة لمواقف الاتراك السابقة في اتجاه القضايا العربية وكان خاتمة هذه المواقف اعلان السياسة الطورانية من قبل الاتحاد والترقي لذلك كان وقوف الشريف حسين الى جانب الحلفاء تجسيدا للسياسة العربية المصرية على أسس ثقافية واجتماعية أسهمت في تكوينها جهود الحلفاء عن طريق سفاراتهم ومبعثاتهم التبشيرية في المنطقة (٣) كما أن القيادة العربية كانت تتطلع الى حياة أفضل بمساعدة الحلفاء لهم في مختلف المجالات متى كسبوا الحرب .

كل هذا لم يمنع وجود تيار عربي مناد لثورة الشريف حسين حدد موقفه نتيجة لشعوره الاسلامي اتجاه دولة الخلافة .

فهذا مصطفى كامل يقول " ولذلك رأيت انجلترا أن بقاء السلطنة العثمانية يكون عقبة أبدية في طريقها ونشأ للمشاكل والعقبات في سبيل امتلاكها

(١) التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ١١٧

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣) راجع فلسفة التاريخ العثماني ج ٢ ص ٢٦

امتلاكها مصر وأن خير وسيلة تضمن لهم البقاء في مصر ووضع يد هم على وادي النيل هي هدم السلطنة العثمانية ونقل الخلافة العثمانية الى أيدي رجل يكون تحت وصاية الانجليز ومثابة آله في أيديهم . ولذلك أخرج ساسة بريطانيا مشروع الخلافة المصرية مؤمنين به استمالة للعرب لهم حتى يقوموا بالمصيان في وجه الدولة العلية (١) .

ويقول شوقي من قصيدة ضجيج الحجيج التي رفعها الى السلطان عبدالحميد في ١٤ أبريل ١٩٠٤ شاكيا فيها اضطراب الامن في ربوع الحجاز بسبب تمرد شريف مكة :

ضح الحجيج وضج البيت والحرم
قد مسها في حماك الضر فاقض لها
لك الربوع التي ربح الحجيج بها
أدبه أدب أمير المؤمنين فما
لا تنج فيه وقاراً للرسول فما
في كل يوم قتال تقشعر لـه
من الشريف ومن أعوانه فملكت
عز السبيل الى طه وتربتـه

النسي أن يقول :

رب الجزيرة ادركها فقد عبثت
أزري الشريف وأحزاب الشريف بها
فجرد السيف في وقت يفيد به

بها الذئاب وضل الراعي الغنم
وقسموه كارت الميت وانقسموا
فان للسيف يوما ثم ينصروم (٢)

هذا ولا يعقل أن يكون الشريف حسين راضيا عن قطع الطريق على الحجيج وانما هو ضعف سلطة الشريف على أطراف الحجاز بالاضافة الى مبالغات الشمره

ويقول حافظ ابراهيم يهني السلطان عبد الحميد في عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ -
يشير الى ما يضمه شريف مكة من عصيان

(١) المسألة الشرقية مصطفى كامل ص ١٩

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٦ .

خليفه

منى على دار السلام تحية
 وعلى الاولى سكنوا الى الحسنى سوى
 ما للشريف المنتمى حسبنا الى
 أمسى بماله وينصر غيظه
 والله لو جند تما رمل النقا
 وغرستما ارض الحجاز أسنة
 وأقمتما فيها المعازل منعمة
 لدها كما وركم وذراكم
 ان تأتيا طوعا ولا فأتيا
 وعلى الخليفة من بنى عثمان
 ذاك الذى يدعو الى العصيان
 خير البرية من بنى عثمان
 وضلاله بحثا لة المرسان
 ونزلتما بمواطن المقيان
 وأسليتما بحرا من النيران
 من ارض نجد الى خليج عمان
 ما حى الحصون وما سح البلدان
 كرها بلا حول ولا سلطان (١)

ويقول محرم فى قصيدة له فى حرب طرابلس سنة ١٩١٢ .

ألا أن من شق العصا لدمم
 ومن كان يأبى أن يوالى امامه
 سيعلم من خان الخليفة أنه
 أطاع هواه واستزله فتنه
 له الويل ماذا حاج من نزواته
 تباركت ربي كيف يعصيك مسلم
 تباركت ان المسلمين كما ترى
 وان الذى يبغى الفساد لاثم
 طواعية والاه والانف راغم
 مواقع أمر سره متفاقم
 عضوض تلوى فى لهاها الاراقم
 فتار يرامى به ويراجم
 فيوقع بالاسلام ما أنت عالِم
 تفارق منها مستطير ورانم (٢)

ويقول الكاشف من قصيدة قالها فى عيد الدستور العثمانى :

ما أختص أحمد فى الخلافة أمة
 أولى بها من صانها من بعد ما
 علما بأن الدائرات تتدور
 عبثت مقادير بها وعصور (٣)

ويقول من قصيدة أخرى يهنى الخديو اثر عودته من الديار الحجازية حاجا سنة ١٩١٠ .

- (١) الديوان ج ١ ص ٤٩
 (٢) الديوان ج ٢ ص ٣٧ مستطير من الطيران رانم : البعير يعجز
 عن النهوض من الاعباء والضعف مستطير ورانم : كناية عن تفرق الكلمة
 وششت الراى .
 (٣) الديوان ج ٢ ص ٢٨

يأناصر الاسلام كيف مكانه
أينما يكون على الخلافة قيادة
الله قد رها لهم وأعزهم
فليسكن العرب الكرام اليهم
هل يفقدونها والخطوب جلائل
من عرب تلك البيد وهو العباد
لولا هم غال الخلافة غائل
ما دام فيهم قانت ومقاتل
وليربأن بنفسه المتطاول
من لم يصنها والخطوب قلائل (١)

ولعل في هجمات كرومر الدائمة على المسلمين في بعض تقاريره وفي كتابيه الذين ظهر
بعد مفاد رته مصر " مصر الحديثة " وعباس الثاني " وتصويرهم في صورة
الهمج المتخلفين ومهاجمة الاسلام وتصويره دينا رجعيا لا يصلح لأن يقوم على
أساسه نظام اجتماعي راق (٢) كل هذا قد مكن كراعية الانجليز في قلوب المسلمين
خصوصا في مصر التي اكوى شغبها بالاحتلال الانجليزي ، ولذلك لم تجد ثورة
الشريف حسين تأييدا لها في مصر كما وجدت في بلاد الشام وربما كان ذلك لان مصر
لم تكن تحت الحكم العثماني مباشرة بل خرجت منه منذ زمن بعيد أولا أن المصريين
بقوا على فطرتهم وایمانهم حيث لم تتشط بينهم المدارس التبشيرية وموثرات الحضارة
الغربية ليستسيغوا الوقوف ضد الدولة العثمانية في جانب دولة أجنبية بالاضافة
الى المشانق التي نصبت لوجهاء البلاد في الشام على يد الوالي العثماني أحمد
جمال باشا مما أوفر الصدور وجعلهم أحوج الناس ليدوا أيديهم لكل من ينقذهم .

كما أن هناك علماء الدين من المسلمين الذين لا يحتاجون الا لما يمس دينهم
ولا ~~يرون~~ من يستطيع أن ينهض بحب الذود عن الاسلام غير تركية لأنها أقواها
وأقد رها على مواجهة مطامع الدول المسيحية بالاضافة الى ورود الأحاديث الجديدة
التي تنهى بل وتزجر عن الخروج على السلطان . علما بأن نوايا الاتحاد بين
الخفية ضد الخلافة الاسلامية في تركية لم تكن قد ظهرت بعد فما كاد الاتحاد يسون
ينجحون بثورتهم عام ١٩٠٦ ويظهروا مقدمات نواياهم حتى واجهتهم الحرب العالمية
الأولى ١٩١٤ مما اضطرتهم الى اعلان الجامعة الاسلامية من جديد والدعوة
الى الجهاد الديني وتقريب العرب بل والتودد اليهم كما ذكرنا .

(١) الديوان ج ٢ ص ٦١ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في العرب المعاصر ج ١ ص ٦١ .

ومن هؤلاء العلماء الشيخ يوسف النبهاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والامير وشكيب ارسلان الذي يقول " لم يضمننا من الاشتراك في الثورة العربية سوى اعتقادنا أن هذه البلاد العربية سوف تصبح نهياً مقسماً بين إنجلترا وفرنسة وتكون فلسطين وطناً قومياً لليهود (١) وهناك عامة الناس الذين لا يرغبون لهم راعياً غير الخليفة امام المسلمين إلا ثانياً لا يعرفون ما الوطن وما الوطنية فهذا والسدي الذي جاوز الخامسة والثمانين من عمره ما سمعته مردداً في دعائه الا " اللهم انصر الاسلام " أو " اللهم أنصر المسلمين " وما سمعته قط يدعو " اللهم أنصر العرب " أو " اللهم انصر العربية "

وقد ذكر الاستاذ رشيد رضا من محاسن الخديوي " أول ما عرف الناس من محاسنه ما يسمى في عرف المصريين بالوطنية (٢) .

ويذكر الاستاذ محمد الفرحاني ما دار من حديث له مع المفطور له ومشيان باشا السلاش الذي كان من أوائل الملتحقين بالثورة العربية يقول الاستاذ الفرحاني سائلاً رمضان باشا : وماذا تقول في الشهداء الذين أعدمهم الطاغية السفاح جمال باشا ؟ فأجابني رمضان باشا بكل رضا وهدهو " جمال باشا يا ولدي ليس طاغية ولا سفاحاً والشهداء ليسوا شهداء بل خونة مجرمين لقوا جزاءهم المسادل ولو كنتما كان جمال باشا لما كنت فعلت غير ما فعل بل ما كان جمال باشا ليستطيع أن يوجه اليهم من الاذى قيد أنملة وفيهم النواب وفهمهم وفيهمهم الوجه البارز في المجتمع لو لم يجد في الوثائق التي وقعت في يديه ما يدبرهمهم " واهتفت وشرف مكه باشا فقال " لقد أغرى بالذهب نعم ... أغرى بالذهب الكثير ولا حول ولا قوة الا بالله (٣) "

ويقول الاستاذ الفرحاني ايضا " وجلست يوما الى الرئيس السوري الجليل السيد الحكيم فقلت له : " هل هناك من وعود وعهد مكتوبة غير الرسائل المتبادلة بين شريف مكه ومكماهون ؟ فأجابني بالنفي ثم قال " الواقع لقد وجدنا أطفالاً في السياسة " ويضيف الاستاذ الفرحاني فيقول ومثل هذا الكلام نسب الى التجسس ^{نم}

(١) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٣٥ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٥٩٢ راجع أيضاً كتاب عبد العزيز جاويش الاستاذ أنور الجندی ص ١٥ حيث يوضح أوليات " الوطنية " والقومية العربية .

(٣) الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ص ١٣٦

الأكبر لصاحب رصاصة مكة حيث قال " لم تكن سوى بداية بسطاء لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا في الحياة الدولية أو عاملنا الا جانب أو اتصلنا بهم من قريب أو بعيد ولقد جاءنا الانجليز الى الخيما ولم نذهب اليهم ، جاءونا بورقة بيضاء في ذيلها ختم الامبراطورية وقالوا لنا هذه ورقة فاكذبوا فيها ما تشاءون ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية فصدقناهم وقاتلنا الى جانبهم ، ولكنهم ما لبثوا أن خانونا وغدروا بنا (١) " ولكنني أعوذ لا والله ما قلناه في السابق، من أن شريف مكة بقي ينتظر انتصار المحرور وبعث بالراية النبوية لجمال باشا ومكث شهرين بعد الحرب ينتظر وذلك بالاضافة الى ما كان قد أعلنه الاتحاديون من عداة العرب والاسلام وسلب الخليفة كل سلطانه حتى الختم ولم يكن الشريف حسين يقصد ابدال " الطغيان العثماني " طغيان فرنسي أو بريطاني " ولم يكن انتصار الحلفاء بسبب مساعدة الشريف حسين لهم فقد ارتدت جيوش جمال باشا مع الالمان مرتين عن قناة السويس قبل أن يعلن الشريف ثورته ، والحقيقة كما أعلنها النجل الأكبر للشريف أنهم كانوا على الفطيرة صادقين ليس لهم ممارسة بالسياسة الدولية والاهليتها وموقف شريف مكة من الحرب يشبه موقف تركية من الحرب أيضا يقول الاستاذ د روه " انعدام د هول الدولة العثمانية الحرب كان الافضل ولكنه ليس ممكنا لانه لا بد أن تكون الدولة الحيادية مسلحة وأن تمد المضائق وهذا وذاك ليس في مقدورها (٢) " كذلك نقول ان مساعدة الشريف حسين للحلفاء لم تكن هي الفصيل في الحرب وقد كان من الطبيعي أن ينضم للحلفاء للحصول على الاستقلال من الحكم التركي كما وعدت بريطانيا في تجزئتها الاولى مع الشريف حسين .

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نحكم على الاحداث بعد وقوعها فقد كان الرأي العام ضد تركية ولو انضم الشريف حسين الى تركية ثم خسرت الحرب لكان اللوم عليه بأن الحلفاء كانوا يتظاهرون بالحصول على مساعدة العرب نحو الأخذ بأسباب المدنية الحديثة عن طريق بعثاتهم التعليمية والتبشيرية وبرا زكيانهم القوميين المستقل مما حدا بالبعض ان يستدعي فرنسة لحكم سورية كما قد منا أما القليبة المتبصرة فقد كان لسان حالهم يقول :

(١) المرجع السابق ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) تركيا الحديثة محمد عزت د روزه ص ٢٥

والله اعلم

مخطى من ظن يومنا أن للشعب ديننا

وأخيرا استسلمت تركيا ووقعت معاهدة الصلح في ٢٩ تشرين الاول ١٩١٨ (١) -
وبذلك خرجت سورية والعراق من الحكم العثماني لتدخل في حكم جديد فقد أصبحت
فلسطين والأردن والعراق تحت الاستعمار البريطاني (٢) وسورية ولبنان تحت
الاستعمار الفرنسي . وكانت حال العرب الذين وقفوا مع الحلفاء لمساعدتهم على
التخلص من الحكم العثماني كما قال الشاعر :

والاستجير بعمر عند كرتيه كالاستجير من الرضا بالنار

ضياع فلسطين :

الحقيقة أنه كان هناك عقبتان أمام انشاء الوطن القوي اليهودي في فلسطين
العقبة الاولى وجود السلطان عبد الحميد ولذلك عملوا على اسقاطه ونجحوا عن
طريق تغفلهم في جميعه الاتحاد والترقي بعد أن أعيتهم كل السبل للتحايل
على السلطان عبد الحميد حتى ضاق بهم ذراعا ونفذ صبره وقال للوسطاء (على
رواية هرتزل في مذكراته) : " انصحوا الدكتور وهوتزل بالا يتخذ خطوات جديدة
في هذا الموضوع اني لا أستطيع أن اتخلي عن شهر واحد من الارض فهي ليست
ملك يميني بل ملك شعبي لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه
فليحتفظ اليهود بملايينهم . اذا مرقت امبراطوريتي ، فلعلمهم يستطيعون انذاك
أن يأخذوا فلسطين ، بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا في جثتنا فاني
لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ، ونحن على قيد الحياة (٣)

أما العقبة الثانية فهي وجود روسية القيصرية فقد كانت الحكومة الروسية
في العهد القيصري شديدة التمسك بالتقاليد المسيحية الاثوذكسية وكان الكثيرون
من الروس يربون الى الاماكن المقدسة في فلسطين بعيني الايمان العميق والخشوع

(١) المرجع السابق ص ١١

(٢) راجع اثر اليهود في صياغة صك الانتداب البريطاني على فلسطين وهو من وضع
المستشار فيلكس فونكوترا الصهيوني الامريكي . قضية فلسطين العربية ص ٣٠ .

(٣) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية قسطنطين ضارص ٣٨ - ٣٩ .

الشديد ومنهم من كان يحج إليها سيرا على الأقدام وهذا ما جعلهم يؤمنون بأن تحويل فلسطين إلى دولة يهودية يدنس الأرض المقدسة ولذا كانت الحكومة القيصريّة تقاوم أي مشروع يرمي إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين . ولا ريب أن هذه المقاومة كانت عاملاً في تأخير صدور تصريح بلفور إلى ما بعد انهيار الحكم القيصري مباشرة ولهذا يقول المؤرخ البريطاني "آرنولد توينبي في كتابه (دراسة التاريخ) ماصناه " أن انهيار حكم آل رومانوف الإمبراطوري الروسي قد أزال بالعقل حماية أخرى عن العرب الفلسطينيين (١) " لذلك أسهم اليهود في إسقاط أسرة رومانوف القيصريّة وقيام الثورة الشيوعية في روسيا في ٢٤ أكتوبر ١٩١٧

يقول الجنرال جواد رفعت أتلخان نقلاً عن كتاب المؤامرة اليهودية " أن - المحفل الأمريكي الماسوني الذي يدير الماسونية الكونية وكل أعضائها من أعظم رُعاة اليهود عقيدوا مؤتمر اقررن فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسيا القيصريّة الذين ثبّعوا بالمال هم اسحق موليمر ، وشيستر ، وليفنلس وروق ، وشيف .

وكان المال مرصوداً للدعاية وإثارة الصحافة العالمية على أثر المذابح الدائرة ضد اليهود وحوالي نهاية القرن التاسع عشر (٢) " ونتيجة للجهود المكثفة التي بذلها رُعاة اليهود وأنصارهم أمثال هرتزل ، وايزمن ، لويد جورج بلفير ، هيرت صموئيل ، سكوت مارك سايكس ، موسى جاستر ، جيس مالكولم ، برانديسر وغيرهم استطاع اليهود أن يحصلوا على وعد من الحكومة البريطانية للعمل على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وهو ما عرف بـ " وعد بلفور " الذي وجهه إلى اللورد ولتر روتشيك في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ هذا نصه :

" عزيزي اللورد روتشيك : يسرني أن أنقل اليك بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي ، متضمناً العطف على الأمن الصهيونية اليهودية وكان هذا التصريح قد رفع إلى المجلس الوزاري فوافق عليه " أن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، وعلى أن يكون مفهومها بصورة واضحة أنه -

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٢٩

(٢) كتاب أسرار الماسونية ص ٥٧ - ٥٨ طبع دار المنار الإسلامي القاهرة .

لا يجوز القيام بأى عمل من شأنه ان يكون مجحفا بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق والامراض السياسية التى يتمتع بها اليهودى فى أى قطر آخر وسأكون شاكرا اذا أنبأتم الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح "

أما عن دوافع بريطانيا من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود فمنها الظاهر والمباشر مثل مكافأة الدكتور وايز من على اختراعه مادة الاسيتون لانتاج مادة ت . ن . و ت . والذى رفض المكافأة الشخصية بالاضافة الى الجهود المكثفة التى بذلها زعماء الصهيونية والمحافل المأسونية . أما عن الدافع الحقيقى الذى دفع لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا للموافقة على صدور وعد بلفور فى ما أشار اليه الاستاذ أنيس الصايح انه يقول " ولكن الواقع أن رئيس الحكومة البريطانية لم يكن يهتم باليهود كثيرا ولم يكن يحبهم يحترف مؤن في حياته وصدى سكوت بأن لويد جورج لم يأمر بأصدار الوعد الا ليحصل على فلسطين البريطانية وقد أثبتت الاحداث العسكرية التى سبقت الوعد أن مركز بريطانيا الحربى كان قد أخذ يتحسن فكانت فكانت القوات الحليفة قد أنقذت السويس وود خلت فلسطين وانضمت الولايات المتحدة الى الحلفاء وبدأت القوات الألمانية والتركية تتراجع في بعض الجهات (١) " وكما جاء في رسالة وايز من الى صحفى يناصر الصهيونية " ان اقامة دولة يهودية قريسة الى جانب مصر يضر حاجزا ضد أى خطر يستهدف مصر من الشمال (٢) " .

فلسطين
وكانت الخطوة العملية لتحقيق وعد بلفور هى وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية وانتزاعها من الوطن الام سورية وقد وضعت فلسطين تحت الحكم العسكرى البريطانى خلال عامى ١٩١٩ - ١٩٢٠ وكانت وزارة الحرب البريطانية تصيد ر تعليماتها الى قوادها العسكريين مؤكدة لهم أن الحكومة البريطانية متمسكة بتصريح بلفور ومن واجبهم تقديم المساعدة الفعالة للصهيونية وكثيرا ما كانت تستبدلهم بأخرين من ذوى الميول الأكثر تأييدا للحركة الصهيونية .

(١) الهاشميون وفلسطين أنيس الصايح ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

يقول الأستاذ قسطنطين خسار :

" بعد كل هذا تأكد عرب فلسطين أن مخاوفهم من تصريح بلفور أصبحت حقيقة واقعة فذهبوا يعقدون المؤتمرات الوطنية والاجتماعات السياسية ويؤلفون الجمعيات القومية للاعراب عن استنكارهم للحركة الصهيونية وعزمهم على مناهضتها (١) " فقد ابتدأت المظاهرات العنيفة والاضرابات الشاملة ونشبت الاصطدامات الدامية في غزة والقدس وطبرية خلال ١٩١٩ وكانت الثورة اللاهية صباح ٤ نيسان أبريل ١٩٢٠ في مدينة القدس حيث اصطدم فيها العرب مع اليهود والشرطة وقامت - (ب) لجنة بالن بالتحقيق وأدانت اليهود في تقريرها الذي لم ينشر ^{أسـ}تبدال الحكم العسكري لفلسطين بالحكم المدني في تموز ١٩٢٠ تلبية لرغبة اليهود وعين اليهود الصهيوني السير هربرت صموئيل مندوبا ساميا لفلسطين وحاكما مطلقا لجميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وكان وايز من يدعو دائما " صموئيلنا " فعلا الوظائف الكبرى باليهود حتى بلغ عدد الموظفين اليهود أربعة أمثال الموظفين العرب وقام بتسهيل الهجرة اليهودية حتى وصلت الى ٣٠ ألف يهودي في العام ولهذا يمكن حسابه بسهولة " الباني الحقيقي والمؤسس الفعلي للدولة اليهودية وتخوف العرب من النفوذ اليهودي وكانت ثورة عام ١٩٢١ في صبيحة أول مايو حيث أخذ شبان اليهود وشاباتهم يسيرون في الشوارع وهم ينشدون الاناشيد الطائفية فاصطدم فريق من الشبان العرب بهم وألقوا بالبريطانية وراح فريق آخر يهجم على بلدة تل أبيب ثم هجمت المستعمرات اليهودية الواقعة بين يافا وطولكرم وامتدت الثورة الى سائر المدن الفلسطينية واستشهد فيها من العرب ٣٨ شهيدا وجريحا وبلغ قتل اليهود ٤٧ جرحا ١٤٦ وقد استخدمت السلطان البريطانية الحاكمة ابشع وسائل الانتقام من فرض الغرامات واتلاف المومن وحرق المزارع وانتصر وزير المستعمرات ونسحق تشرشل للصهيونيين وسمى ثورة عرب فلسطين هذه الاضطرابات القدرة " ثم شكلت لجنة تحقيق برئاسة قاضي القضاة " توماس هيكرافت " واكتشفت المجرم الحقيقي " الصهاينة " ولكنها بدلا من الحكم عليه طلبت منه أن يكون معتدلا ورؤفا وجعلت توصي العرب واليهود أن يتفقوا .

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٥٧ .

وفي ٢٢ حزيران عام ١٩٢٢ أصدرت الحكومة البريطانية " الكتاب الأبيض " وقد أشتمل على دستور وسياسة عامة لفلسطين على أساس تصريح بلفور والانتداب مؤكداً أنهما لا يقبلان التغيير وقد رفضه العرب رفضاً باتاً مع أنه ينص على أن يكون لهم في المجلس التشريعي ١٠ أعضاء من بين ٢٣ عضواً مع أنهم يؤلفون ٩٦ % من سكان فلسطين آنئذ . وقد رجبت الجمعية الصهيونية بالكتاب الأبيض وتعهدت بتسيير أعمالها وفقاً للسياسة المبسوطة فيه وقد أعترف وايز في مذكراته أن الحكومة البريطانية عرضته على الجمعية الصهيونية قبل إصداره للاطلاع عليه وإبداء وجهات النظر التي يراها اليهود بشأنه . وقد عقد العاملون في حقل الحركة الوطنية بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٢ خمسة مؤتمرات كانوا في كل منها يؤكدون تمسكهم بالوحدة السورية ورفضهم لتصريح بلفور والمطالبة بحكومة وطنية في فلسطين وهي :

المؤتمر الأول :

في مدينة القدس - رفض تصريح بلفور والهجرة اليهودية والانتداب البريطاني وطالب بالوحدة وتسمية فلسطين (سورية الجنوبية)

المؤتمر الثاني :

دعت إليه " الجمعيات الإسلامية المسيحية " ولكنه منع بأمر السلطنة البريطانية فلم يعتد .

المؤتمر الثالث :

في حيفا أكد مطالب المؤتمر الأول مع المطالبة بقيام حكومة وطنية مستقلة .

المؤتمر الرابع :

أكد فيه المطالب السابقة وأرسل وفداً إلى لندن فأكد تشرشل وزير المستعمرات للوفد أن الحكومة البريطانية مدممة على الوفاء بعهودها للشعب اليهودي .

المؤتمر الخامس :

في نابلس قرر بأجماع الآراء رفض الكتاب الأبيض وعدم التعاون مع حكومة الانتداب على أساسه ثم دعت حكومة الانتداب في فبراير سنة ١٩٢٣ لاجراء انتخابات للمجلس التشريعي فقاطعتها الشعب الفلسطيني مقاطعة اجمالية . ووقعت اضطرابات في يافا عام ١٩٢٤ لتسبب اليهود على الشعائر العربية أثناء احتفالهم

بعيد " الساخر " وفي عام ١٩٢٥ زار اللورد بلفور القدس لافتتاح الجامعة العبرية فأضربت البلاد أضراباً شاملاً . ولما سافر بلفور الى دمشق فظاهرت فسي وجهه بشدة فخن الى ميناء بيروت حيث ركب الباخرة رأساً الى انجلترا حتى جاء عام ١٩٢٩ وقامت دائرة الاوقاف الاسلامية باصلاحات حول حائط البراق في حزيران ١٩٢٩ فتأثرت ثائرة اليهود وأخذت صحفهم تنشر مقالات مهيجته تدعو فيها الى أعمال العنف والثورة وقاموا بحملة دعائية في الصحف العالمية على أوسع نطاق يتهمون فيها العرب بالاعتداء على مقدساتهم وفي ٤ آب أغسطس سارت مسيرة من ستة آلاف يهودي في تل أبيب تصيح " الحائط حائطنا " وفي ١٥ آب أغسطس سارت حشود اليهود مخترقة الاحياء العربية نحو البراق وهناك قاموا برفع العلم اليهودي وانشاد نشيد هم الطائفي صاخبين معاتفين " الحائط حائطنا " وقد كانت هذه المسيرة هي السبب المباشر للاضطرابات كما أقرت (لجنة شو) فيما بعد .

وقد واصل اليهود مسيراتهم الاستفزازية مقترفين الاعمال العدوانية مما أثار الشعور العربي الفلسطيني الى أقصى الحدود وكان اليوم التالي ١٦ آب ١٩٢٩ عيد المولد النبوي الشريف فخرج المصلون من الحرم الشريف في صلاة نحو البراق حيث قلبوا منضدة للشماس اليهودي ، ودفعوا به جانبا واحرقوا بعض الكتب والاسترحامات (١) وفي الايام التالية هجموا على اليهود في القدس وضواحيها وقامت المسيرات في معظم المدن الفلسطينية وورعت الحكومة السلاح والعصى على المدنيين اليهود ثم هجم عرب الخليل على الحي اليهودي فقتلوا ٦٠ شخصا وقام أهل نابلس بالهجوم على مخفر الشرطة بغية الاستيلاء على السلاح وهجم أهل بيسان على بعض المستعمرات اليهودية وهجم العرب على يهود صفد فقتل منهم ٤٥ شخصا وقام اليهود بقتل امام جامع في ضواحي يافا مع افراد عائلته الستة ومثلوا بجثثهم تمسيلا فظيما كما قاموا بتدنيس قبور الصحابة فأستقدمت بريطانية بعض قواتها من قساسة السويس ومالطة وقبرص واستعملت أشد الاساليب وأعنفها للقضاء على الثورة . وفي أحراب (أغسطس) كانت حصيلة الاضطرابات ١٣٣ قتيلا و ٣٣٩ جريحاً من اليهود ومن العرب ١١٦ شهيدا و ٢٣٢ جريحا وأخيرا صدرت الاحكام من قبل المحاكم البريطانية على الوجه الاتي :

(١) الاسترحامات هي أوراق دعوات ، كان اليهود يلقونها ويدسونها في ثقب جدران حائط المبكى .

- ١ - حكم عليّ عشرين عربيا بالاعدام وتم تنفيذ الحكم في ثلاثة منهم ، وحول الحكم على السبعة عشر الباقين الى السجن المؤبد .
- ٢ - حكم على ٨٠٠ عرب بالسجن لمدة سنوات .
- ٣ - حكم على يهودى واحد بالاعدام (قاتل امام الجامع وعائلته وهو شرطى نظامى ثم خفض الحكم عليه الى عشر سنوات قضى بعضها في السجن ثم اطلق سراحه .
- ٤ - فرضت الحكومة غرامات باهظة على بعض المدن العربية وقامت بتحويلها بشتى الوسائل . وفي النهاية قرر العرب مقاطعة اليهود على أن السلطات الحكومية أخذت في التشدد في معاقبة كل من يشرف على تنفيذ هذه المقاطعة أو يحرض عليها . وألفت الحكومة المنتدبة لجنة (شو) كمادة تمهيدية وكتبت توصيات لصالح العرب ولم تنفذ بريطانية منها أى شئ . كما قضت لجنة ثلاثية وافقت عليها عصبة الامم بملكية المسلمين لحائسط البراق وملكية الرصيف الذى أمامه ثم ألفت الحكومة البريطانية ثلاثة لجان هى لجنة سمبسون - لجنة فرنش - لجنة كروسبين . فجاءت تقاريرها كلها مؤيدة للحق العربى .

فأصدرت الحكومة البريطانية بيانا عن خطتها السياسية عرف بـ " الكتاب الابيض " سنة ١٩٣٠ فثارت ثائرة اليهود لانه لم يتضمن تحيزا ظاهرا لهم فسخرها الصحافة العالمية خصوصا الانجليزية والامريكية للهجوم على الكتاب الابيض واستقال الدكتور حاييم وايزمن من رئاسة الوكالة اليهودية فاضطرت الحكومة البريطانية الى التراجع فأصدر رئيس وزرائها مكدونالد في ١٧ شباط ١٩٣١ رسالة الى الدكتور وايزمن فيها تراجع بل نسخ للكتاب الابيض وقد أطلق عليه اسم " الكتاب الاسود " لانه وثيقة شوم وخزى وعار في تاريخ السياسة البريطانية .

والى هنا نتوقف عن السير مع الاحداث التزاما مع الزمن الذى عاشه الشيخ يوسف النبهانى حيث توفي عام ١٩٣٢ . وقد كان عام ١٩٣٣ - ١٩٣٦ سلسلة متتابعة من الاضطرابات والمظاهرات حتى كان اضرب عام ١٩٣٦ الذى استمر ١٨٣ يوما ابتداء من ١٩ نيسان ١٩٣٦ واخيرا انتهى الاضرب بواسطة السياسة والحكام العرب .

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٤٠ - ٨٠ بالتصرف ولمزيد من التفصيل راجع كتاب قضية فلسطين العربية وضع الهيئة العربية العليا . وكتاب جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن للشهيد صالح بوضير والمراجع ==

وأخيرا تم لليهود تحقيق أمليهم في انشاء وطنهم القوي في فلسطين . وصدقت بريطانيا في وعدا لهم ونفذت المادة الثانية من صك انتدابها على فلسطين التي نصها " تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في أحوال سيالسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القوي اليهودي (١) وأخيرا استجابت الدول العربية لقرار مجلس الامن ووقعت الهدنة الدائمة بين اسرائيل وكل من مصر وسوريا والاردن ولبنان وفي ١١ آيار قبلت اسرائيل عضوا في الامم المتحدة باعتراف معظم الدول ومعارضة الدول العربية الست وأفغانستان وباكستان والهند وايران وسورية والحبشة وارثيوبية . وبذلك نجحت الصهيونية وعملائها في اقامة دولة اسرائيل . وماكانت الصهيونية تتجح لولا اصرار وتصميم بريطانيا الدولة المنتدبة الحاكمة على قيام هذه الدولة حتى اذا انتهت مدة انتدابها وأوشكت الاجيوش العربية على تخليص فلسطين رأينا الدول العربية مجتمعة تضغط على الساسة العرب لقبول الهدنة الاولى والثانية وأخيرا الهدنة الدائمة ورأينا دول المعسكر الاشتراكي تقدم الاسلحة والرجال لليهود كان هذا تأمرا مشتركا لدول المعسكرين الشرقي والغربي على قيام دولة اسرائيل وقد أفصح الدكتور ناحوم غولد مان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام ١٩٤٧ قال " ولم يختار اليهود فلسطين لمعناها بالتوراة والدينى بالنسبة اليهم ولا لان مياه البحر الميت تعطى بفصل التبخير ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المصادن ، وأشباه المصادن وليس أيضا لان مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكتين مجتمعتين . بل لان فلسطين هي ملتقى طرق أوراسيا وآسية وأفريقية ولان فلسطين تشكل في الواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولانها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم (٢)

في هذا الموضوع كثيرة جدا . راجع أيضا حاضر فلسطين تأليف

اليا هو جرانت ص ٣٠ - ٣٤

(١) راجع قضية فلسطين وضع الهيئة العربية العليا ص ٣٠ راجع أيضا حاضر

فلسطين تأليف الياهو جراند ص ٣٠ - ٣٤

(٢) تاريخ فلسطين القديم ظفر الاسلام خان ص ٧ .

الباب الثاني

((نشأته وحياته))

الفصل الأول : مولده - أسرته - وفاته .

مولده :

ولد الشيخ يوسف النبهاني سنة ١٢٦٦ هـ ١٨٤٩ م في قرية أجزم الواقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثلاث مراحل وهي الآن تابعة لحيفا (١) .

وتبلغ مساحة أجزم ٩١ دونم وترتفع نحو ١٠٠ م عن سطح البحر ومساحتها ٤٦٩٠٥ دونم ولا يملك اليهود فيها أي شبر (٢) يقول الدكتور فاضل زيدان (٣) - وهي أكبر قسرى قضاء حيفا مساحة وسكانا فقد كان عدد سكانها عام ١٩٤٨ ما يقرب من خمسة آلاف نسمة وجميعهم مسلمون (٤) وجاء في كتاب جغرافيه فلسطين عن أجزم ٠٠٠ وهي غنيه بأماكنها وسكانها كلهم مسلمون (٥) .

رسان أجزم مشهورون بحب العلم والتدين " وقد تعلم الكثير من ابنائها في الأزهر ومنهم الشيخ يوسف النبهاني ووالده الشيخ اسماعيل النبهاني والشيخ سعيد

(١) هادي المرشد الى طريق الاسانيد ص ٥٦ .

(٢) بلادنا فلسطين ج ١ ق ٢ ص ٦٥٨ .

(٣) في مقابلة أجريتها معه في ٢٩ / ٤ / ١٩٧٥ م .

(٤) الدكتور فاضل زيدان من أبناء أجزم ولد في ١٨ / ٨ / ١٩١٨ انتهى تعليمه الثانوي في الكلية العربية في القدس ١٩٣٦ حصل على بكالوريوس في العربية والجغرافيه من القدس عام ١٩٣٨ وحصل على بكالوريوس طب وجراحه من القصر العيني ١٩٥٠ وحصل على ماجستير عيون ١٩٥٦ وحصل على ماجستير علم الاجتماع من الجامعة الامريكية في القاهرة ١٩٥٧ وحصل على ماجستير أشعة ١٩٦١ وحصل على ماجستير طب الاطفال ١٩٦٧ وهو من المؤسسين لمنظمته التحرير الفلسطينية وكان عضوا في المؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس ١٩٦٣ ثم عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني منذ ذلك التاريخ حتى اليوم وعضوا في اللجنة المالية لمنظمته التحرير الفلسطينية .

رطل

النهباني والشيخ ابراهيم النهباني والشيخ طه الصالح والشيخ صالح الخديش
والشيخ محمد الخديش والشيخ طه الخديش والشيخ عبد السلام الحسن والشيخ
رشيد الحسن ولم يعرف أحد سكان قرى حيفة طريق الأزهر فيما ثعلم غير هؤلاء (١)
ولما بدأت الهدنة الثانية بين الجيوش العربية واليهودية في صباح ١٩ تموز
١٩٤٨ استغلها اليهود وهجموا على عدة قرى في جبل الكرمل واحتلوا قرية عين غزال
وأجزم في الثاني والعشرين من الشهر المذكور (٢) وخرج أهلها مشتتين في الاردن -
والمراق وسورية ولبنان يعيشون على أمل العودة وليس على الله بيميد وفي الشهر
الثاني في عام ١٩٤٩ أقام اليهود في بقعتها مستعمرة كازم مهرا
وكان بها في نهاية ١٩٥٠ ٣٣٤ يهودياً (٣)

موقعها : -

يقول الدكتور فاضل زيدان " تقع اجزم على مسافة ٣٥ كم جنوب حيفة وعلى مسافة
٢٠ كم شرق البحر الابيض المتوسط وهي تقوم على مرتفع من الارض حوالى ٣٠٠ متر
فوق سطح البحر يحيط بها من كل جانب سهل ضيق بمثابة واد يفصل جبلين ، أما
حدودها الطبيعية فهي من الشرق تلة " شنا " التي لا يزيد ارتفاعها عن
١٠٠ متر يفصل بينها وبين القرية سهل ضيق كان يستعمل للبيادر لسكان شرق
القرية وتلة " شنا " وعرة مكسوة بالأشجار قليلة الارتفاع وفيها كثير من المقطع وهي
آبار منحوتة بالصخر هندسية الشكل يرجع عهد ها الى أيام الرومان وبها عدة كهوف
تطل على القرية لكل كهف باب يرتفع حوالى خمسة امتار عن مستوى البيادر والى الشرق
والجنوب من جبل شنا يتبع سهل ضيق يعرف " بماقورة " حيث تكثر المياه الجوفية

(١) مقابله مع الدكتور فاضل زيدان في ٢٩ / ٤ / ١٩٧٥

(٢) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٦٥٨ - ٦٥٩

(٣) بلادنا فلسطين ج ١ ق ١ ص ١٩٧

نسبياً فيزرع الخضار والفاكهة ومن الشمال وادي النحل وهو ملتف الأشجار ضخمة
وخاصه شجر السديان ، وتكثر فيه الوحوش المفترسة وفي شقوق صخره تكثر خلايا
النحل وكانت الجبال في الربيع روعة في الجمال لكثرة الازهار الملونة وذوات الروائح
العطرية . والى الشمال من القرية يقع جبل المفارة وفي جانبه وادي ضيق هو
وادي المفارة الذي يمتلئ بالماء في أيام الشتاء وفي نهاية جبل المفارة يوجد
الكهف المشهور الذي جرى فيه التنقيب عن الآثار القديمة فوجد فيه مدافن وآثار
ترجع الى عهد الكنعانيين والى القرب منه يقع جبل البياض الذي يرتفع ٥٠٠ متر
عن سطح البحر وبين هذا الجبل والقرية يقع وادي الرملة " الذي يقع فيه نبع
" المين " والى الجنوب يقع " وادي أبي سميد " ويحده من جهة القريسة
جبل " أبي سميد " وهو مرتفع أقل من ٣٠٠ متر كثير الأشجار وعرة السطح .

وادي

هذه ملامح الصورة الجغرافية للقرية التي ولد فيها ونشأ بها الشيخ يوسف
النبهاني .

أما أثرى فيقول الأستاذ الدباغ نقلا عن الوقائع الفلسطينية " أجزم " موقع
أثرى محتوياته " تل من الأنقاض تحت القرية الحديثة (١) وقد جرى مسح أثرى
للقرية للتنقيب عن الآثار قام بها اللقنات كوندور واللقنات كشمز ، وجاء في تقريرهما
وصف شامل لكهف فيه عدة قبور ، كما أشار الى مسح آخر أجراه الأباشى أرسترنج
لمواقع أثرية أخرى في القريسة (٢) وقد ورد وصف آخر لمواقع " أجزم " الأثرية
ضمن وصف جغرافي أثرى لمنطقة الكرمل وعكة منج الناحية الجغرافية والأثرية
الحوادث التاريخية المتعاقبة باختصار (٣)

(١) بلادنا فلسطين ج ٢ ق ٢ ص ٦٥٨ - ٦٥٩ .

2) The survey of western palestine Vol. II P.53.

3) Tent work in palestine P.88.

نشاطاته :

ترجم الشيخ يوسف النبهاني نفسه في كتابه " هادي المريد الى طرق الاسانيد " فقال " قد رأيت أن أذكر هنا باختصار ترجمتي اقتداءً ببعض الأثبات كالشيخ عبيد الباقي الحبلي فأقول : أنا الفقير يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن حسن بن محمد ناصر الدين النبهاني (١)

ثم استرسل في ذكر طلبه للعلم وأسفاره ووظائفه ، وكتابه : هادي المريد الى طرق الاسانيد " عبارة عن ثبت جامع لكل ما حصل عليه من اجازات ومن يتوصل سنده بسندهم مما سنوضحه في الفصل الثاني من هذا الباب * وقد سلك في ذلك سلك الفلاسفة والعلماء والأدباء والمتصوفة فهو في كتابه سعادة الدارين " - بشكل خاص وفي سائر كتبه بشكل عام - كثيرا ما يذكر بعض الفوائد التي حدثت له في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم فترجمته لنفسه هي خليط من جميع مناهج الترجمة القديمة وإذا كان النقاد المحدثون يعميرون على هذه المناهج أن أصحابها قد تحاشوا ذكر الطفولة التي ^{كان} تكون على فهم الشخصية المترجمة حيث بعدونها أي - الطفولة - الأصل الذي تتخذة الشخصية أساسها في التكوين (٢) .

أما الطفولة في نظر علماء السلف فهي ملأى باللهو وهم لا يرغبون أن يعرف عنهم إلا ما يقربهم الى الله ولا يلتفتون الى ما قد ينشأ عنهم من بحوث لدراسة شخصياتهم وقد أوصى الشيخ يوسف النبهاني بأن لا يروى من شعره إلا ما قاله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن حياته لم يتخللها فترات لهو ومجون لكنه كان يرغب في طمس معالمها * وفي كتابه أسباب التأليف " يحدثنا عن ضياع رسائل كثيرة من العلماء يطلبون فيها الاجازة حيث يقول " ... وقد ورد لي أيضا في هذا المعنى مكاتيب

(١) هادي المريد الى طرق الاسانيد ص ٥٦

(٢) الترجمة الشخصية الدكتور شوقي هيف ص ٣٧ - ٤٤

كثيرة من العلماء الأشراف وغير الأشراف سوى من ذكرتهم ، وكثير منهم طلبوا الاجازة فكتبتها لهم في آخر نيتي " هادى المريد " وارسلتها اليهم مع البريد ، ولم أحفظ مكاتيبهم لأنى أجبتهم عنها ولم يكن فى نيتى اثبات هذه المكاتيب فى مؤلف سلف كما فعلته الآن ولو خطر لى هذا أولا لحفظت جميع المكاتيب التى وردت لى فى هذا الشأن ولكن الخيرة فيما اختار الله (١) .

وهذا الامام الغزالى يقول " لقد قضينا عمرنا فى البطالات " ف قيل له اولم تكن بذلك حجة الاسلام ؟ " فقال " دعونا من هذه الترهات ، اما علمتم ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول " ان الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر .

ومع ان الشيخ يوسف النبهانى يعد من المحدثين ^{الا أنه} كان بعلمه وتفكيره يرجع بنا الى القرنين الخامس والسادس الهجريين فهو نظرا لصوفيته وحرصه على عدم ابراز شخصيته ومآثره والتكلم عن اناة لذلك نرى ان ترجمته لنفسه ليست وافية كما هى تراجم العلماء المحدثين من أمثال الدكتور طه حسين فى كتابه " الايام " والاستاذ محمد كرد على فى كتابه " خطط الشام " الجزء السادس والاستاذ أحمد أمين فى كتابه " حياتى " وما جاء فى كتاب " هادى المريد الى طرق الأسانيد " من ترجمة اتخذ أساسا بنى عليه كل من ترجم له دون جهد فى البحث عن أخبارها التى بشها متفرقة فى كتبه فقد وردت ترجمته فى كتاب الاعلام " للأستاذ الزركلى وفى كتاب علماءنا للشيخ كامل الداعوق (ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١)

وفى كتاب " حليه البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر " للشيخ عبد الرازق البيطار (ج ٢ ص ١١٤) وفى كتاب " اعلام الادب والفن " للأستاذ أدهم الجندى (ج ٢ ص ٣٤٢) وفى " تاريخ الشعر العربى الحديث " للأستاذ أحمد قيس ص ٣٧ وفى " معجم الشيوخ " للشيخ عبد الحفيظ القاسى ص ١٦٢ وفى " مجلة

الأديب * البيرونية في مقال كتبه الأستاذ محمود عويدات (البدوي المثلث) عدد
يناير ١٩٦٥ م . وفي كتاب " بلادنا فلسطين " للأستاذ مصطفى مراد الدبّاغ
ج ٢ ص ٦٥٧ وفي كتاب " الشعر الحديث في فلسطين والأردن ^{والأردن} " للدكتور
ناصر الدين الأسد ص ١٨ كما وردت ترجمته في " معجم مركيس " ومعجم المؤلفين
للأستاذ عمر رضا كحالة .

وقد ذكر الأستاذ عويدات في مقالة مراجع لترجمة الشيخ يوسف النبهاني منها
" ~~الدكتور~~ ^{الدكتور} الجوهري " " عقود الجواهر " فلم ^{أعثر عليها} ^{عليه} في الموسوعة العربية الميسرة
أيضا .

ويبدو لي أن من ترجم للشيخ يوسف النبهاني قد اعتمد على ما ذكره صاحب معجم
الشيخ حيث أنهم وقعوا في الخطأ نفسه الذي وقع فيه حيث ذكر أن النبهاني قد
توفي ودفن في بلدة " أجزم " مع أن قبره يزار في مقبره " الباشورة " في بيروت
وقد زرتة أما الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب حلية البشر فلم يذكر وفاته لأنه كان حيا
يرزق ولما رجعت الأستاذ خير الدين الزركلي صاحب " الاعلام " (١) قال " أنا نقلت
من صاحب معجم الشيخ وكذلك قال الأستاذ مصطفى مراد الدبّاغ (٢) ووعدا بتصحيح
هذا الخطأ في الطبعة القادمة لكتابيهما :

قبيلته :

ينسب الشيخ يوسف النبهاني إلى قبيلته " نبهان " ويقول الأستاذ مصطفى
مراد الدبّاغ - وهو عالم بالانساب - والنبهاني نسبة إلى عشيرة النباهين من قبيلة
الحناجرة . ونون نبهان بطن من " بتي سماك من لخم " (٣) وقد أورد الأستاذ علي
نصح الطاهر أربعة أنساب لبني نبهان وهي :

-
- (١) حيث زرتة في بيته في بيروت في ١٢/١١/١٩٧٤ م .
 - (٢) زرتة في بيته في بيروت في ١٧/١٠/١٩٧٤ م .
 - (٣) بلادنا فلسطين ج ٢ ص ٦٥٧

- ١ - نبهان - بنو سمامك / لخسم .
- ٢ - النبهان - آل الفضل / ربيعة طيى .
- ٣ - آل نبهان - كثير بطنان / بنولام / جد يلة .
- ٤ - آل زميل / سنجاره / شمره (١) .

وقد ذكر بنو نبهان في كتب الأنساب منها كتاب قلب جزيرة العرب ص ١٦١ -
 ١٦٢ وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٩٩ وفي كتاب الاشتقاق ص ٣٨٠ وفي كتاب " -
 عشائر العراق ج ١ ص ١٨٧ وفي نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٤٢٩ وفي
 جوهرة الأنساب ص ٤٤٦ وقد ذكر في مراجع الأنساب المختلفة اسم " نبهان "
 جاء فيها " في نسب طيى بطنان الأول يرجع الى كهلان وهو طيى بن ادد واسمه
 جلهمه بن ادد وطيى بطنان جد يلة والفوث فمن بطون جد يلة من طيى : الثعالب
 وبنو غيم ، من بطون الفوث فن طيى شهل ويحتر قبيلة الشاعر البحترى -
 وجرم ونبهان وولان وغيرهم غير بولان عك . . . ومن بطون ثفل من الفوث : الجواد
 حاتم بن عبد الله المعروف بحاتم طيى ومن بطون نبهان بن الفوث : زيد الخيل
 بن مهلهل وهو الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم لما وفد عليه " يا زيدا
 كل ما وصفلى رأيت دون ما وصفلى الا أنت فانى وجدتك فوق ما وصفلى وسماه
 زيد الخير بالراء المهمة ومن نبهان ايضا أبو تمام الشاعر (٢) .

وعلى هذا تكون شاعرية الشيخ يوسف النبهانى أصيلة فهو من قبيلة أو من صليبة
 كان منها فحلان من فحول الشعراء العرب هما أبو تمام البحترى . وقد أورد الأستاذ
 عارف العارف في كتابه " تاريخ بئر السبع وقبائلها " قصيدة قالها أبو عرقوب يريف
 حربا وقعت بين قبيلة التياها وقبيلة الترابين
 قال أبو عرقوب يريف

(١) جوامع النسب في قبائل العرب الأستاذ على نصوح الطاهر ج ٢ ص ٦٩٧ مخطوط
 والمؤلف عمل وزير للزراعة في الاردن سابقا .

(٢) طرف الاصحاب في معرفه الانساب ص ٣٦ - ٣٧ .

ابن نبهان مع قبيلة التياها مع أن قومه الحناجرة وقفوا مع الترايين • يقول سويلم أبو عرقوب شاعر الترايين •

البارحه قلبى شكالى وخايف فى حربه كفت نجوع صحابه
فى بالها تفرق عزيز الولايف وشي رايكو والشعور عارف مصابه
اشوف ابن نبهان حنجورى عالبوق ناوى جمعوا عقاب الليل يمشى عقباوى
ديب عدا على الملال واخطا مصابه اولا ابن حماد فوق السلاييل
حناجره فوق المراويح ان جـ بواريد هم مثل الرواعيد فى الجو (١)

الى آخر القصيدة التى يصرح فيها أن ابن نبهان حنجورى • كما أورد الاستاذ مصطفى مراد الدباغ • وقد وقعت فى يدي أوراق يحتفظ بها الاستاذ محمد خير النبهانى (٢) جاء فيها ذكر النباهنه الذين يعيشون فى غزة الآن وأن جد هم هـ
نبهان النباهين • وقد كان شيخ قبيلة الحناجرة التى تتألف من عدة قبائل أحداها قبيلة النباهين (٣) ثم ذكر أحد الفرسان المشهورين من النباهنه وهو سالم بن سلمان بن نبهان النبهانى (٤) حيث ناصر قبيلة التياها ضد الترايين سنة ١٨٧٤ ففأه
روءوف باشا التركى متصرف القدس ومكث فى سجن القدس سبع سنوات ثم يستمر كاتيب الأوراق فى ذكر تاريخ النباهين واشتراكهم مع الفدائيين المصريين فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وأخيرا ذكر وجود صلة قديمة بين عائلة النبهانى فى أجزم وغزة حيث يقول " • • • وقد كانت العلاقات متواصلة ومستمرة الى أيام الجد ابراهيم بن سالم بن سلمان بن نبهان النبهانى منذ حوالى خمسين سنة تقريبا يحد ثنا

(١) تاريخ بئر السبع وقبائلها ١٨٦ - ١٨٧ •

(٢) هو ابن عم الشيخ يوسف النبهانى اجتمعت به فى دمشق فى ١٠/١٠/١٩٧٤م •

(٣) يتفق الى حد بعيد مع ما ذكره الاستاذ عارف العارف فى كتابه تاريخ ^{بئر} السبع وقبائلها ص ١٣٤ - ١٣٦ •

(٤) لعله المعنى فى القصيدة التى قالها الشاعر سويلم السابقه •

والدى ووالدتي أن الجد إبراهيم كان على علاقة وثيقة مع نباهنه أجزم بحكم القرابة
فقد كان يركب حصانه قاطعا المسافات البعيدة في سبيل زيارة أقاربه مصطحبا فسي
أغلب الأوقات معه محمود بن سلامة بن نبهان النبهاني كما أن بعض النباهنه من
أجزم كانوا يبادلونه أيضا الزيارات (١)

لم أجد في كتب الشيخ يوسف النبهاني أنه أشار إلى أي صلة بين نبهانني
أجزم ونبهانني بشر السبع كما أن جدوده الذين ذكرهم في ترجمته لا يشتركون مع
أي جد من جدود صاحب المخطوط مع أن هذه الأوراق يحتفظ ويعترف بها الاستاذ
محمد خير النبهاني ابن عم الشيخ يوسف النبهاني وقد استشرت الاستاذ مصطفى
مراد الدباغ وهو عالم بالأنساب - في هذا الاشكال فقال " إذا كان أحد الطرفين
يعترف بالآخر فهو صادق لأن الناس أمنا على أنسابهم وأما كون الشيخ يوسف
النبهاني لم يظكر شيئا من هذا القبيل فذلك لأنه بحكم شخصيته الدينية المتشددة
لم يكن ممن تعنيه هذه المسائل *

أقول فعلا وما يبرهن^{على} صحة الملاحظة الأخيرة أن الاستاذ أمين النبهاني (٢)
وهو أخ الاستاذ محمد خير النبهاني قال : سألت الشيخ يوسف النبهاني رحمه
الله عن صحة ما يقال من أن آل النبهاني من الأشراف فانتهرني وقال ما معناه
" أياك أن أسميها منك مرة ثانية " وأما الذين ترجموا للشيخ يوسف النبهاني
فقد ذكروا أنه من قبيلة " بني نبهان " من عرب بالبادية استوطنوا قرية أجزم
منذ أقدم الأزمان " ولم يذكر أي واحد منهم كيف توصل إلى هذا الربط *

(١) مخطوط بعنوان " النباهنه في منطق غرة " أعده علي بن سالم بن إبراهيم
بن سالم بن سلمان بن نبهان النبهاني غزه في ١٩٦٢/٨/٤ م.

(٢) كان ضابطا في الشرطة الفلسطينية وهو الآن يسكن في دمشق فابله فسي
١٩٧٤/٨/١٩ م.

أسرته :

والده : والده الشيخ اسماعيل بن يوسف النبهاني ذكره الشيخ يوسف فسي ترجمته فقال " وقرأ القرآن على سيدى ووالدى الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ اسماعيل النبهاني وهو الآن فى عشر الثمانين كامل الحواس قوى البنية جيد الصحة فانه من الحفظة الماهرين الملازمين لتلاوة القرآن فى اكثر الأوقات بحيث أنه يختم فى كل اسبوع ثلاث ختمات ثم أرسلنى بعد ان حفظنى بمسئ المتون وسئ سبع عشرة سنة الى مصر لطلب العلم فى الجامع الأزهر فدخلته فسى غرة محرم سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين وأقمت به نحو سبع سنوات وبعد أن حصلت على ما قدره الله لى من العلوم النقلية والعقلية وجعت بأمر والدى الى الوطن فى شعبان سنة ١٢٨٩ هـ (١)

ويبدو أن الشيخ اسماعيل النبهاني كان معروفاً بالعلم الذى يجيده علماء الأزهر لو رود اسمه بلفظ " الشيخ اسماعيل النبهاني " كما فى اجازة الشيخ ابراهيم السقا للشيخ يوسف النبهاني التى جاء فيها " فلما كان للاستاد مزيه عالية وخصوصية لهذه الآمة غالية دون الامم الخالية اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر اذ الدعى غير منسوب والقصى غير محسوب وسليم البصيرة غير أعشى الفكر ولما كان منهم الامام الفاضل والهمام الكامل الجيهنذ الأبر اللوذعى الأريب والالمعى الالهيب ولدنا الشيخ يوسف ابن الشيخ اسماعيل النبهاني أيدى الله بالمعـارف الشيخ (٢)

(١) هادى المريد الى طرق الاسانيد للشيخ يوسف النبهاني ص ٥٦

(٢) هادى المريد الى طرق الاسانيد ص ٣ .

ويبدو لي أن الشيخ اسماعيل النبهاني كان ازهرياً بالإضافة إلى ما قاله
الدكتور فاضل زيدان ، ذلك أن الشيخ يوسف يصح أن والده أقرأه القرآن
وحفظه بعض المتون ولم يكن يستطيع هذا لو لم يكن قد حفظ هذه المتون وفهمها
ولا يعقل أن يكون اطلاعا شخصياً لعدم شيوخ العلم في عصره ولقلة الكتب ولسهولة
التعليم في الأزهر .

وقد قرأ والدي الحاج محمد علي منصور القرآن على الشيخ اسماعيل النبهاني في
مسجد اجزم ويذكر والدي أنه بينما يقرأ والشيخ اسماعيل يسمع له كان الشيخ صالح
الخد يش يتوضأ فصيح لوالدي قراءه آية فصاح به الشيخ اسماعيل وقال " يا شيخ
صالح احفظ أدبك مش عارف مين يسمع له الولد ما غلطش أعد قراتها يا ولد فاعسا
والدي القراءه الأولى نفسها فاعتذر الشيخ صالح الخديش وقال سامحني يا شيخ
اسماعيل والله ما كنت احفظها الا كما رددته .

ويذكر الوالد ان الشيخ اسماعيل كانت عليه الهيبة والوقار وجميع أهل اجزم
يجلونه ويوقرونه وكانت كلمته مسموعة حتى عند شيخ البلد من آ ما ضحيث كانت
مقاليد الامور الرسمية بايد بهم وقتها .

يقول الوالد ان أسرة النبهاني كانت معروفه بانها أسرة علم ودين وكانوا قلعة
في العدد بالنسبة للأسر الاخرى، ويؤيد قوله الوالد ما ذكره الدكتور فاضل
زيدان من أن خمسة من أبناءها كانوا ازهريين مع قلة عددهم .

وقد أشار الشيخ يوسف النبهاني إلى ذكر والده فقال : " وبعد أن حصلت
ما قدره الله لي من العلوم النقلية والعقلية رجفت بأمر والدي إلى الوطن (١) " .

(١) هادي الميرد إلى طرق الاسانيد ص ٥٦ .



م
وا

الشيخ يوسف البشاري رحمه الله
ولد في عجمان عام ١٨٤٩ وتوفي بيروت عام ١٩٢٢



محمد نور الدين البشاري
ولد في بيروت عام
١٩٠٥ وهو حي يرزق

أحمد خير الدين البشاري رحمه الله
ولد في بيروت عام ١٩٠١ وتوفي
فيها عام ١٩٧١

ولعل والد الشيخ يوسف قد أخذ بنصيحة الامام الفزالي للمتعلمين لان العلم
هذه وسيلة لغاية هي التمكن من فهم القرآن والحديث والتزود ليوم الآخرة بالعمل
الصالح فهو يهيب بطلاب العلم الا تلهيهم الوسيلة عن الغاية فكانت سبع سنين
كافية لطلب العلم لتحقيق الغاية التي ارادها الامام الفزالي (١)

ومن هذا يتضح لنا ان الشيخ يوسف النبهاني قد رضع التدين والعمل
للآخرة من محيطه الخاص الذي ولد فيه ونشأ ومن أسرته المقطوره على التدين ومن
والده العالم التقى الذي أنشأ نشأة دينية ظهرت آثارها على ولده في مسيرة حياته
الطويلة .

((زوجته وأولاده))

زوجته هي السيدة صفية بنت محمد بك السجعمان من وجوه بيروت وذوي البيوت
القديمة الكريمة وفيها يقول الشيخ يوسف " وهي من الصالحات الصادقات فانسى
ما عهدت عليها بكف في قسط (٢)

((أولاده))

رزق الله الشيخ يوسف النبهاني ولدا واحدا وثلاث بنات أما ولده فهو محمد
شمس الدين وكنيته ابو المكارم وأما بناته فزين تقيّة وعائشه وفاطمة وقد ذكر الشيخ
يوسف ظروف ولادة ولده محمد فقال " . . . بعد كتابتي ما كتبه من مناقب
الاستاذ محمد البكري المذكور رضى الله عنه رزقتي الله وله الحمد والمنة في مدينه
بيروت غلاما من زوجتي الصالحة التقيّة النقية صفية بنت الحاجد المقدام المرحوم

(١) راجع ما كتبه الامام الفزالي تحت عنوان " بيان القدر المحمود من العلوم المحموده
" احياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤ - ٣٧ ونفس المصدر ج ١ ص ١٣ - ١٥ وما
كتبه في " المنقذ من الضلال " الذي ضمنه خلاصة تجاربه في العلوم وفي رسالته
" ايها الولد " يبدو اكثر وضوحا لاهدافه ومرامييه .

(٢) افضل الصلوات على سيد السادات ص ٤٧ .

محمد بك السجمان من وجوه مدينة بيروت وذوى البيوت القديمة الكريمة فيسها
فسميته " محمدا ولقبته شمس الدين وكنيته أبا المكارم تبركا باسم النبي صلى الله
عليه وسلم وهو المقصود الاصلى واسم سيدى محمد البكرى المذكور ولقبه وكنيته رضى
الله عنه وكانت ولادة ولدى المذكور فى نصف الساعة الثالثة من ليلة السبت الثانى
والعشرين من شهر ذى الحجة من العام الثلاثمائة والف وحمل أمه اربعة عشر شهرا
وسبعة عشر يوما فقد وقع الحمل يوم الثلاثاء من شهر شوال من العام الماضى وقد
عرفنا بحمله علامات وقرائن قوية دللتنا على وقوع الحمل فى ذلك اليوم بيقين بحيث لسم
يبقى عندنا فى ذلك شك وبعد الحمل ينحو أربعة أشهر وهو وقت دخول الروح فيه
كما ثبت فى الحديث رأت أمه - وهى من الصالحات الصادقات فأنى ما عهدت
عليها كذبة قط - روىا حق ان شاء الله وهى أنها رأت فى منامها أن شمس
طلعت من الشمس مشرقة وعلت فى السماء مقدار علوها وقت الصبح ثم نزلت وجساءت
ودخلت فيها فتحققت فى المنام أنها حملت وأخبرتني بهذه الرؤيا المباركة فى صباح يوم
تلك الليلة فسررت جدا وكنت عازما اذا ما رزقتى الله ولدا أن أسميه محمدا
والقبه ناصر الدين لانه لقب أحد أجدادى فلما قصت على هذه الرؤيا صمت على
تلقبيه شمس الدين وأخبرت بذلك كثيرا من أصدقائى قبل الولادة وبعد اكمال مدة
التسعة الأشهر التى هى غالب مدة الحمل ^{ظهرت} علامات الولادة ثم ذهبت وصارت
تذهب وتجيء حتى عجبنا من هذا الحال ولم يزل الامر كذلك الى أن ولد فى الوقت
المذكور .

ومما يدل على أن هذا المولود سيكون من الصالحين الاخيار انى حينما
قربت من والدته فى المدة التى حملت به فيها كنت أزهد ما كنت فى الدنيا وأرغب
ما كنت فى الآخرة بسبب مرض شديد قصر أملى وضاعف عملى والحمد لله على زواله
وقد نص القطب الكبير عبد الوهاب الشعرانى فى كتبه على أن المولود يكون على الحالة
التي عليها والده حين ثزول النطفة التى تخلق منها وان قد وافق وفقه الله سيدى
محمد البكرى بالاسم والكنية والمقب وشهر الولادة ذى الحجة أسأل الله الكريم الوهاب

أن يوفقه أيضا في العلم والعمل والمعارف الدنية والقبول التام عند الله وعند الرسول^(١).

تزوج محمد شمس الدين فاطمة بنت الشيخ محمد صادق الجبالي التونسي الأصل وهو من أسرة الباهي الادغم رئيس وزراء تونس سابقا .

وتخرج من مدرسة الحقوق في تركيا واشتغل مدعيا عاما في بعلبك ثم قاضيا في طرابلس ثم ترك العمل واشتغل محاميا في بيروت^(٢).

وتوفي محمد شمس الدين في بيروت في ١٦ آيار ١٩٣٦ وقبره خلف قبر الشيخ يوسف النبهاني من الجهة الشرقية وفي القبر نفسه دفن محمد صادق الجبالي زوج ابنة الشيخ يوسف النبهاني المسماة عائشة ، دفن مع شمس الدين في القبر نفسه في ٦ شباط ١٩٦٩ والقبر موجود في مقبرة الباشورا في بيروت .

وقد خلف محمد شمس الدين أربعة أولاد وبنيتين أما الأولاد فـهم :

١ - أحمد خير الدين الذي ولد عام ١٩٢١ وقد حصل على الثانوية النهائية عام ١٩٤٤ من كلية التربية والتعليم في طرابلس الشام ، واشتغل مدير المخازن في شركة نفط العراق - مصفاة طرابلس - ثم تزوج وله بنت وولدان هما بلال وعمر وتوفي ١٩٧١ م .

٢ - محمد نور الدين الذي ولد سنة ١٩٢٥ وحصل على الشهادة الثانوية النهائية عام ١٩٤٦ وعمل رئيس قسم فني في الاذاعة اللبنانية وتزوج وله ثلاث بنات وولد واحد وهو حي يسرق .

(١) افضل الصلوات على سيد السادات ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) مقابلة مع الاستاذ يوسف النبهاني - الحفيد - في بيروت ١٩٧٤/١٢/١ م .

٣ - محمد صلاح الدين الذي ولد سنة ١٩٢٨ وقد حصل على الشهادة الثانوية
النهائية عام ١٩٤٨ وعمل رئيس قسم في شركة نفط العراق (مصفاة طرابلس)
وهو متزوج وله ثلاثة اولاد هم فادي ونبيل وسامي وهو حي يرزق .

٤ - يوسف الذي ولد سنة ١٩٣٣ وقد حصل على ليسانس هندسه في الطيران
سنة ١٩٦٠ من ولاية تكساس في أمريكا وعلى ليسانس هندسة في الميكانيكية
في السنة نفسها من ولاية تكساس ايضا وهو يعمل رئيس قسم فني في المديرية
العامة للطيران المدني في بيروت ، ومتزوج وله بنت واحدة وهو حي يرزق (١) .

اما بنات الشيخ يوسف النبهاني فهن تقية وعائشة وفاطمة :

اما تقية فقد تزوجت الشيخ ابراهيم النبهاني وأنجبت منه الشيخ تقى الدين
النبهاني رئيس حزب التحرير الاسلامي وقد حدثني الاستاذ امين النبهاني
ابو نبهان بان الشيخ يوسف ارسل تقى الدين الى مصر للدراسة في الازهر وكان
ينفق عليه من جيبه الخاص ولكن الشيخ تقى الدين لم تعجبه الدراسة في الازهر
وتحول الى دار العلوم فغضب الشيخ يوسف كثيرا وكان يسميه شقى الدين بدل من
تقى الدين (٢) .

اما عائشة فقد تزوجها الشيخ محمد صادق الجبالي التونسي في نصف شعبان
١٣٢٦ وقد وصفه الشيخ يوسف بقوله " . . . الذي صاهرته فحمدت مصاهرته من
كل الوجوه ووجدته على جانب عظيم من الفضل والتقوى ومكارم الاخلاق " (٣) .

(١) حصلت على هذه المعلومات من الاستاذ يوسف اثناء مقابلي لــــه
فسي بيروت بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٧٤ م .

(٢) في مقابلة مع الاستاذ امين النبهاني في دمشق في ١١ / ١٠ / ١٩٧٤ م .

(٣) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٥

وكثيرا ما كان الشيخ يوسف يذكر ابنته فاطمة ورواها للرسول صلى الله عليه وسلم (١)
أما فاطمة فقد تزوجها الشيخ عبد الواحد الخطيب نقيب أشرف حيفا ، وله منها ،
الشيخ يونس الخطيب والشيخ محمد بدر الدين الخطيب .

(وفاته)

وقد توفي رحمه الله في العاشرة أو الحادية عشر من رمضان المبارك سنة ١٣٥٠
ومذ لك يكون قد عاش أربعاً وثمانين سنة حيث ولد عام ١٢٦٦ هـ ، وقد حدثني
الاستاذ يوسف النبهاني - الحفيد - عن وفاته فقال " كانت صحته جيدة ثم
مرض بالنزلة الصدرية وتوفي في خلال ٢٤ ساعة وفي أثناء مرضه بعث الى أبي بلال
خير الدين وهو حفيده وطلب منه أن ينزع حذاءه - أي الشيخ يوسف - ويغسل
يديه ثم لبس لباسه الأبيض وثام ففاضت روحه الى خالقه وكان آخر ما قاله :
" اللهم لا تغني ولا تغن أحدا من ذريتي " (٢) وحدثني فضيلة الشيخ
مختار العاليلي أمين الفتوى في لبنان قال " وقبل أن ينتقل الشيخ يوسف النبهاني
الى الرفيق الأعلى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ما معناه : " أخبر
الشيخ مصطفى نجا (٣) أني مشتاق اليكما ولما أخبر الشيخ يوسف الشيخ مصطفى
نجا بذلك انهض بالبكاء وهما متعانقان لمدة طويلة وفلا توفي الشيخ مصطفى نجا وفلا

(١) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٥

(٢) مقابلة مع الاستاذ يوسف النبهاني - الحفيد - في ١٢/١/١٩٧٤ م .

(٣) هو مصطفى بن محي الدين بن مصطفى بن محمد عبد القادر نجا مفتي بيروت
سنة ١٣٢٧ الى ان توفي له عدة مؤلفات في الترييه والتصرف والتفسير وديوان
شعر راجع ترجمته في الاعلام ج ٨ ص ١٤٧ - ١٤٨ حدثني الاستاذ المؤرخ محمد
جميل بيهم في بيته في ١٣/١/١٩٧٥ في بيروت قال " .. ان جمال باشا
في مذكراته قد اراد ان يستميل بعض الطوائف اليه فلرسل الى بعض البطارقة طال
وللشيخ المفتي مصطفى نجا ولما وصلت اليه المفتي رد ها وذكر منها ان مولانا
السلطان اعلم بالفقراء منا قال جمال باشا وكنت اتوقع هذا من المفتي

في السنة نفسها التي توفي فيها الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله (١) ، وقد وصف لي فضيلة الشيخ مختار العلايلي جنازة الشيخ يوسف النبهاني كما رآها فكتبت ملاحظات تساعدني على تذكر ما قال ولما عدت الى القاهرة وجدت الملاحظات غير كافية فبعثت رسالة للشيخ محمد نمر الخطيب رئيس الرابطة الاسلامية في بيروت - حيث كان قد حضر زيارتي للشيخ العلايلي - أرجوه اعادة سؤال الشيخ مختار عما حدثنا به عن تجهيز جنازة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله فبعث لي رسالة مؤرخه في ٢١ ربيع الثاني ١٢٩٥ الموافق ١٩٧٥/٤/٢١ هذا نصها :

" توفي الشيخ يوسف النبهاني في ١٠ أو ١١ رمضان المبارك ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م مات قبل الشيخ مصطفى نجا الذي توفي في ٢٧ رمضان من العام المذكور وهو الذي هيا القبر وأعد له ترتيب الجنازة بالاشتراك مع الشيخ توفيق الهبري - وقد بدا كأنه شاب عند تجهيز الجنازة والاشراف عليها والشيخ صالح كفتارو امام مسجد قريسة بابيلاء وهو عم الشيخ أحمد كفتارو (٢) وقد كان خليفة للشيخ عيسى الكردي الذي كان شافعي زمانه وكان مرجع أهل بيروت وكان الشيخ صالح يأتي لبيروت يخطب الطريق ويبيت العلم وكان صاحب همة عالية .

دخل المسجد المصري مع الشيخ مختار امام مسجد النبي يحيى ، ويندما كانا جالسين اذ أتى رجل يسأل عن الشيخ يوسف النبهاني فأجيب بأنه توفي فقال سبحان الله لقد أتيت الى هنا لرؤيا رأيته وخلعتها أني رأيت نفسي ادخلت الجنة ورأيت أنه وزعت علينا باقات زهور فسألت عن السبب فقيل أنه سيأتي الشيخ يوسف النبهاني .

(١) مقابلة مع الشيخ مختار العلايلي امين الفتوى في بيروت زرتة في ٨ أو ١٠/١٢/١٩٧٤ م

(٢) مفتي سوريا سابقا .

وفي الجنازة حضر جميع مشايخ بيروت ومنهم الشيخ مصطفى نجا الذي صلى على الجنازة وتوفيق الهبري وصباح شتيلو ومحمود محرم وهاشم الخليلي الشريف ومختار العلايلي ، وقد مشوا خلف الجنازة ومشي في آخرها الشيخ الكردي والحاج حمدي الكوي .

وقد أخبر الشيخ الكردي أن الانوار كانت متصلة من السماء للأرض اكراما للشيخ النبهاني ، ولما وصلنا للحفرة وجدنا أحد فليف وهو رجل صالح محب للرسول عليه السلام ومحب للنبهاني لمحبه للرسول وكان يجمع المحبين يصلون على الرسول ، صلى الله عليه وسلم وهنا أخذت الحاج الكوي سنة من النوم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر يستقبلون النبهاني ويضعونه في القبر . . ه .

وفي مقابلة لي مع فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي - نابغة لبنان وحجته في العلم وقد كان غائبا وقت تشييع الجنازة قال " . . . وقد حضر تشييع الجنازة رهط من العلماء والصالحين منهم الشيخ صالح الكردي الذي كانت له همة عالية وقدم وامخه - واحوال مع الله وقد أخبر بعض المشيعين أنه رأى الانوار متجهة من السماء الى الارض في أثناء الجنازة .

وقد قام بتنظيم الجنازة خير تنظيم الشيخ توفيق الهبري فوضع العلماء في المقدمة والوجهاء من ورائهم ووضع بعد ذلك كل طبقة في مكانها كما أتى بفرق الكشافة وغيرها وكان احتفالا عظيما لم ير الناس مثله وفي أثناء الدفن أخذ جماعته المحبين من أهل الصلاح والتقوى يتلون القرآن الكريم ويرفصون أصواتهم بالاسلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تأخر الدفن بسبب أعمال الحفر التي لم تتم بسرعته وفي هذه الاثناء كان رجل صالح من المشيعين قد أخذته سنة من النوم فشهد فيما شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه بعض الصحابة كأبي بكر وعمر يستقبلون الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله وهذا يدل أكبر دلالة على مكانة الرجل عند الله تعالى (١) .

(١) مقابلة مع فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي في بيته في ٥ / ١ / ١٩٧٥ م .

ودفن رحمه الله في مقبرة الباشورا وقبره يزار وقد أخبرني حارس المقبرة أنه يأتي
أناس من مختلف الجنسيات لزيارته وقد وجدت على نصية القبر الأبيات الآتية :

هذا ضريح العالم الرباني ... حسان أحمد يوسف النبهاني
في دينه والذب عنه ومدحه ... ستون تأليفا كمقد جمان
يا زائرا فاقرا له ما شئت من ... سبع مئان ثم من قـرآن
وادعوا لاله بما تشاء لجلسه ... لك يستجيب بوابل الاحسان
لما دعاه الله في رضائه ... لباه يذكره بخير لسان
ولسان قدرته يقول مؤرخا ... للخلد أرفع يوسف النبهاني

سنة ١٣٥٠ ٦٩٤ ٣٥١ ١٥٦ ١٤٩

تتم بناء هذا الضريح خادم الطريقة الرشيدية الدندراوية في بيروت عبد الله
اليمنى قيم جامع زقاق البلاط غفر الله له ولمن دعا له ١٣٢٤ هـ (١)

اتضح لي خلال الوصف الحي لجنازة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله السني
سمعت من الشيخ مختار الملايلي والشيخ عبد الله الملايلي أن وقع الوفاة كان شديدا
ومؤلما في قلوب المسلمين وعلى مختلف الاوساط ولم أسمع أحدا ممن يعرف الشيخ
يوسف النبهاني الا أثنى عليه موضحا مكانته السياسية والروحية في عصره ولكنني لسم
أجد قصائد شعرية كثيرة في رثائه وكأن محبيه لم يشبهوه أرضاء له فيما ارتضاه
لنفسه أثناء حياته من البعد عن الشهرة والظهور ومن رثاه الشيخ على داود رحمه
الله قال في مراثيه طويلا :

(١) وقد ذهبت الى جامع زقاق البلاط في بيروت وهو قريب من منطقة الصنائع وسألت
عن الشيخ عبد الله اليمنى فاخبرني امام المسجد انه توفي في سنة ١٩٧٢ م
رحمه الله

رباني

صفوة الناس من أولى العرفان

خير جبر ^{عالم} رياضي

محبا للمصطفى المدنيان

ذو الفضل يوسف النبهاني

بل اماما علا على الأقربان

المعيا وأية في البيضان

ليس ترضيه ذلة الانسان

ومين السورى كذى سلطان

ليس يحصى بل ليس في الامكان

هل قضى نحيبه حليف المعانسي

قدوة العالمين في وقته بسيل

هل مضى خير عالم قد علمنا

ناشر الحق ناصر الدين والحسن

رضى الله عنه كان همامنا

رضى الله عنه كان ذكيانا

كان حرا بين الانام ابيانا

كان في ذلة المساكين لله

والي كم اقول كان لشعبي

الى ان قال :

أيها المسلمون سيروا وجدوا

حب طه أساس كل نجاح

لكن الحب فرع معرفة الحبيب

واطلبوها بالصدق تسرع اليكم

وثقوا أنها شواهد حقيق

كل ما تحتويه لا ريب فيه

ثم فيها أمضى سلاح اذا ما

فانصروها ينصركم الله حقنا

انصروها كي ترحو كل خير

واطلبوا العلم عن أولى العرفان

فأحبوه تظفروا بالاماني

اذن فاعرفوا تتالوا الاماني

من ثانيا صحائف النبهاني

وهي نور من درة الأكوان

انه الحق واضح البرهان

شتموا قمع زمرة الشيطان

وانصروها في العالم الانساني

وتفوزوا على أولى البهتاني (١)

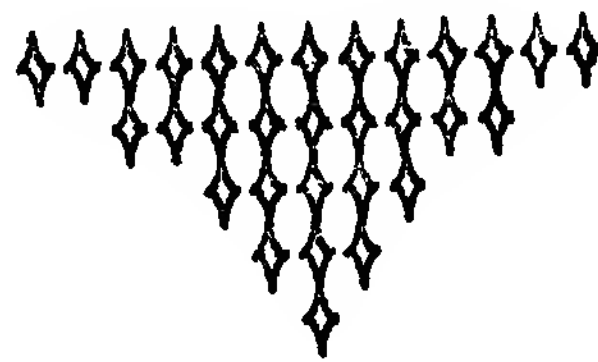
ولاشك أن الضعف الفني ظاهر عليها بعض الشيء ولكنني لم أجدها فسي

رثاء الشيخ يوسف النبهاني .

(١) تفسير جزء عم للشيخ يوسف النبهاني تحقيق وتعليق الشيخ محمد مصطفى ابو

الصلا الشهير بحامد ص ٤

وسالت الأستاذ يوسف النبهاني - الحفيد - هل ترك الشيخ
يوسف وصية فقال " لم يترك وراءه مالا حتى يرصى منه ^(١) واخبرني
الدكتور أحسان عباس " أن المساجد في فلسطين قد أذنت في
غير وقت الصلاة للاخبار بوفاة الشيخ يوسف النبهاني ^(٢)
رحمه الله ورعى عنه وأرضاه .



(١) مقابلة للأستاذ يوسف النبهاني - الحفيد .

(٢) الدكتور أحسان عباس رئيس قسم الدائرة العربية في الجامعة
الأمريكية في بيروت وهو من قرية عين غزال تبعد مسافة
١٥ كم عن قرية اجزام " مولد الشيخ يوسف النبهاني

١- قرينته : ولد الشيخ يوسف النبهاني في أجزم ومها نشأ وترعرع في جو

كما استفاد الشيخ النبهاني من جمال الطبيعة في قريته مما أدى إلى
نضج الصور الفنية في شعره وقد أكثر منها إكثارا ييسر للفنان أن يرسم
بريشته وراء قلمه خصوصا في بسيمه الذي يفتح به مداعبه .

ب - والسده : كان أول استفاد عرفه الشيخ يوسف النبهاني هو والسده
 الشيخ اسماعيل النبهاني ، يقول الشيخ يوسف " وقرأت القرآن
 على والدي حفظه الله فانه من الحفظة الماهرين الملازمين لتلاوة القرآن
 في أكثر الأوقات بحيث انه يختم في كل اسبوع ثلاث ختمات ثم ارسلني بعد
 أن حفظني بعض المتون وسني سبع عشرة سنة الى مصر لطلب العلم فـلى
 الجامع الأزهر فدخلته في غرة محرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين الف وواقمت
 فيه نحو سبع سنوات وبعد ان حصلت ما قوره الله لي في العلوم النقلية^ص
 والمقلية رجعت بأمر والدي الى الوطن في شعبان ١٢٨٩ هـ " (١)

(١) هادي المريد الى طريق الاسانيد ص ٥٦

لقد كان والده المعلم الاول الذي تتلمذ عليه الشيخ النبهاني سواء بالوراثته
أو الكسب فقد ورث من أسرته الذكاء وحب العلم والتدين كما هو معروف عنهم كما
ورث الاصاله العربيه والمقدرة الشعرية أما والده فقد كان له موجهها تعهده
منذ صغره بحفظ القرآن الكريم وحسن المتون مع التوجيه السليم حتى اذا التحق
بالازهر الشريف ومكث به سبع سنوات رآها والده كافيه لتحصيل العلوم الضرورية
بالنسبه لولد مغمره بالرجوع وكأن والده كان يحده اعدادا أخرى متأثرا بالامام
الفزالي (١) خصوصا في نصيحته لأحد تلاميذه في رسالة معروفة عنوانها :
" ايها الولد "

نجد هذا نفسه ظاهرا في مؤلفات الشيخ النبهاني قينا سناحظه
في اخلاقه وافكاره .

ج - شيوخه في الأزهر : يقول الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله : وأما
مشايخي الذين أخذت عنهم العلم في الجامع الازهر أيام مجاورتي فيه
فهم سادتي الأئمة الاعلام مشايخ الاسلام محمد الدمشقي المتوفى سنه
١٢٨٥ هـ وقد حضرت دروسه في الاجرومية وشرح القطر لابن هشام وحدثتني
بالحديث المسلسل بالاولوية وهو أول حديث سمعته منه " الراحمون يرحمهم
الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء " والشيخ ابراهيم السقا
لازمته ثلاث سنوات حضرت فيها دروسه في التحرير والمنهج لشيخ الاسلام
في فقه الشافعي بحاشيتها للشرقاوي والبيجيري (٢) وشطائل الترمذي في
رياضان وهذان الشيخان هما من أقران الامام العلامة شيخ اكثر مشايخي الشيخ

(١) راجع احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٤ - ٣٧ تحت عنوان " بيان المقدار المحمود
من العلوم المحموده " .

(٢) هناك فرعان من عائلة البجيرى في اجزم قدموا اليها اخو حملة ابراهيم باشا
على فلسطين ومنهم الشيخ توفيق البجيرى والشيخ يونس البجيرمى .
هـ . فاضل زيدان

ابراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ وأخذوا جميعهم عن الشيخ حسن القويسنى والشيخ محمد الفضالى والشيخ محمد الامير الصغير وطبقتهم والشيخ راضى الشرقاوى والشيخ صالح الجياوى والشيخ محمد العشماوى حضرت دروس هؤلاء الثلاثة فى شرح ابن قاسم علي متن أبى شجاع بحاشية البرماوى والشيخ محمد الانبائى شيخ الجامع الازهر حضرت دروسه فى شرح ابن قاسم المذكور مع حاشيته المذكورة وفى شرح الخطيب الشربيني على أبى شجاع وفى حاشيته الامير على البىلى على السمرقندية وفى حاشية شيخه الشيخ ابراهيم الباجورى على بردة الامام البوصيرى فى المديح النبوى والشيخ عبد الرحمن الشربيني حضرت دروسه فى شرح الخطيب على أبى شجاع والشيخ ابراهيم الزرو الخليلي حضرت دروسه فى حاشية شيخه الباجورى على جوهرة التوحيد وفى شرح ابن عقيل على الفيسه ابن مالك بحاشية الشجاعي والشيخ مصطفى الاشرفي حضرت دروسه فى الجامع الصغير للحافظ السيوطى والشيخ أحمد الاجهورى الضريب حضرت دروسه فى تفسير الجالين بحاشية الجمل وفى حاشية الامير على شرح الطوى على السمرقندية والشيخ عبد الهادى الابيارى حضرت دروسه فى صحيح البخارى ومقامات الحريسرى وحاشية شيخنا الدمشقى الصغرى على الكافى فى علمى العروض والقوافى والشيخ عبد اللطيف الخليلي حضرت دروسه فى حاشية الباجورى على الجوهرة والشيخ أحمد البابى - نسبة الى الباب من أعمال حلب حضرت دروسه فى شرح القطر بحاشية الشجاعي وشرح الشذور بحاشية الامير وهؤلاء كلهم شافعيون .

شرح

والشيخ عبد القادر الرافعى شيخ رواق الشوام حضرت دروسه فى الجزء الثانى من حاشية ابن عابدين على الدر المختار وشقيقه الشيخ عمر الرافعى حضرت دروسه فى حاشية الباجورى ، على السمرقندية ، والشيخ شريف الحلبي حضرت دروسه فى شرح الازهرية بحاشية العطار والشيخ مسمود النابلسى حضرت دروسه فى شرح الدر المختار والشيخ فخر الدين اليانوى حضرت دروسه فى شرح الجامعى على الكافية وهؤلاء كلهم حنفيون .

والشيخ حسن المدوي حضرت دروسه في صحيح البخاري والاربعين النووية
والشيخ حسن الطويل حضرت دروسه في شرح الازهرية بحاشية العطار وشرح
الشدور بحاشية الأمير وقلائد الحفيان للفتح بن خاقان وكان قراه في بيته لبعض
تلاميذه ، ثم لم يكمله والشيخ محمد البسيوني حضرت دروسه في حاشية الصبان على
المهلوي على سلم المنطق والشيخ محمد الرومي حضرت دروسه في شرح الاشمونسي
على الالفية بحاشية الصبان والشيخ محمد الحامدي حضرت دروسه في مختصر
البخاري ، لابن أبي حمزة بحاشية الشنواني وشرح الشيخ خالد على الاجرومية
بحاشية ابي النجار وهو لاه كلهم مالكيون .

والشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي شيخ رواق الخنابلة حضرت دروسه في الاجرومية
وهو أول شيخ انتفعت به نفسي الله ببركاتهم أجمعين وحشروني في زموتهم تحسنت وحشروني
لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (١) .

بيدوا أن الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله لم يحصل على شهادة في دراسته
لأن التعليم في الأزهر وقتها كان على شكل حلقات يختلف اليها الطلاب لسماع
الدروس التي يرغبونها ممن يرغبون من الأساتذة قوالى هذا أشار الشيخ محمود
أبو الصيون في كتابه الجامع الأزهر تحت عنوان " الدراسة في الأزهر قبل النظام " ^{رافادة}
ومنذ أصبح الأزهر مدرسة جامعة كان يسير على نظام سهل يكاد يكون فطرياً
أساسه التقوى ، وقوامه احترام الدين وأهله كان الطالب يدخل الأزهر
مختاراً بلا قيد ولا شرط ويختلف الى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنده
 ويبقى فيه ما شاء الله أن يقيم فاذا آنس من نفسه علماً كافياً ومكة يتمكن بها ممن
أفادته نعيمه استأذن أساتذته وجلس للتدريس حيث يجد مكاناً خالياً وعرض نفسه على
الطلبة فكانوا اذا لم يجدوا فيه الكفاية للافادة انفضوا من حوله واذا وجدوه على
علم وثقوا به واستمروا على تلقى العلم عنه وحينئذ يجيزه شيخ الأزهر اجازته

وكان عماد الدراسة اذ ذاك النقاش والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما يشق العقول
ومنى ملكة الفهم وظلوا على ذلك مدة طويلة الى أن اقتضى الحال وضع قوانين خاصة
للأزهر وطلبته وعلمائه وإدارته والدراسة فيه (١) .

لم يذكر النبهاني انه حصل على اجازة رسمية من شيخ الأزهر ويبد وأن الشيخ
النبهاني كان يختلف الى حلقات الدرس كما وصف الشيخ أبو العيون وكما يظهر
من حضوره ذووس كل شيخ من الذين ذكرهم من أساتذته من المذاهب الأربعة
والنبهاني يذكر في كتابه " أسباب التأليف " أنه جلس لتدريس النحو لبعض الطلبة
ولم يذكر غيرها حيث يقول " ٠٠٠ ذكرت في كتابي " هادي المريد الى طرق

الأسانيد " جميع الكتب التي اعتادوا قرائتها في علم النحو في نحو سبع سنوات من عراة
الاجرومية الى الاشعوى بالشروح والحواشي مع حفظ الاجرومية والالفية ومطالعته
الموايل والاظهار وكافيه ابن الحاجب بنفسه وبعض الطلبة (٢) والنبهاني
لم يوضع في هذه العبارة ان كانت مطالعته هذه العلوم للطلاب في حلقة للتدريس
في الأزهر أو مجرد مذكراته ويبد وأنها كانت حلقه للتدريس . مذكره

على أي حال غادر النبهاني الأزهر في رجب ١٢٨٩ بأمر والده دون أن يحصل
على اجازة شيخ الأزهر " وكان اول قانون وضع للأزهر لنيل الشهادة العالمية
سنة ١٢٨٩ في عهد شيخه الشيخ محمد العباسي ولكن يبد وأن القانون لم يطبق
من تاريخ صدوره لكن الجامدين من رجال الأزهر كانوا يعادون كل اصلاح وتجديد
وكان يتزعمهم الشيخ محمد عيش فكانوا يهجمون اصلاحات الشيخ المهدي العباسي -
وساعدهم على ذلك ان الخديوي اسماعيل كان مشغولا بالمحن السياسية والاقتصادية
وان مصر شغلت كلها بالاحتلال الانجليزي (٣) ولم يوضع القانون موضع التنفيذ

(١) الجامع الأزهر نبذه في تاريخه ص ٣٩

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤ - ٣٣٥

(٣) الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٤٧

الا في ١٧ رجب ١٣١٢ في عهد الخديوى عباس الثانى * (١) وفى هذا يتضح لنا
سبب استدعاء والده له - وهو شيخ عالم اذ أنه رأى ولده قد استوعب من العلوم
الشرعية القدر الكافى وليس هناك شهادة ينتظر الحصول عليها وربما تكون رغبة
الشيخ يوسف مع والده أن يحصل على العلوم الشرعية التى تمكنه من العمل فى
القضاء الذى لا يحتاج الى تفلح فى العلوم الشرعية وانما هى قوانين مخصوص عليها
وقد حصل الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله على عدة اجازات من مشاهير علماء
المصر ذكر هذه الاجازات فى كتابه " هادى المريد الى طرق الاسانيد " بعضها
والتفصيل ، ويمكن الاطلاع عليها بتمامها تذكر منها بالقدر الذى يبين نوعيتها
ثقافته العلمية اذ أن هذه الاجازات بمثابة شهادات علمية على أهلية المجاز فيما
يجاز به . يقول رحمه الله : " ولما كان من أكبر نعم الله تعالى على
ان وصل سندی بأسانيدهم - أى العلماء القائمين بخدمة الدين - كما يتصل
بالسادة أحقر عبيد هم رأيت أن اثبت من سلسلة أسانيدى فى هذا الثبت الوجيز
ما هو أنفس من سلاسل الذهب الابريز لأجمع تلك الطرق الكثيرة فى مكان واحد
وقد سميت " هادى المريد الى طرق الأسانيد " واقتصر فيها على ذكر أربعين
سنداً أو أربعين فائدة وخمس اجازات وخمسة اثباتات انا مجاز بها أحدها يتضمن
اثنتين وأربعين بيتاً وهى تشتمل على أكثر أسانيد العلماء الاول ثبت الشيخ الامام
المحدث عبد الله بن سالم البوصيرى والثانى ثبت الامام المحقق الشيخ محمد الأمير
الكبير المصرى ارويها عن شيخنا الامام السقا والثالث ثبت العلامة الامام الشيخ
عبد الرحمن الكزبرى محدث الشام ارويها عن علامتين محمود أفندى حمزه والشيخ
محمد الخانى وغيرهما . والرابع ثبت الامام المحقق السيد محمد بن عابد بن

(١) المرجع السابق ص ٢٥١ .

أروية عن ابن أخيه الملامه ابي الخير أفندي وهو أجمعها وأكثرها فوائد ، وفيه اجازته باثنين واربعين بيتا بالسند الى مؤلفيها الا أن سندی في الثلاثة قبـله أعلى من سندی فيه من بعض الطرق لذلك نقلت الأسانيد منها وربما استعنت بثبت الشيخ محمد الكزبري والد الشيخ عبد الرحمن وشيخه ، وأما النوائد فقد نقلت أكثرها من ثبت ابن عابد بن ونقلت بعضها من ثبت الشيخ محمد الكزبري والبعض من ثبت الشيخ أحمد النخلي المكي الافائدة الفاتحة فقد نقلتها من ثبت الشيخ محمد عابد السندی وهو الخامس الذي أرويه عن الامام المحدث الشيخ عبد الله بن ادريس السنوسي الفاسي المالكي الاثرى قدم بيروت في العام الماضي فقرأت عليه أول صحيح البخاري وأجازني به وسائر مروياته ومنها الثبت المذكور وهو عن الشيخ عبد الفسني المجددي المدني عن مؤلفه " ثم أورد الشيخ النبهاني رحمه الله الاجازات الخمس التي حصل عليها وهي :

١ - اجازة الشيخ ابراهيم البسقا - أستاذ الشيخ النبهاني في الأزهر - جاء في اجازته " أجزت ولدي المذكور بما تجوز لي روايته وتصح عني درايتته من حديث وأثر ومن فروع وأصول وضقول ومحقول ~~وغيره من الأصول~~ كما أخذته عن الأفاضل السادة الاكابر ٠٠٠ (يذكر هؤلاء السادة) فسانيدهم مسانيدى وقد سمع مني المجازكتبا عديده معتبرة مفيدة كالتهذيب والمصباح فما أكرمها من نسبة وأبرها وفقه الله لمحاسن ما به أمر أمين بجاء طه الامين في ١٨ رجب سنة ١٢٨٩ (٢) .

٢ - اجازة السيد الشريف السيد محمد أفندي الحمزاوي الحنفى مفتى دمشق الذي جاء في اجازته " فانه رأى النبهاني - بمن لحظته العناية وشملته الهداية وقد حسن طه بي كما هو شأن المؤمن الكامل وطلب مني أن أجزيه اجازة عامة بجميع مزياتي وما تطلعت بجمعه من مستغاثي كالتفسير بحروف المهممل المسنى " بدر الاسرار " ونظم الجامع الصغير للامام محمد صاحب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، ونظم مرقاة الاصول لملا خسرو واللالى البهيمة في الفرائد الفقيهية ونفحة الطالب في شرح وسالة الصديق لعلى بن أبى طالب

(١) كليه مستعمله شيئا في غير معناها ٠٠ لان اعتبر معناها : القطر د عبد السلام سمرحان
(٢) هادى المرید الى طرق أسانيد ص ١ - ٢

رضى الله عنهم وقواعد الاوقاف وكشف الستور في المهاباء والأجور ومنظوم الفريسيب والفتاوى الحمزاوية وشرح بدعية الوالد المسمى كشف القناع ودليل الكمل الى المهمل في اللغة والطريقة الواضحة الى البيئة الراجحة فاستخرت الله وأجزته بأن يروى عني صحيح الامام محمد بن اسماعيل البخاري وسائر ما تجوز لي روايته وتصح لي نسبتته ودرايته اجازة عامة شاملة لجميع ذلك بشرطه الصحيح المعتبر (١) عند أهل الحديث والاشهر . . الخ * ثم أخذ يذكر أشياخه الذين روى عنهم . .

٣ - اجازته الشيخ محمد أمين البيطار الثاني وقد جاء في اجازته بعد أن عدد - المشايخ الذين فوس عليهم وأجازوه : " . . . واني أجيز سيدى المذكور - أى : يوسف النبهاني - بما يجوز لي روايته عنهم وأرجوه الا ينسانا من دعائهم في عامة اوقاته . . (٢) في ١٩ شعبان ١٣١٥ .

٤ - اجازة الشيخ محمد أبى الخير أفندى عابدين : يقول الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله " ثم أجازني مراسلة بجميع مروياته سيدى العلامة محمد أبوالخير عابدين أمين الفتوى بدمشق الآن . . . أجازني حفظه الله بجميع مروياته . . . وجميع ما تضمنه ثبت عنه محمد الشهير بأبن عابدين صاحب الحاشية الكبرى على الدر المختار في الفقه الحنفي ومن جملة ما تضمنه ثبته الاجازة له باثنين واربعين ثبتا بسنده المتصل الى مؤلفيها واخذ يذكر هذه الالابات واحدا بعد الاخر الى ان قال " فهذه اثنتان واربعون ثبتا يرويهما السيد محمد عابدين بأسانيده الى مؤلفيها ولا يخفى انه تندر شيء تطلب فيه الاجازة من كتاب أو حزب أو ورد - أو دعاء أو صيفه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو طريقه صوفية لا يوجد له ذكر في هذه الانبات ثم ذكر اجازة الشيخ محمد أبى الخير عابدين جاء فيها " . . . قد أجزت حضرة المولى ^{عليه} - أى : ابن عابدين - وجميع مؤلفاته ومروياته وما تجوز روايته اجازة عامة مطلقة كما أجازني بذلك مشايخي الكرام . . " في شهر جمادى الثانية ١٣١٥ هـ بدمشق الشام .

أجازني

(١) خطأ شائع كما سبق قريبا .

(٢) المصدر السابق ص ٨ - ١١

٥ - اجازة الشيخ محمد محمد الخاني الشافعي النقشبندی خليفة
 أبيه محمد الخاني الكبير خليفة مولانا الشيخ خالد النقشبندی . ومحمد
 أن عدد الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله الكتب التي أجازها بها الشيخ
 الخاني أورد نص الاجازة التي جاء فيها " قد أجزت له بأن ،
 يروى الكتب التي في الرسالة المذكورة - اي : الرسالة المجلونية وهي
 تحثي على أربعين حديثا من أربعين كتابا من كتب الحديث - من كتب
 الحديث الشريف وغيرها وبقراءة الدلائل المذكورة - أي دلائل الخيرات
 في الأوقات المناسبة خصوصا نهار الجمعة وليلتها وبقراءة الاوراد المنسوبة
 الى قطب العارفين وخاتم الأولياء المحط بين سيدنا الشيخ محيي الدين
 الاندلسي الطائي قدس الله سره وأفاض علينا فيضه وهره بالاوراد المنسوبة
 الى سيدنا ومولانا الولي العارف أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله ببركاته
 وأفاض علينا من فيوضاته بالاوراد المنسوبة الى سيدنا ومولانا نور أبطارنا
 قطب الارشاد ورحلة الابدال والاولاد الشيخ محمد بهاء الدين المشهور بشاه
 نقشبند قدس سره وبجميع ما تجوز لي وعلى روايته ودرايته خصوصا كتاب المواهب
 اللدنية المنسوب لسيدنا الشيخ أحمد القسطلاني شارح صحيح البخاري
 رحمهما الله تعالى ، كما أجازني بذلك مشايخي المظام عليهم رحمة الملك
 السلام من دمشق ومصرين ومكيين وعراقيين ومن أجلمهم عندي بل عنيد
 الكل سيدنا وشيخنا المرحوم مسند ومحدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن
 ابن المرحوم العالم التقى الشيخ محمد الكزبري فانه أجاز لي مرارا -
 بكل ما حواه ثبته المشهور وبكل ما تجوز له وعنه روايته وقد وتي وعدتي
 مربي المریدین مرشد السالكين والواصل الى الله والمنقطع لله والدي المكرم
 نفعني الله والمسلمين بأفواره وفيوضاته فاني حضرت عليه أكثر دروسه
 بل كلها فجزاه الله عني ما أحبه وأرضاه وسيدنا الشيخ المحقق المدقق الشيخ
 ابراهيم السقا شيخ مشايخ الجامع الأزهر الأنور وصوفي زمكانه الشيخ مصطفى
 المبلط رحمه الله والعايد الزاهد الشيخ عثمان شطا الدمياطي المجاور في مكة
 المكرمة والشيخ اسماعيل البرزنجي النقشبندی قدس سره وكذلك أجزت لـ
 روى بأن يروي جميع ما في ثبوت شيخنا الكزبري المذكور وجميع ما في ثبوت محقق زمانه
 الشيخ محمد الامير الكبير الشهير رحمه الله بشرطه المعتبر عند أهل الاثر
 وأوصيه ونفسي بتقوى الله في السر والاعلان والاخلاص لله في الاحوال والازمان
 الا ينسانا من دعواته المستجابات في كل الاوقات وصلى الله على سيدنا ومولانا

وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين في ١٩ شوال سنة ١٣١٢ (١)

أما الرسالة العجلونية المشتعلة على أربعين حديثاً من أربعين كتاباً من كتب الحديث الشريف فاني أوردها كما أوردها الشيخ النبهاني لبيان منزلته في علم الحديث يقول الشيخ النبهاني " ٠٠٠٠ " وها أنا ذا أذكر الأسانيد مقتصراً على طريق واحدة أخذنا علمها من الاثبات الثلاثة ثبت عبد الله بن سالم وثبتت الأمير وثبت الشيخ عبد الرحمن الكزبري وسندي المتصل اليهم مذكور في الاجازات فلا حاجة الي تكراره في كل كتاب " ٠ ثم يبدأ الشيخ النبهاني في ذكر الكتب ابتداءً من رايها الاول الذي أخذ عنه الاجازة وانتهى بصاحب الكتاب الى المؤلف ولكن أكتفى بذكر الكتب فقط وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود - وجامع الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجة وموطأ مالك ومسند الامام أبي حنيفة ومسند الامام الشافعي ومسند الامام أحمد ومشكاة المصابيح لولي الدين التبريزي والترغيب والترهيب للحافظ المنذري وبقية مؤلفاته والشمايل للامام أبي عيسى الترمذي والشفاء للقاضي عياض وسيرة الشيخ علي الحلبي وياقوت مؤلفاته والجامع الكبير والجامع الصغير ودلائل الخيرات وتفسير القاضي البيضاوي وتفسير الجلالين وتفسير الدر المنثور وتفسير أبي السعود وفقه الشافعية وفقه الحنفية وفقه المالكية وعلم الكلام وتصانيف أبي الحسن الاشعري وأبي منصور الماتريدي امامي أهل السنة والجماعة وتفسير الفخر الرازي وسائر تصانيفه وتصانيف امام الحرمين الجويني وتصانيف أبي منصور الماتريدي محمد بن محمد وهي كتاب التوحيد وكتاب المقالات - وكتاب تأويلات القرآن العظيم وكتابان في الرد على أهل الاعتزال والرسالة القشيرية وقوت القلوب لأبي طالب المكي والاحياء للامام الفزالي وسائر تصانيفه وعوارف المعارف للشهاب السهروردي والفتوحات المكية للشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن العربي الاندلسي مع سائر تصانيفه والفنية للمعارف الكبير الشيخ محيي الدين عبد القادر - أبي صالح الكيلاني وسائر كتبه والاذكار ورياض الصالحين والاربعين حديثاً - وسائر تصانيف الامام ولي الله ومحرر مذهب الشافعي شيخ الاسلام محيي الدين أبي ذكريا يحيى بن شرف الدين النووي ومؤلفات الحافظ ابن حجر التي - جظتها فتح الباري بشرح احاديث البخاري ومؤلفات شيخ الاسلام زكريا الانصاري ومؤلفات العارف بالله عبد الوهاب الشعراني وتأليف شيخ الاسلام خاتمه المحققين

(١) هادي المرید الى طرق الاسانيد للشيخ يوسف النبهاني ص ١٢ - ١٤

الشهاب أحمد بن حجر الهيثمي المكي وتأليف شيخ الاسلام الشمس محمد الخطيب الشربيني ومنها تفسيره وشرحاه على الضعاج ومتن أبي شجاع وتأليف شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ومؤلفات الشهاب أحمد بن محمد القسطلاني ومنها المواهب اللدنية وشرحه على البخاري ومؤلفات الشيخ ابراهيم الباجوري فاني ارويها عن جميع من تلاميذه الأئمة الاعلام كالشمس الانبائي والشيخ عبد الهادي الباري والشيخ ابراهيم الزرو وغيرهم وقد أجازني كثير منهم باجازات خطية ولكنني صرفت النظر عنها لكون سندی من طريق شيخنا الشيخ ابراهيم السقا أعلى بدرجة لاني شاركهم فيه وفي شيخنا محمد الدمهوري (١) .

هذه هي الاجازات التي حصل عليها الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله كما ذكرها في كتابه " هادي المريد الى طرق الاسانيد " الذي انتهى من تأليفه عام ١٣١٨ هـ .

وقد ذكر في كتابه جامع كرامات الأولياء الذي انتهى من تأليفه عام ١٣٢٤ وفي - كتابه " جواهر البحار في فضائل النبي المختار " (٢) الذي انتهى من تأليفه عام ١٣٢٧ وفي كتابه " اسباب التأليف " (٣) الملحق بكتابه جامع كرامات الأولياء ذكر اجازته من الشيخ أحمد حسن العطاس العلوي وقد كانت اجازته الشيخ العطاس للشيخ النبهاني مرتين وفي رسالتين ولكن سبقهما مراسلة بينهما ابتدأها الشيخ العطاس فأجابه الشيخ النبهاني عليها بطلب الاجازة منه فأجابه الشيخ العطاس بالاعتذار أولا ثم أعقبها باجازتين منفصلتين وقد وصف الشيخ يوسف النبهاني شعوره لمراسلة الشيخ العطاس له فقال " فلما قرأت مكتوبه حصل لي من السرور والانس وانشرح الصدر ما لم يحصل لي بقراءة مكتوب قط ورد لي في سابق الأزمان من أي شخص كان وبأي سبب كان فعلمت أن صاحب هذا المكتوب لا شك أنه من أولياء الله فصرت من جملة تلاميذ هذا السيد الجليل ومريديه وهو أفضل مشايخي فيما أعلم لانه من السلالة الطاهرة ومن أكابر الأولياء الذين يجتمعون يقظه بالنبي صلى الله عليه وسلم على ما علمته ممن لهم الوقوف على أحواله من ثقات ساداتنا آل باعلوي " (٤)

(١) هادي المريد الى طرق الاسانيد ص ٢٩ - ٣٨ .

(٢) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٢٩ - ٣٤٣

(٣) اسباب التأليف ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٤) المصدر السابق .

ونظرا لافراد الشيخ النبهاني لأستاذ الشيخ المطاس بمعية الافضلية فسوف
أذكر الرسائل التي بعثها الشيخ المطاس للشيخ النبهاني لمزيد الاطلاع ولأنها
تعكس الصورة الكاملة لشخصية الشيخ المطاس التي أعجب بها الشيخ النبهاني
والتي تدل بالتالي على شخصية النبهاني ونوعية ثقافته .

أما الرسالة الاولى فهي هذا نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يكشف
عنها الغمة ويخرجها من الظلمة ويعرفها بمسالك الطريق ويحقق لهم غاية التحقيق
وصلى الله عليه هادي كل هاد من كل حاضر وباد وعلى سيدنا محمد ابن عبد
الله صلى الله عليه وسلم وعلى من تابعه ووالاه ، فيما فعله ونواه ، وعلى الشيخ
الفاضل الذي أبرزه الله نورا في هذا الزمان يوسف بن اسماعيل النبيه النبهان وسلام
الله يغشاه وعين الله ترعاه ومن والاه في الله ، وجعلنا له هذا المحرر من اليمن
من حضرموت من بلدنا حريضة حوطة السيد الشريف عمر بن عبد الرحمن العطاس
الى بلده بيروت والموجب لتحريره وتسطيره السوءال عن الحال واعلامكم بأنا لكم راعون
ولكم ذاكرون ولكم شاكرون ومن لدينا من اخواننا السادة العلويين وجميع المحبيين
الساكنين في تلك الديار من تريم وسيون وشيام . يشكرون جنابكم الكريم وقد وصلت
الينا كتبكم الكرام وتأليفكم العظام التي فيها شفاء السقام . منها الانوار المحمدية
وقد مررنا عليها " وأفضل الصلوات " وقد مررنا عليها " ووسائل الوصول الى
شمائل الرسول " وقد مررنا عليها " والهمزية " وكذلك قصيدتكم الموازنة لبانست
سعاد وما أضيف اليها وصورة النعل الشريف " وحال التاريخ " والقراءة
في كتابكم حجة الله على العالمين بلغنا فيه الى اخلاقه صلى الله عليه وسلم
ولما بلغ الينا ذلك الكتاب ورأينا ما احتوى عليه من العجب العجائب قلنا لمن لدينا
من الأحاب " هذا الكتاب جدير بأن يسمى " هدية الله الى العالمين " .
وجعلنا كتابكم هذا شكرا لجنابكم الفخيم ولطلب الدعاء منكم وحررناه على لسان
العوام وقصدنا المعنى لا الصورة وان سمحتم وتفضلتم بجواب لنا أو ارسال
شيء من مؤلفاتكم يكون ذلك من طريق جدة الى عند محبنا أحمد بن أبي بكر بن عمر
باعشر أو أخيه سالم لأن المذكورين لهما اتصال ببعض أهل السبب من أهالي
بيروت وهذا المسطور من طريقهم وعفوكم أوسع ودمتم فوق ما رمتم والسلام عليكم وعلى
أولادكم ومن حواه مقامكم ومن شئتم كيف شئتم منا ومن أولادنا ومن اخواننا العلويين
ومن جميع المحبيين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وان عثرنا على شيء
من ديوان الشيخ العارف بالله الثامل من محبته عمر بامخرمه فيه تنويه بكم وبذكركم

نصرفكم بذلك ان شاء الله لأن الشيخ المذكور يتكلم على كثير مما يأتي بمحمد
قال في بعض قصائده .

أهل وقتي ومن بمحمدى وذى من زمن عباد
أعرف أنسابهم والقابهم يا ابن حماد
ساعة اجمع وساعة جيک بأسمائهم أفسراد

وكثيرا ما كان يقول في قصائده " يا ابن نبهان " ولما وصل كتابكم خبجة
الله على العالمين وقراءتنا في الدر المنثور مستمرة بلغنا فيه الى سورة الاحزاب
الى قوله : " يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا آية " ووقفنا
القراءة على تلك الآية لمناسبات لا تخفى عليكم وبعد ما نكمل قراءة كتابكم نرجع الى
تكملة الدر المنثور وقراءتنا للجميع قراءة تحصيل لا تفصيل . . المستمد للدعاء
منكم وبإذلة لكم السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي بن عبد الله
المطاس العلوي الحسيني عفا الله عنه حشر في ٢٣ من شهر رجب الاصب
عام ١٣١٩ . (١)

يقول الشيخ يوسف النبهاني " فكتبت له مكتوبين شكرته فيهما على ما تفضل
على به في مكتوبه هذا وطلبت منه أن يديم على أنظاره الشريفه ودعواته المنيفه
ويتفضل على باجازه يجعلني فيها من جملة تلاميذه ومريديه فان ذلك من
أعظم النعم على وأكبر الفوائد التي انتفع بها في الدنيا والآخرة فأجابني رضى الله
عنه بالمكتوب الاتي وهو هذا بحروفه :

قال رضى الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم وأسأله الفتح المبين
واليقين والتمكين وإصلاح الدنيا والدين وأن يصلى ويسلم على أشرف المرسلين
سيدنا محمد والتابعين له باحسان الى يوم العرض على رب العالمين وأن يحفظ
بما حفظ به الأولين والآخرين من العباد الصالحين الشيخ الفاضل العالم العامل
يوسف بن اسماعيل النبهاني شكر الله مسعاه وبلغه ما يتمناه في دنياه وآخره وسلام
الله يخشاه ، وعين الله ترعاه ، في صورته ومعناه ومن والاه في الله والمسطور

من حوطة الحبيب عمر العطاس حريضة بعد وصول كتبكم الكرام المؤرخة في ٢٢ جمادى الأولى وكان وصول الجميع في يوم واحد الاثنين ٢٤ شعبان وحمدنا الله على عافيتكم وعرفنا وصول كتابنا اليكم وفرحكم بذلك وسروركم فهنئنا لكم ^{لما} هناك من قوة الرابطة بينكم وبين المتبوع الاعظم صلى الله عليه وسلم وبين المنتسبين اليه ضرورة ومعنى من أهل الاسلام وشكواكم ما تحملتم من الديوان في طبع الكتب وارسالها الى الافاق ان شاء الله يحصل الفرج بلا حرج وقد أويتم الى ركن شديد ، وفسى حسن الرجاء في ذلك الجنب ما يخفيكم ويكفيكم ، وان تحركت البشرية وضاق الصدر فقولوا ما ^{بمطفي} معطيكم تبطل ، وما هناك الا السلامة ان شاء الله والكتب من طريق جدة وصندوق الكتب الذي من طريق عدن وصل ونحتمد ما عرفتم من تفرقتها فسى ~~مكتوبها~~ في مظانها مع طلب الدعاء لكم ولحضرة عبد الغنى باشا بيضون البسبرونى (وهو الذى دفع ثمن تلك الكتب بان الله يبلغكم ويبلغه جميع الامال في جميع الاحوال في لطف وعافيه وايانا آمين ، وقد وصل اليها من طريق السيد احمد شطا نسخه من تأليفكم سعادة الدارين وقد ^{مررت} معونا على جميع ذلك وابتدانا في قراءة القصائد التى في آخرها والدعاء لم يزل لكم في الاوقات الشريفة ونسالكم الا تسوننا من صالح دعائكم وعرفتم ان قصدكم اجازة وحملكم على ذلك حسن الظن ونعم المطيعة واما الفقير فما عنده شىء مما تظنون والله لا يخيب الجميع مما لديه وان يجعلنا في حماه وحمى انبيائه واوليائه ومن في رضاه وان قدر الله نسعكم بما طلبتم لا جمل الارتباط . (١)

ودمتم فوق ما رمتم صلى الله على سيدنا محمد وكل عبد مصطفى . قال ذلك الفقير الى عفو الله احمد بن حسن بن عبد الله العطاس باعلوى حرر فى ٢٤ شعبان ١٣٢٠ هـ (٢)

ثم أرسل فضيلته الشيخ أحمد حسن العطاس المكتوب الثالث وفيه الاجازة وهذا نصه :

(١) في هذا ما يدل على ان الاجازات لم تكن تعطى جزافا بل بعد روية واناء لمعرفة حال طالب الاجازة .

(٢) جواهر البحار في فضائل النبي المختار ص ٣٤٥ - ٣٤٦

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فتح لأرباب المودات أبواب
المواصلات فأرواحهم في وريف ظله قائلات ، وإن كانت أشباحهم متاثيات والصلالة
والسلام على نقطة بیکار الموجودات ، الشمل من شراب المشاهدات هادی النفوس
المائلات ، ومعنى الأیدی السائلات ، بالحطایا السنيات ، وعلى آله وأصحابه
وتابعیه فی جمیع الحالات الى حضرة الشيخ الفاضل المتعالي بالفواضل محب رسول
الله صلى الله عليه وسلم . وأهل بيته يوسف بن اسماعيل النبھانی أجزل الله
عطاءه وكشف عن قلبه غطاءه وبلغه ما يتمناه في دنياه وأخراه السلام عليكم ورحمة
الله وعلى ^{من} والكم في الله صدر المحرر من حوطة الحبيب عمر بن عبد الرحمن المطاس
حريضة وباعته طلب الدعاء والسؤال عنكم أرجوكم ومن لديكم في عافيتكم أنا ومن لدينا
من الإخوان والمعارف كذلك وقد أرسلنا لكم قبله كتابا جوابا لكتبتكم السابقة من طريق
عدن وأخبرناكم فيه أن السند وفي الذي أرسلتموه إلينا في أثناء الطريق وفي باطن
شهر رمضان وصل إلى طرفنا رياض الجنة ووجدناه كما ذكرتم . إن شاء الله والله
يشكر سعيكم ويتقبل منكم وفرقناه على أهل الجهة كلها حسب المكان على السادة
وطلبة العلم ومن له رغبة في الخير أرسلنا إلى تريم نحو ستين وإلى سيون نحو
خمسین الى البلدان الأخرى ما تيسر من ذلك واجتمعنا من غالب السادة العلويين
وغيرهم من أهل الديار والجميع يشكرونكم ويعدونكم بصالح الدعاء وكل مؤلفاتكم
موجودة والقراءة مستمرة فيها وعرفتم قصدكم الإجازة فتشرح لكم بعض الحال لا يخفى
على جنابكم أنا فقراء وضعفاء وما لدينا شيء مما ظننتم إلا أنا نحبكم في الله اللهم
إلا أن يكون شيء من الارتباط بيننا وبين السلف في الصورة أو في المعنى عسى
أن يكون ما ظنناه حقا ونقول اغتاما لصالح دعائكم وامثالا لامركم : أجزت الشيخ
الفاضل العالم العامل يوسف بن اسماعيل النبھانی في جميع العلوم الشرعية من
تفسير وحديث وفقه وتصوف والالت ذلك وفي جميع الأذكار والأحزاب والأوراد المنسوبة
إلى السلف الصالح وفي جميع علوم الرواية والدراسة أجزته إجازة مطابقة وأجزته أيضا
في الطرائق المنسوبة إلى أهلها كالمولوية والشاذلية والقادرية وغيرها من الطرائق
كما هي مبسطة ومذكورة في مؤلفاته لاسيما كتاب السيد محمد مرتضى " أبواب السعادة
وسلاسل السيادة " وهو كتاب عظيم مشتمل على غالب الطرق بأسانيدها وأنسابها
أرويه بالإجازة العامة والخاصة عن السيد الشريف عيدروس بن عمر العبشي وغيره
من المشايخ والسادة ومن أجلمهم وأفضلهم وأعلمهم الشريف صالح بن عبد الله
المطاسي والسيد الشريف أبو بكر بن عبد الله المطاسي بحق أخذهما عن السيد
الشريف العامل الكامل عبد الرحمن بن سليمان الأهدل بحق اتصاله بالسيد

فشرح

محمد مرتضى بحق أخذه لذلك عن السيد عبد الرحمن بن مصافى العيدروس كما
 شرح ذلك وبينه في " النفس اليماني في اجازة بنى الشوكاني " له وهو كتاب
 جليل حفيظ ذكر فيه مشايخه ومشايخ والده ومشايخ جده يحيى والكتاب المذكور
 عندي وأجزتكم به وما احتوى وقد اتصلت به من طرق كثيرة وأجزتكم أيضا بثبت السيد
 الشريف عيدروس بن عمر الحبشى وما احتوى عليه من الطرائف المصرية وغيرها كما
 أجازنى بذلك وأذن لى بما هناك نطقا وكتابة وهو موجود عندي ، وطبع في مصر
 وهو كتاب عام وسمعنا الكثير منه على مؤلفه ، وأجزتكم أيضا بثبت الشيخ الكبير
 كما أرويه بالاجازة عن سيدنا وشيخنا السيد أحمد زيني دحلان وهو يرويه عن الشيخ
 عثمان بن محمد الدماطى عن الشيخ الامير الكبير وأجزتكم ايضا
 بجميع ما صحت به الاجازة من جمع الطرق الخاصة والعامة كما أخذت بذلك
 عن مشايخ كثيرين يقظة ومنا بالحرمين واليمن ومصر وحضرموت واتصلت بكثير من
 المشايخ الاجله واخذت عنهم بلا واسطة كالشيخ عبد القادر الجيلانى والفقيه
 المقدم محمد بن على الحسينى والشيخ الفزالى والشيخ أحمد بن حجر والشيخ ابن
 العربى وكثير ممن يطول ذكرهم وتعدادهم وان قدر الله وسمع الزمان بينا لكم
 بعضا من ذلك ولا تتسونا من صالح دعواتكم وما اعتذرتكم به من بدة الحال والبسال
 كل معه ما يكفيه وحال املاء الكتاب والمكان ملائ والله يجعل العاقبة للجميع
 خيرا وقد رفعنا حاجتكم الى كثير من اهل التوجيهات وطلبنا منهم الدعاء لكم ولحضرة
 المحب عبد الفتى باشا بيضون البيروتى والسلام عليكم وعلى اولادكم ومن شئتم كيف
 شئتم منا ومن اولادنا ومن لدينا ويقروكم السلام كاتبه محبنا محمد بن عوض ابن
 محمد بافضل وادعوله وللجميع من المستمند للدعاء عنكم والداعى لكم الفقيه
 الى عفو مولاه أحمد بن حسن بن عبد الله بن على المطاسى علوى حرر متصف
 رجب سنة ١٢٢١ (١)

يقول الشيخ يوسف النبهانى " وهو كسائر مكاتبيه املاء لانه رضى الله عنه
 ضرير البصر " وقد صرح بأنه أخذ عن الشيخ عبد القادر وعن جده الفقيه
 المقدم والفزالى وابن حجر وابن العربى رضى الله عنهم بلا واسطة والظاهر

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٦ ، جواهر البحار

الشعائر

انه اجتمع بأرواحهم يقظه كما هو المأمول منه فانه يجتمع كما بلغنى ذلك من الثقات
بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظه وترتيبه اياهم على هذا الوجه الظاهر بحسب .
اجتماعه بهم حسب فضلهم لا يحسب زمانهم رضى الله عنه ونفعنا ببركتهم أجمعين .
وقد أجمعت ساداتنا آل باعلوى وغيرهم من اجتمعت بهم من أهل تلك
البلاد على اعتقاد جلالة قدرة في العلم الناهر والباطن وعلو منزلته في الولاية
وانهم لا يعتقدون أعلى منه درجة من علماء الاشراف فضلا عن غيرهم من أهل
بلادهم ، كيف لا وهو يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة فهذه أعلى درجات
الولاية الخاصة التي لا يصل اليها الا القليل من أفراد الرجال والحمد لله السدى
وصل حبلى بحبله وأسأل الله أن يزيدنى منه امدادا وارشادا في الحال والاستقبال
بجاء حبيبه الاعظم سيد الانام عليه الصلاة والسلام .

ثم ان سيدى العارف بالله السيد أحمد المطاسى المذكور أرسى
الى أجازة ثانية مطولة كثيره الفوائد وهى :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى لا تزال أعلام دينه
مشورة ودرر مواهبه مشورة وقلوب أهل محبته بمشاهدته معمورة حمدا يجتلى القلب
نوره وينبسط مدده على الممنى والصورة ويكون سلما للوصول الى حيث المسامحة
مشكورة والالباب مسرورة والعيون مقرورة حيث يرفع العجب ستوره فى حضراته المحضورة
الفتاح أفعالها والقاسم أنفاله حبيبه المحمود فى كل سورة الذى مناقبه مشهوره
وتعيد بركاته علينا وعلى حبيبنا وصفيها وولينا فى الله الصادق فى المصافاة والموالاة
المرفوع ذكره والمشروع بنور الايمان والعرفان صدره الرضى المزهو بالمعارف والبحر
المتدفق باللطائف محبوب الحضرة المحمدية والمهدى الى الاسماع من أوصافه سببا
الزكية وأمرها السنية الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى جعل الله اتصالنا
به واتصاله بنا محكم الاساس والبناء موصولا بنعيم الاتصال الابدى فى دار الهنا
فى خير لطف آمين .

والى ذلك الجنب الكريم نهدي شريف التعية والتسليم وقد سر قلبى وصول
كتابكم وتلفذ بسماع لذيذ خطابكم المبنى عن خلوص الوداد وقوة روابط الاعتقاد .

ألى ان يقول . . " وقد قبلت اجازتكم لى بالصلاة الفيزية وأفدت بهما
كثيرا منهم فجزاكم الله غنى عنهم وعن المسلمين خيرا وطلبت منى ذكر تفصيل
المرائى بالاجازات التي اجازنى بها أهل البرزخ من الاكابر ومضى لا يحسن
الخوض منه فى هذه الاشياء لما اعرفه من نفسى فى سائر أحوالى وكذلك لا يحسن

ابداء ما هنالك الا ما دعت الحاجة الى اظهاره وامثال امركم لدى من اهم
الحاجات واكبرها ، واستغفر الله من كل ما لا يرضاه وسيرة السلف الصالحين
مبنية على الذبول والخمول ، وستر ما هنالك ان وجد شيء ، وبالجملة فلم
أجيبكم الى ما طلبتم الا اغتاما لدعائكم ولما أرجو من حصول الارتباط بكم ولا سيما
وقد قويت روابطكم بسيد البرية والحصابة الموضية ممن اتبع وانتفع واهتدى وهتدى
وأقول مستعينا بالله تعالى :

لى اجازات كثيرة من علماء الباطن والظاهر وأهل البرزخ وذلك أمر يفوت
الحصر وقد ذهب من حفظي الاكثر وأما ما حضرنى الان فساذكره لكم
انى رأيت الحق سبحانه وتعالى وأمرنى بذكر الهوية (هو) سبعا ولم
يتبين لى هل أراد سبعا من المرات أو من المئين أو من الآلاف وأنا أفعل ذلك
شارة بالأقل وشارة بالأكمل .

وأما سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام فلى منه العدد التام
والنظر الخاص والعام ورأيتته صلى الله عليه وسلم مرات لا تحصى ، منها أنى رأيتته
وهو صلى العشاء وصليت وراءه وسمعت قراءته ورأيتته صلى الله عليه وسلم
مرة أخرى وقرأت عليه قوله تعالى " النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم " النبى
آخر الثلاث آيات (١) قراءة مرتلة وقلت : أهكذا القراءة يا رسول الله قال نعم
ورأيتته صلى الله عليه وسلم وقرأت عليه شيئا من القرآن مرتلا فلما فرغت قرأ بعضدى
بالحدرد والادراج على ما اعتاده أنا من الحدرد والسرعة فى التلاوة وصافحنى صلى
الله عليه وسلم فاما مرات متعددة وعانقنى وسألتته عن المصافحة وفهمت من كلامه
أن المشابكة أكد وشابكنى مرة أخرى وأمرنى بقراءة سورة الواقعة بعد العصر .

ورأيتته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وأمرنى بقراءة ما تيسر من سورة الاخلاص
بعد صلاة الصبح ورأيتته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى لما كنت بالأبطح راجعا
من الحج متوجها الى حضرموت فقال لى تريد الخروج الى حضرموت قلت نعم
فقال صلى الله عليه وسلم استودعك الله الذى لا تضيع وداعته فقلت له قبضت
الوداعة التى لا تضيع ورأيتته مرة مع نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام فى بعض

(١) فى الأصل : الثلاث آيات ، وهو خطأ واضح شاع بين الناس
والصواب : ثلاث الآيات أو الثلاث الآيات . د . عبد السلام سرحان

الصاجد وتلوت عليهما " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك " وخاطبت بها سيد
الوجود صلى الله عليه وسلم " وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم
والتفت الى سيدنا عيسى عليه السلام " وما كنت لديهم إذ يخشون " ووقفت
فقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم " إذ قالت الملائكة " مشيرا الى ان الآية
متصلة المعنى بما بعدها ولم أقف عليها من بعد .

وفترت ليلة عن قيام الليل فرأيت صلى الله عليه وسلم جاتني بمصلى خي
وناولنيه لاقوم للصلاة . ورأيت صلى الله عليه وسلم مرة أخرى بعد أن طالعتنا
في كتاب الأغاني فقال لي طالعتوا في علم التصوف ورأيت صلى الله عليه وسلم
مرة أخرى سقاني عسلا في أناء .

ورأيت في المدينة المنورة كأن الخضر أتى الى وأخذ بيدي ومشى بي الى
المواجهة تلقاء القبر الشريف ونادى يا رسول الله أهذا ولدك قال نعم هذا ولست
محسن ورأيت صلى الله عليه وسلم أخرى وسألت عن الشيخ محيي الدين بن العربي
فقال هو من الجواهر المفردة ورأيت صلى الله عليه وسلم مرة أخرى وعرضت عليه
الصلاة التي فتح الله بها علي فاستحسنها وهي هذه اللهم صلى صلاة
كاملة الخ .

وفي ذكر هذا القدر من المرائي النبوية كفاية ورأيت سيدى عبد الله ابن
عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وطلبت الاجازة فقال ليس في وقتنا اجازة وانما
أعلمك صلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولقننى هذه الصلاة اللهم صل
وسلم على سيدنا محمد زين الوجود وعلى آله خير كل موجود ورأيت سيدنا
على بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال : أريد أن أعلمك هيئة وضع الرداء على
كتفك قلت نعم فوضع طرفا منه على كتفى الايمن مرسلا الى ما يلي الصدر وأدار
الباقى وراء ظهري والى ما تحت الابط من الجانب حتى وضع الطرف الاخر على الكتف
الايسر مشرفا على الظهر ورأيت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فأمرتنى
بتكرير قوله تعالى " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم والله غفور رحيم " ورأيت سيدى القطب عبد الرحمن بن محمد السقاف
باعلوى التريشى فأمرنى بقراءة هذا الورد وأجازنى به وهو للشيخ الفوت أبى بكر
بن سالم باعلوى المتوفى بعينات وهو هذا : اللهم يا عظيم السلطان يا قديم
الاحسان يا دائم النعم الخ .

ورأيت سيدى القلب الشىخ أبا بكر بن سالم باعلوى فأجازنى بأوراده كلها
وسأله هل يثاب قارئ القرآن بقلبه قال نعم ووضع لسانه فى فمى حتى أحسست
بوصوله الى حلقى .

ثم أخذ يورد من رأهم من الأولياء والاقطاب الى أن يقول " وقـرأت
يوما فى كتاب المذهب للشيخ أبى اسحق الشيرازى فرأيت مؤلفه أبا اسحق داخلا
على فأجازنى بمؤلفاته وغيرها وقلت له شكر الله سعيكم فى تأليف المذهب ونصم
ما أودعتموه من البسط وذكر الدليل والتعليل ولكنكم تحكمون القولين أو الوجهين
وتسكنون عن الترجيح غالبا وان طلبة العلم الآن ما تطمئن قلوبهم الا بحكاية
ذلك فقال هذه صنعة لآهل التحكم فى الدين ونحن نقلنا لكم كما نقلنا ورأيت الشيخ
أبا حامد الفزالى وأجازنى بجميع مصنفاته وسأله هل يكفى من يريد الصلاة
بداره الاذان العام بالبلد قال نعم قلت له ان طلبة العلم اذا اخبروا بمسألة
قالوا : من نص عليها ؟ قال اذا سألك فقل لهم نص عليها الفزالى فى الوسيط
فلما انتبهت أخذت الوسيط وراجعت المسألة فاذا قوله فيه " وأولى بأن لا يؤذن
اكثفاء بالنداء العام " ورأيت الامام النووى وطلبت منه الاجازة فأجازنى
بعلم الفقه وجميع كتبه ومؤلفاته ورأيت مرة ثانية وسأله الاجازة فقال أجزتك بشرطها
المعتبر (١) عند أهلها فقلت له ان سلفنا ما يعتبرون الا الارتباط بين المجيز
والمجاز فقال وهو كذلك أجزتك .

ورأيت الشيخ أحمد بن حجر الهيئى المكي فأجازنى بمؤلفاته ومروياته
وأمرنى بقراءة المصنفين فى أورادى فجعلت وردى منهما كل يوم مائة مرة . وفى
رويا أخرى قلت له : قد انتفعت كثيرا بكتاب المذهب ولم تشرحه فقال فيه مسائل
مشكلة فاستفهمت من ذلك فقال بسط النية على تكبيرة ^{الاجزاء} فقلت له سبى عن الله
اذا رأى الانسان نفسه قائما وذاكرا وصامتا وقال الله أكبر فهل كبر نفسه أو كبر
رأسه فسكت فقلت بل كبر نفسه فقال صدقت ورأيت ندم وود لو انه شرخه .

وايضا قولنا بل كبر نفسه هو أن الانسان اذا قام الى الصلاة مستحضرا
النية من أول التكبير الى آخره متصورا أفعال الصلاة ماثلا قلبه بهذه التصورات

(١) أشرنا مرات الى أن هذا التعبير من الاخطاء الشائعة . . لانه نص " اعتبار " معناه : اتعظ . . والصواب : المذكور عند أهلها . او الملاحظ . أو المقيد لها مثلا . . عبد السلام سرحان

والحركات والسكنات كما أوجبها الفقهاء المتأخرون فمن أين حينئذ وجود التمجيس والتكبير لله في قلبه لأنه إنما عظم أفعال نفسه وملاء قلبه بتعظيمها لما رآها به هذه المثابة وأما حقيقة التكبير لله فإن من ينفي عنه هذه التصورات يمتلك قلبه باستحضار عظمه الله وكبريائه وموجود هذا تتفق الوساطة وأما النية فأنهم باشرت لتمييز الاعمال لا غير وأما الذين أخذت عنهم بالاجازة العامة في عالم البرزخ من ذكروا فلا يمكن استقصاؤهم لتقادم الزمان ولما هو غالب على الذهن من النسيان ولم يزالوا بحمد الله يتروءون على إلى الآن واجتمع بهم فسي برازخ الفهوانية والنعيم والحمد لله على الاجازة وتلقين الذكر واللباس والمصافحة والاذن بذلك ممن ذكروا جميعا ومن سيدى ابي العباس الخضر عليه السلام مرات متعددة ومن سيدى الامام على زين العابدين بن الحسين السبط رضى الله عنهم وعلى سيدى أحمد بن عيسى بن محمد بن على العريضى بن جعفر الصادق أول من خرج من العلويين إلى حضرموت وسيدى الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى وسيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى مرات متعددة وسيدى الشيخ محمى الدين بن عربى وشيخ الاسلام زكريا الانصارى وابن حجر المصقلانى وجار الله محمود الزمخشري والشيخ عبد العزيز الدباغ والشيخ على عبد الله باراسى صاحب الخريصة

أجزت الشيخ يوسف النبهانى بجميع لما أجازونى وأمرنى وأذنوا إلى بـه اجازة عامة شاملة وأذنت له أن يجيز ويروى عنى اذنا مطلقا وأجزته ايضا بما أجازنى به مشايخى الذين أدركتهم وانتفعت بهم وأخذت عنهم ثم عـدد مشايخه الذين أخذ عنهم العلم تلقيا أو اجازة ثم يقول " وبالجملة فقد أجزتكم اجازة عامة بكل ما تجوز لى روايته ودرايته من تفسير وحديث وأصول فقه وتصوف والآت ذلك ، وكل مباح يرجع إلى ذلك وفيما لدى ولديكم من الاوراد والاحزاب والاقراء والنفع والانتفاع والافادة والاستفادة وأذنت لكم ان ترووا ذلك وتجيروا عنى من شئتم كيف شئتم والقصد أن يصح الارتباط لنا بيننا وبين من قد ثبتت أقدامهم وعلت همهم وصلحت نياتهم مع السلف الصالح الذى صلحت أحوالهم مع الله ومع خلقه .

ثم ذكر الشيخ أحمد حسن المطاسى ترجمته اجابة لطلب الشيخ النبهانى فذكر تعلمه والعلوم التى درسها وما رافق ذلك من أحوال ومكاشفات إلى أن يقول " وفيما ذكر كفاية وكان اتصالنا بهؤلاء تأما عاما وسمعنا مذاكرتهم فـسى

العلوم الباطنة والظاهرة وما لا ينبغي افشاؤه كما لا يخفاكم والله يحق لنسبنا
ولكم الارتباط بهم في الدارين آمين .

هذا ولم تنزل الآوقات معمورة بالذكر والتذكير والتردد الى الصلحاء والتماس
بركتهم واصلاح ذات البين في هذه الجهات الحضرمية والقيام باكرام الوافدين
وايناس الزائرين ورأيناهم على عادة سلفنا في مطالعة العلوم النافعة من كل فن ما دون
فيه من العلوم الشرعية وآلاتها وقد قرئ علينا وسمعنا منها ما يتعذر حصره
فنذكر لكم بعض ذلك فمن التفاسير التي تأملناها قراءة تفسير الفخر الرازي وتفسير
ابن جرير الطبري والدر المنثور للسيوطي وفي الحديث الامهات الست البخاري
ومسلم والنسائي والترمذي وابوداود والموطأ وشرح مسلم ومسنند الامام احمد ومسنند
الشافعي ونيل الاوطار للشوكاني والمنتقى لابن الجارود والاسماء والصفات للبيهقي
وكنز العمال للمتقي ومختبه والخصائص الكبرى والاتقان للسيوطي واليواقيت
والجواهر للشعراني وتيسير الوصول للديلمي وزاد المعاد لابن القيم والاحياء
والرسالة والمعارف وقوت القلوب والاذكار والايضاح والضمهاج والمهذب والتبسيط
والوجيز ونور الابصار مختصر الانوار من الروضة والمحزر الى البيهقي والام ومختصر
المزني والبلغة في اللغة والمزهر ومقدمة ابن خلدون وتأليفكم حجة الله على
العالمين ، وسعادة الدارين ووسائل الوصول وشواهد الحق والأساليب البديعة
والمجموعة النبهانية ومختصر المواهب وأفضل السلوات وبقا الرسائل وغيرها مما
لا يحضرني ذكره والقراءة مستمرة في الكتب المتداولة في فن الفقه والنحو وكذا المراجعة
اما كتب المناقب والتراجم للسلف فشيء كثير .

وكل هذه الكتب موجودة عندي بحمد الله تعالى مع كتب جمة غيرها ممن
التفاسير وكتب الحديث والتصوف والفقه واللغة والادب ونأمر من يمثل أمرنا
أن يقتصر من علم الادب على النثر في المجموعة النبهانية وشرح ديوان ابن الفارض
ومقامات الحريري والمقد الفريد ونحوها مما لا محذور فيه وأما غيرها فبالسلف
الصالح يعرضون عنه ولا يأخذون من علم الاله الا ما يقوم اللسان ويرفع سماجحة
الطبع من الانسان فهذا ما يسر الله ذكره مع تبلبل البال والاشتغال بالصالح
الحال والمحال .

وفي شريف علمكم ما يغنيكم عن الاعتذار من الزمان وأهل الزمان ونسبنا
الله حفظ الاسلام والايمان وحسن الختام وان يجمعنا بسيد الانام في اليقظة
والمنام وفي دار السلام في خير وعافية آمين .

واستروا ما رأيتم من خلل وزلل ، وما رأيتم اصلاحا او عدم ذكره فاذنست
لكم في ذلك والدعاء لكم بذيول ومنكم مستول ، ونسال الله القبول ، وصدر اليكم
جبة اللباس وهي التي كانت ملبوسى بمكة المشرفة في العام الماضي وقت ورودى اليها
للحج وجعلنا مع هذا الكتاب بيد محبنا الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر
بأديب الشهابى وهو مسافر الى عدن ، ألزمناه بارسالها اليكم وليكن الجواب بوصولها
في طريقة ونحن لكم داعون وذاكرون والسلام عليكم وعلى حاضرى حضرتكم ومن شملته
دائرة ودكم منا ومن لدينا من الأولاد وذوى الوداد .

حرر فى ٢٧ شوال ١٣٢٦ هـ .

قال ذلك وأمله الفقير الى عفو الله السيد أحمد بن حسن بن عبد الله
المطاسى المقيم ببلدة حريضة انتهى مكتبته المشتل على اجازته الفريدة رضى
الله عنه وتحت اسمه الشريف ختمه الكبير وهذه عبارته " المواقف برب الناس المتصيب
أحمد بن حسن بن عبد الله المطاسى ١٣٢٥ هـ . (١)

هذه اجازة للشيخ أحمد حسن المطاسى العلوى التى يعثر بها وهى
جامعة لكثير من العلوم التى حصلها الشيخ المطاسى وفيها كثير من الأحوال
والكشوفات التى حصلت له أما رؤيته الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة فقد أيسدها
الشيخ النبهانى بما توصل له من بحث . (٢)

وفى جواهر البحار أيضا ذكر الشيخ النبهانى حصوله على اجازة بالصلاة
الفيضية للشيخ محى الدين بن عربى يقول الشيخ النبهانى " وانى كما أروىها
أى الصلاة الفيضية - كسائر مؤلفاته - أى الشيخ محى الدين بن العربى
بأسانيد الى أروىها أيضا بواسطة رجل صالح من أهل دمشق الشمام
رواها عنه فى المنام وهو سيدى السيد الشريف أحمد فروع السلالة الطاهرة النبوية
عبد الرحمن بن السيد شاكربن السيد أحمد الشوكى الدمشقى فقد أخبرنى

(١) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار ج ٤ ص ٣٢٩ - ٣٤٣

(٢) راجع ما كتبه الشيخ النبهانى فى الباب التاسع فى الكلام عن رؤيته

النبى صلى الله عليه وسلم يقظة وما " كتاب سعادة الدارين ص ٤٠٩ -

٤٦٥ كذلك راجع ما كتبه الملامة أبى خلدون فى مقدمته بخصوص ما يطلع
عليه بعض الناس من مدارك الغيب ص ٩٥ - ١١٩ ، ١٠٩ - ١١١ خصصها
بالكلام على مكاشفات الصوفية .

ونحن في بيروت في منزل الحاج خضر بك السجعمان شقيق زوجتي صفية الواقع على ساحل البحر في جوار رأس بيروت بأنه قبل ثلاثين سنة وكان اذ ذاك في أول بلوغه وعمره خمس عشرة سنة رأى وهو في بلدة دمشق الشام في ضامه الشيخ الأكبر سيدنا محيي الدين بن العربي رضي الله عنه صلى الفجر في المحراب الموجود في الحجرة التي فيها ضريحه المبارك في سفح جبل الصالحية من دمشق وهو بقيافة رجل مغربي قال السيد عبد الرحمن فاقتديت به وهو بهذه الصفة مع جماعة ومعد تمام الصلاة وانصراف الناس بقيت عنده وحدي بنية أن أسأله عن كيفية تسبيح الحصى في كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبعد أن بين الامام الأكبر كيفية ذلك له - ثم قال الامام الأكبر اتريد أن أعلمك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثوابها بمائة الف صلاة فقال الامام الأكبر اسمع : اللهم افض صلواتك الخ ثم سمعها له الامام الأكبر مرتين حتى حفظها "

يقول الشيخ النبهاني " وقد أجازني صاحب هذه الرؤيا السيد عبد الرحمن المذكور بالصلاة الفيضة المذكورة وقرأها على مرتين في مجلسين مختلفين أولهما في احدى ليالي التشريق وثانيهما في بيتي ببيروت في الثالث والعشرين من ذي الحجة المذكور أي بعد ذلك المجلس بنحو عشرة أيام فأجاز بها أيضا ولدي محمد شمس الدين ووالدته صفية وبناتي تقيسة وفاطمة وعائشة أنبتهم الله نباتا حسنا في يوم الخميس ٢٠ صفر ١٣٢٧ هـ وقد اشتملت من كمالات سيد المخلوقات على ما لم يشاركها فيه غيرها من السلوات ولا يعلمه الا مثل سيدي محيي الدين من أكابر العارفين الذين أطلعهم الله على ما لم يطلع عليه غيرهم من علو قدر سيد المرسلين (١) .

وحصل الشيخ النبهاني على أجازة من الشيخ عبد الله بن السيد درويش الزكاي الشهير بالسكري من ذرية العارف الشهيد أحمد الرفاعي جاء فيها حضر عندي الشيخ يوسف أفندي النبهاني فحدثني بحديث الرحمة المسلسل بالاولية الحقيقية وأسمعتة اياه وهو أول حديث سمعته مني " ثم يذكر الرواة حتى يصل الى راوي الحديث عبد الله ابن عمرو بن الصام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
" الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "

الى ان يقول " ثم اذنت للمجاز ان يجيز به من هواهل لذلك " وكذلك صافحته يكفي هذه التي صافحت بها شيخنا فقيه النفس من يكنى بابي حنيفة الصغير سيدي الشيخ سعيد الحلبي .

ويستمر الشيخ السكري في رد من صافحهم حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول الشيخ النبهاني " فحينئذ تكون يد العبد الفقير عبد الله الركابي الشهير بالسكري حادي عشر يدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرويه بسند آخر متصل بالمعمر أبي العباس الملقب (١) .

وقد أورد الشيخ النبهاني في " جواهر البحار " أنه تتلمذ على العلامة الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر الكتاني " قال " وقد حضر الى بيروت فسي شهر رمضان سنة ١٢٢٦ سيدي الامام العلامة الكبير السيد الشريف الشيخ محمد بن الامام العلامة الشهير سيدي الشيخ جعفر الكتاني القاسي قادم من المدينة المنورة بعد حجه من العام السابق واقامته في جوار جده الاعظم صلى الله عليه وسلم عدة شهور يقرأ الملم وينفع الجمهور وكان حضر الى بيروت قبل ذلك بثلاث سنوات مع جملة اولاده وتلاميذه وشرفني بزيارته لي في منزلي مع جماعته وحصلت لي بركته وبركتهم فلما بلغني قدومه الى بيروت في هذه المرة زرته في محل اقامته وفزت بتقبيل يده ودعوته الى منزلي فأجاب دعوتي واستفدت من علمه وبركته فوائد جمة أجلبها أنه عانقني وقال " أعانقك كما عانقني سيدي أحمد بن حسن المطاسي باعلوي في المسجد الحرام في العام الماضي وقال لي أعانقك كما عانقني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم شابكني بأصابع يده اليمنى سيدي محمد جعفر الكتاني وقال لي أشابكك كما شابكني السيد أحمد حسن المطاسي وقال لي أشابكك كما شابكني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ناولني السيد محمد بن جعفر الكتاني سبحة وقال لي أناولك السبحة كما ناولنيها سيدي السيد أحمد بن حسن المطاسي وقال لي أناولك السبحة كما ناولنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) جواهر البحار ج ٣ ص ١٩٣ - ١٩٥ .

والدراعية التي تدعى بالرفيع المريد
الطويل عن فن الإجازة

ثم ان سيدى محمد بن جعفر الكتاني أجازني اجازة تامة بمؤلفات ومروياته
وكان قد سبق اجازته لي في الاجتماع السابق ومؤلفاته رضى الله عنه كثيرة نافعة
جدا وهو ممن سمعت منهم أن شيخنا المذكور السيد احمد بن حسن العطاسي
يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة رضى الله عن الجميع (١)

كما حصل الشيخ النبهاني على اجازة من الشيخ محمد الطيب جاء فيها
بمسند مقدمة طويلة " كما كان صلى الله عليه وسلم
يأمر كلا من أصحابه بما يناسبه من شرعه الشريف وقد توهم من توهم من علماء
الظاهر أن هذه الأوامر المختلفة هي خلائقات فاحتاجوا الى تكلف الجمع بينها
مع أنه صلى الله عليه وسلم أمر كل واحد بما يناسبه كما تقدم ليس الا ، فخذوا
أعانتكم الله ببذل النصيحة للامة والدعوة الى الله تعالى بما اراكم الحق سبحانه
على حسب الوقت والحال فان ملا يدرك كله لا يترك جله والله ينفع ويجزى كل واحد
بقصد نيته ، هذا واني قد أجزتكم ببذل النصيحة ودوام الدعوة الى الله سبحانه
بحسب الوقت وما يقتضيه الحال كما أجازني به مشايخي قدس الله أسرارهم اجازة -
عامية مطلقة أعانتكم الله وقواكم واني أرى ان رفع شبهة من قلب معتقدها وتبديل
بدعة بسنة مأثورة وهدى نبوي خير من الدنيا وما فيها كما أشار الى ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " لأن يهدي الله على يدك رجلا واحدا
خير لك مما طلعت عليه الشمس والموء من القوى خير من الموء من الضعيف " فاذا
حقنا الله بحقائق أهل القرب وسلك بنا مسالك أهل الجذب أنفقنا ما افناض
الله علينا على عائلة المريدين لينفق * ذو سعة من سعته ومن قد رعى الله
رزقه فينفق ما اتاه الله والسلام عليكم مكررا ومعادا ورحمة الله وبركاته حرر في التاسع
من جمادى الثانية سنة ثلاث وثلاث مائة والف كتب على املاء خادم الفقراء محمد
الطيب بن محمد المبارك المغربي الحسيني غفر الله له ولوالديه
وللمسلمين آمين (٢)

(١) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٣

(٢) جواهر البحار ج ٣ ص ١٩٣ .

وحصل الشيخ النبهاني على اجازة من الشيخ محمد المبارك الحسيني
الجزائري جاء فيها " قد اجازني سيدى الفاضل العالم العامل السيد الشريف
محمد بن المبارك الحسن الجزائري بكتاب روح القدس في محاسبة النفس بحق اجازة
اخيه العارف بالله سيدى الشيخ محمد الطيب له بحق قراءته هذا الكتاب من
أوله الى آخره في المنام على مؤلفه امام العارفين سيدى محى الدين بن المرسي
وهو يذكره فيه مذاكرة تأخذ بالاسباب (١) بالارباب

هو لا هم اساتذة الشيخ يوسف النبهاني سواء اكان تلقى عنهم عن
طريق التعليم كما في الازهر او عن طريق الاجازات بالمشاهدة او المراسلة
ومن هذا يتضح لنا أنه قد تلقى العلم عن أكبر علماء عصره وأن منهجه الديني
كان صوفيا مشاركا في أعمال الحياة سواء بوظائفه الحكومية أو عن طريق معالجة
مشاكل العصر سواء المشاكل الاجتماعية كما في مؤلفاته ورسائله أو بالتصدي للموثرات
الاجنبية التي كان يخاف منها على عقيدة المسلمين وأما التلقى عن طريق الاجازات
فقد كان شائعا في عصره والاجازة لا ترسل الا لمن يعرف في التقوى والاصلاح
مع الاهلية العلمية لتحمل ما يجاز به ولو اني ذكرت الاجازات تمامها لطال البحث
ولكني أثرت ان اشير الى نص الاجازة بالذات مكتفيا عما يسبقه من مقدمات او يتلوها
من ختام مع أن الاجازة بكل ما فيها تدلنا على منزلة المجيز وعلومه وعلى منزلة
المجاز ومكانته من شيخه صاحب الاجازة . وهي صالحة لوجعت . لتكون كتابا
في أساليب الانشاء (٢) .

أما اجازة الشيخ احمد حسن المطاس فقد ذكرتها بتمامها ما عدا بعض
الادعية والصلوات خوف الاطالة ومن يرغب الاطلاع عليها فليراجع المصدر وأؤكد
ما ذكرته سابقا من اني ما ذكرتها بتمامها الا لان الشيخ يوسف النبهاني قد

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٥٣

(٢) وهي شبيهة في شكلها وموضوعها بكتاب الرسائل الادبية في الرسائل الاحدية
لمؤلفه الشيخ عبد الهادي ابن السيد رضوان نجا الابياري مع الشيخ
ابراهيم الاحزاب حيث كانا يتبادلان الرسائل نظما ونثرا ولكن الاجازات تعتبر
من باب الرسائل البعيدة التكلف حيث لا يقصد منها الا ما تتضمنه من فوائد
علمية وذكر مكانه المرسل والمرسل اليه .

أفرد لها مدحا غلصا يفوق غيرها وقد فرح تبها ومعرفة صاحبها فرحا شديدا
بالإضافة إلى أنى وجدت أن هذه الإجازة جامعة لمختلف العلوم العقلية والنقلية
والنقلية واللاهوتية كما أن فيها من الروحانيات والمكاشفات التي تعطى صورة واضحة
لأفكار ومعتقدات الشيخ يوسف النبهاني ولعل هذا هو ما حبيبها إليه من بشتاب
حكاية المثل .

تلاميذه :

لم يشتغل الشيخ يوسف النبهاني بالتدريس حتى يكون له تلاميذ أما
تدريسه في عهده واجزم فلم يعتمد دروسا في الوعظ والارشاد ولكن الذين طلبوا
الإجازات منه في مؤلفاته وهو حياته هم في الحقيقة تلاميذه فقد ذكر الشيخ ^{وذكر}
يوسف رحمه الله في كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " (الفصل
الثاني) حاله مع تلاميذه فقال : " في ذكر بعض مكاتيب وردت لي من
بعض العلماء والاولياء من سادات أهل البيت رضی الله عنهم ونفعنا ببركاتهم
ولم أذكر مكاتيب سواهم من العلماء سوى ما ورد لي بطلب الإجازة ولم
أجيبهم إلى الآن أما من أجبتهم فلم أر حاجة لذكرهم هنا مع كثرتهم وقد
أحببت أن أذكر بعض ما ورد لي من مكاتيب من أولئك السادة الكرام الذين
لم أجمع بأحد منهم إلى الآن سوى سيدي السيد محمد عبد الحسي
الكتاني فقد حضر إلى بيروت راجعا من الحج في أثناء تأليف هذا الكتاب
ولو اجتمعت بهم لخف عليهم الأمر كثيرا وراوى كما قيل " سماعك بالمعيدى
خير من أن تراه " ولكنهم إنما مدحوا الكتب واثموا عليها لما اشتملت
عليه من العلم النافع وأكثرها في الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد
تفضلوا بمكاتيبهم هذه بدون استدعاء ولا طلب مني لشيء سوى إجازة
سيدي العارف بالله السيد أحمد بن حسن المطاس ، فاني طلبتها منه
مع أنه هو رضى الله عنه الذي تفضل أولا بمكاتيبى من قبل أن أكتبه فله الفضل
أولا وأخيرا وقد ذكرت مكاتيبهم رضى الله عنهم لأعلى سبيل الافتخار وإن كسطن
يحق لي أن افتخر بها لأظهار نعمة الله علي في ذلك ولاحق ما قلته من أن
السبب الحقيقي هو خدمته صلى الله عليه وسلم وهي التي اقتضت محبته
هوؤلاء السادة الأكابر رضى الله عنهم ولكون ذلك من أقوى المبررات ففى
هذه الكتب التى يهمنى جدا أقبال المسلمين عليها وكثرة انتفاعهم بها ولا شك
أنهم تزداد رغبتهم فيها باطلاعهم على هذه المكاتبات مع هؤلاء السادات .

اعلم قبل الشروع في ذكر مكاتيبهم أن منها ما يشتمل على الثناء الجميل في حق هذا الفقير بدون استحقاق مني لذلك حقيقة وإنما هو من حسن ظن أولئك السادات وأثبات ذلك مني في كتابي وإن كان قبيحا هو من قبيل قولهم ما دح نفسه يقرئك السلام إلا أني اقتديت ببعض الذين اثبتوا ذلك في مؤلفهم لحسن نياتهم مع اني حذف منها ألفاظا كثيرة من الاطراء والثناء الزائد الظاهر كذبه وعدم موافقته للواقع وحقيقة الامر دائما حملهم عليه حسن الظن وقد أبقيت بعض الالفاظ التي تحتل التأويل وأسأل الله العفو والعافية وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد جعلت لما ورد من كل سيد من المكاتيب فصلا خاصا (١) لقد اشرت في ذكر تلاميذه ألا أذكر الرسائل التي وردته لطلب الاجازة بتطامها خوفا من الاطالة واكتفيت بذكر غرضها وتاريخها واسم عنوان مرسلها مع ما تحمله في مقدمتها وخاتمتها من التبجيل والاحترام والتقدير للشيخ يوسف النبهاني منوهة بفضلها وقبول مؤلفاته في بلادهم التي عن طريقها عرفوا الشيخ النبهاني . والكثير منهم يشرح حالة وطلبه للعلم ومما حصله من العلوم النقلية والعقلية والاثنا وذكر مشايخه وكأنه يوضح اهليته لتلقى الاجازة .

وقد جعل الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله لكل رسالة فصلا خاصا بها وأنا أبقى هذا الترتيب على حاله كما أراد الشيخ النبهاني .

فصل - ورد مكتوب من السيد عمر بن محمد بافقيه باعلوي وهو مقيم في الهند يطلب فيه الاجازة من الشيخ النبهاني ويعلمه عن وصول كتبه وقراءتها من جميع اطراف تلك الجهات والرسالة محررة يوم الخميس ٢٤ شوال ١٣١٨ في بندر كليمو سيلان وأشار الشيخ النبهاني الى ورود عدة مكاتيب منه والمكتوب الاتي منها يذكر فيه وصول الكتب التي ارسلت

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٣

له ثم يطلب قائمة بمؤلفات الشيخ النبهاني لشرائها وذكر عنوانه في سنخافوره
هناى ستريت نورة ٢٩ حرر في الجمعة ٢٩ رجب ١٣٢٠ .

وأورد الشيخ النبهاني مقتطفات من كتب مخطوطة أرسلها له السيد
عمر بن محمد بافقيه باعلوى وهى :

الكتاب الاول :

(ايضاح اسرار علوم المقربين) والكتاب فى حجم مائه ورقم
الكتاب الثانى :

(رشفات شرب اهل الكمال ونسبات قرب اهل الوصال) نظم السيد
الشريف الفاضل الملامة عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد
بافقيه باعلوى .

الكتاب الثالث :

(النفحة المدنية فى الاذكار القلبية والروحية والسرية فى الطريقة
العيدر روسية)

للمعارف عبد الرحمن ابن مصطفى العيدر روسى باعلوى .

الكتاب الرابع :

(غاية القرب فى شرح نهاية الطلب) :
للسيد الشريف محيى الدين عبد القادر بن الشيخ العيدر روسى

الكتاب الخامس :

(شرح صلاة سيدى أحمد عبد الباقى) :
للسيد عبد الرحمن ابن مصطفى العيدر روسى .

الكتاب السادس :

(الجزء اللطيف فى بيان التحكيم الشريف) :
للشيخ ابن العيدر روسى المدنى .

الكتاب السابع :

(القول الجميل فى بيان سوء السبيل) :
للشيخ أحمد شاه ولي الله المحدث .

الكتاب الثامن :

يسمى باسمين الاول (سلسلة الذهب) والثاني (اسباب التوفيق
في أرواد الطريق) للشيخ محمد البهنسلي .

الكتاب التاسع :

(كتاب السير والسلوك الى ملك الملوك) :

للشيخ قاسم الخاني الحلبي .

الكتاب العاشر :

يقول الشيخ النبهاني " ولم نعلم اسمه لكون أوله فيه تقطيع
من الدور للشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن يونس المقلب أحمد
بن علي الشناوي .

الكتاب الحادي عشر :

عقد اليواقيت الجوهريه وسط الحين الذهبية يذكر طريق
السادات العلوية للشيخ عيد روسي ابن عمر بن روسي
الحبشي المصلي .

(فصل) " ورد عدة مكاتيب من السيد (عبد الله بن عبد الله المطاسي)
المقيم في بندر بتيماوي من البلاد الجاوة بطلب الاجازة . المكتوب محرر
في ١٤ شعبان ١٣٢٠ .

(فصل) ورد مكتوبان من السيد علي بن عبد الرحمن الحبشي الحسيني
يطلب الاجازة لبعض الاوراد والصلوات حرر في ٦ شوال ١٣١٩ هـ .

(فصل) ورد مكتوب (السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل) المقيم
في بلاد الجاوة حرر في بتيماوي ٣ رجب ٣٢٣ هـ . ذكر في رسالته قراءته
لكتب الشيخ النبهاني التي وردته وكتب الشيخ حسين الجسر والشيخ
رحمة الله البهنسلي .

(فصل) وردت مكاتيب كثيرة من السيد لا عقيل بن عثمان بن عبد الله
بن عقيل مقيم في بلدة جاوة مدينة تيمور كوقع يطلب الاجازة في مؤلفات
النبهاني حررت في ١ شوال ١٣٢٢ ومما جاء في رسالته " سيدي
اني سمعت غير مرة والدي المذكور يقول ان هذا الشيخ يوسف النبهاني
له منة على الامة المحمدية عظيمة بقيامة بها يهبط ويدحض حجج أعدائها

ونحن معشر أهل البيت أحق بقبول مؤلفاته ولاقبال عليها وعليه وكان يقول كثيرا من هذا وكان مفتبطا بكتابكم حجة الله على العالمين وكثيرا ما يسبق على لسانه فيقول هاتوا كتاب رحمة الله على العالمين .

(فصل) ورد كتاب من (السيد حسن بن علوي بن عبد الله بن شهاب الدين العلوي الحسيني) يطلب فيه الاجازة تحريرا في بندر سنغافورة في ١٧ ذى القعدة ١٣٢٢ .

(فصل) ووردت رسالة من (السيد أحمد أدريس الاهدلي يطلب فيها اجازة عامة حرر في ٢٨ محرم ١٣٢٣ هـ يقول الشيخ النبهاني رحمه الله واما ما ورد من علماء الاشراف في المغرب فضعهم (السيد الشريف محمد المكي بن عزوز التونسي في غرة جمادى الثانية ١٣١٢ هـ وأرسل له رسالة ثانية من تونس في ١٥ ذى الحجة ١٣١٣ جاء فيها ردا على أبيات ذكرها النبهاني في سعادة الدارين بالابيات التي وردت في الرسالة هـ : -

السيد الهادي جاز المؤلف خيرا ما	تجاري به أهل الافادة يابري
وسارك له في العمر واجمل جواره	لاحد كي يرتاح بالدار والجار
امام تحرى الهدى في قرب مسلك	فأبرز للاخوان مشكاة أنوار
شفقنا به حتى اتخذناه وردنا	صبوها غبوقا في عشي وابكار
به ابتهج الاسلام والعلم والحجبا	فذكراه في الافاق افخر معطار
وكم من يد بيضا ليوسف ابزرزت	تصانيف في الاسلام ينبوعها جاري

ثم طلب الاجازة من الشيخ النبهاني . يقول الشيخ النبهاني "
وفوق ذلك هو شريف من الاسالة الطاهرة وانا لست بشريف ولذلك ما طلته فسي
الاجانة فراجعني مرارا حتى أجبتة وانا في غاية الحياء .

(فصل) وورد مكتوب من السيد محمد العروسي بن يوسف السهميل الشريف يطلب الاجازة المطلقة في الحديث لان النبهاني الف في الحديث حرر في ١٠ شوال ١٣٢٢ هـ .

(فصل) ورد مكتوب من السيد محمد عبد الحى ابن السيد عيسى الكبير الكنانى يطلب فيها الاجازة لنفسه وللسيد محمد بن أحمد بن الشريف العلوي الاسماعيلي واخرى لولده محمد عبد الحى وبقية اخوته واولادهم واحفادهم .

ثم يقول السيد محمد عبد الحى الكتانى (وقد كنت عولت على ان -
استجيز لكم ما هنا من خالى مولاى جعفر شيخ الديار المفريية ووالسدى
الامام مسند العصر وبركته الشيخ عبد الكبير فأحجيت ريشا برد على اذنكم
المجانب الطيبى فان تفضلتم باستعلاء الاجازة لنا من الشيخ البيطار وابسن
عابدين فيا حبذا أو نعتت الفائدة الخ) حرر فى يوم
الجمعة ٤ ربيع الثانى ١٣٢٣ وقد اجابه الشيخ النبهانى وطلب الاجازة
منه .

كما ذكر الشيخ النبهانى أيضا انه وردته رسالة من الشيخ محمد عبد
الكبير الكتانى منذ عشر سنوات يمدح فيها مؤلفات النبهانى وخصوصا
طيبة الفراء وقد فقدت الرسالة منه .

(فصل) وردت رسالة من السيد الشريف محمد يحيى المقل الحسينى
القاسى فى مدينة فاس وفيها اثنى على الشيخ النبهانى وايقبه تناسا
جميلا حرر فى مدينة فاس الجمعة ٢ ذوالحجة ١٣٢١ هـ .

(فصل) ورد مكتوب من (السيد رشيد الحسينى الملقب عراقى -
فى ١٤ رمضان ١٣٢٣ وما جاء فى رسالته " وبعد فأنا اثنى على
الشيخ النبهانى وعلمه مقدارا تأليفه ولا شك أن والدك
له بركات قال الله تعالى وهو أصدق القائلين " والبلد الطيب يخرج
نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا تكذا (١) وهو يراسل
النبهانى لما سمعه عنه من أخبار صالحه .

(فصل) ورد مكتوب من السيد محمد البخارى بن الصادق بن المبارك
الشريف العقبى الجزائرى يطلب الاجازة قسنطينة دائرة بسكرة الجزائر
فى ٢١ شعبان ١٣٢٣ (٢)

(١)

(٢) لباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٦ - ٣٧٧ - بالتصرف .

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " وقد ورد لي أيضا
في هذا المعنى مكاتيب كثيرة من العلماء الاشراف وغير الاشراف سوى
من ذكرتهم وكثير منهم طلبوا الاجازة فكتبتهم لهم في آخر ثبتي " هادي
المريد " وأرسلتها اليهم مع البريد ولم احفظ مكاتيبهم لاني اجبتهم
عنها ولم اكن في نية اثبات هذه المكاتيب في مؤلف كما فعلته الآن ولو
خطر لي هذا اولا لحفظت جميع المكاتيب التي وردت لي في هذا الشأن ولكن
الخيرة فيما اختاره الله وهكذا الامر كان ولما كان بعض هؤلاء المذكورين
هنا قد طلبوا الاجازة ولم يكتسبوا عنها جواب بعضهم ويلزمني أن اجيزهم
الآن اجابة لطلبهم وتحقيقا لاجازاتهم فأقول قد أجزت بلساني وقلمي
ساداتي المذكورين الطالبين للاجازة ومن يقبلها من أصحاب المكاتيب
المذكورة وان كان جلمهم او كلمهم بمنزلة مشايخي بأن يرووا عني جميع مؤلفاتي
وما أجازني به مشايخي وكل ما اشتمل عليه ثبتي هادي المريد الى طرق
الاسانيد " وما الفته اورويته بعد طبعه ونشره اجازة عامة شاملة للجميع
مؤلفاتي ومروياتي التي اشتمل عليها الثبوت المذكور وغيرها وساداتي
الاتي ذكر مكاتيبهم مع الذين طلبوا لهم ذلك معهم في المكاتيب ولهم ولم
اجبهم عليها الان نفعتني الله بهم اجمعين وحشروني اياهم في زمرة
المحبين بسيد المرسلين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأوليهم ونفسي
وكل مسلم بتقوى الله تعالى وأقوى أسبابها بعد الايمان وهو حب
أهل بيت النبوة وكرامهم بالمال والحال والاقوال والافعال لله ورسوله
لا يتصد ان يكافئوه على فعله الجميل ، ومن دقق في قوله تعالى " قل
لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى " علم ان مودتهم لا يفضلها
بل لا يساويها شيء بعد الايمان من الاعمال الصالحة على الاطلاق
لجعلها اجرا على تبليغ الرسالة " (١) .

وأما مكاتيب غير العلماء الاشراف :

فيقول الشيخ النبهاني رحمه الله عنها وأما مكاتيب غير العلماء
الاشراف التي وردت لي في هذا الشأن واجبتهم عنها فلم اذكر منهم

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

منها شيئا هنا لأنى لم أر لذلك ضرورة وقد مضت وانقضت هي وأجوتها
 * غير أنه رحمه الله يذكر رسالة الشيخ رضى الدين بن فخر الدين عضو
 الجمعية الإسلامية ببلدة أوقا في البلاد الروسية في ٢٨ ذى القعدة ١٣١٩
 يذكر فيها وصول كتب الشيخ النبهاني إليها ومطالعتهم فيها ويطلب
 الاجازة منه . كما يذكر رسالة وردت من الشيخ عبد الله بن غازى المكي
 مولد الهندى أصلا يطلب الاجازة ويذكر العلوم التى حصل عليها والمشايخ
 الذين درس عليهم ويطلب الاجازة ايضا للشيخ محمد عبد الرحمن المصروف
 بخادم حسين .

ويذكر رسالة وردت من الشيخ أحمد أبى الخير بن الشيخ عثمان جمال
 المكي الحنفى يطلب الاجازة ويذكر شيوخه والعلوم التى حصل عليها فى
 غرة ربيع الثانى ١٣٢٠ هـ .

(فصل) وورد مكتوب من السيد محمد بن اسماعيل الكنهسارى
 ومحمود بن أحمد حسن فضيل من علماء اليمن يطلبان فيها الاجازة فى
 رسالة واحدة في ٢٧ رجب ١٣٢٠ هـ وطلبا الاجازة ايضا لكل من عبد الله
 بن حسين الفخيمى ومحمد بن حسن البطاح والشيخ احمد الفخيمى وكلهم
 من مدينة زبيد .

(فصل) وورد مكتوب من الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ محمد
 الطاهر الفهدى الفاسى يطلب فيها الاجازة له ولابناء أبيه واحفاده فى
 يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية ١٣٢٣ هـ (١) . ومن الذين تتلمذوا
 على الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله فضيلة الشيخ عبد المقصود محمد
 سالم فقد قابلته في جماعه تلاوة القرآن الكريم - قرب مقام السيدة زينب
 وقد اجتمع بالشيخ النبهانى وحادثه وقد اثنى على الشيخ النبهانى
 لاخلاقة النبوية وقال من ينظر اليه لا يشك في أنه من المقربين وقد ذكر
 الشيخ عبد المقصود أنه تتلمذ على الشيخ النبهانى في كتابه (في ملكوت الله)
 جاء فيه " وقد تلقيتها - الاسماء الادوية - من الحارث بالله
 الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى صاحب التأليف المشهورة وكان

(١) أسباب التأليف من العاجز والضعيف ص ٣٨١ - ٣٨٢ - بالتصريف .

ذلك عام ١٩٢٠ عند ما قابلته في مطبعة الحلبي بجوار الازهر الشريف
فقد عرفني به صاحب المطبعة وقتذاك حيث كان في ذلك الحين يزور القاهرة
وكنت شغوفا بمطالعة كتبه الكثيرة فاذن لي بقراءة كتبه ومنها هــــــــ
(الاسماء الادريسية) واهدى لي الكثير من مؤلفاته ودامت صداقتنا
من ذلك الحين فظل يكاتبني واكتبه حتى انتقل الى رحمه الله تعالى فسي
عام ١٣٥٠ قدس الله روحه وانا ر ضريحه . واشهد الله انه اول موجبه
لي من الشيوخ الذين قابلتهم في مستقبل حياتي وكان لقائي له سببا
في تحول مجرى حياتي الى ما هي عليه الآن اسكنه الله
فراديس الجنة ، (١)

وأجاز الشيخ يوسف النبهاني الشيخ احمد بن حسن العطاس السالف
الذكر ((بالصلاة الفيزية)) فأجابه الشيخ العطاس بالقبول جاء في
رسالته " وقد اجتمعنا ببلدة سيون بأخينا الحارث بالله
تعالى الامام المهام السيد علي بن حبيب محمد بن حسن الحبشي وكثير
من فضلاء المصريين وجرى ذكرك لديهم وتلونا مکتوبكم عليهم فطربيت
أرواحهم وتضاعفت افراحهم والقي الله محبتكم في قلوبهم الطاهرة العاصرة
ومحروكم صالح الدعاء وجميل الذكر والثناء فهنيئا لكم بذلك وقد قبلت
اجازتكم لي بالصلاة الفيزية وافدت بها كثيرا منهم فجزاكم الله عني وعنهم
وعن المسلمين خيرا " (٢)

ومن اجازه الشيخ النبهاني رحمه الله الشيخ امين البيطار الشامي
اذ يقول " واني طلبت من المذكور - النبهاني - حفظه الله تعالى
اجازة بقراءة كتابه الانوار المحمدية فاني قرأته في الجامع بعد صلاة الظهر
فاجازني حفظه الله تعالى به والجميع مروياته جزاه الله عني خيرا في شعبان
١٣٦٥ هـ . (٣)

ومن اجازه الشيخ النبهاني ايضا الشيخ عبد الواسع بن يحيى
الواسعي حيث يقول " اجازني - أي الشيخ يوسف النبهاني - في الحسرم

(١) في ملكوت الله مع أسماء الله الحسنى للشيخ عبد المقصود محمد سالم ص ١٣٩-١٤٠

(٢) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٣٠

(٣) هادي البريد الى طريق الاسانيد ص ١٤٠

المدنى باجازه عامة بما يشتمل عليه ثبته المسمى هادى المريد الى طريق
الاسانيد * (١).

هو^١ تلاميذ الشيخ النبهاني الذين ذكرهم في كتبه مع انه اهل الكثير
من الرسائل التي كانت ترد^٢ من غير علماء الى البيت ولم يثبت للاحتفاظ بها
لتجمع لنا الكثير من هذا التراث ولكن زهد^٣ من اظهار كل ما يظهر
فضله وعلمه وكان الدافع الاساسي لاهماله هذه الرسائل * هذا الزهد
الذي كان مسيطرا على الشيخ النبهاني أدى الى ضياع الكثير من تراثه
الذي لو اهتمدنا اليه لاستطعنا ان نرسم صورة فكرية اكثر عمقا ووضوحا
وسوف يظهر هذا لنا واضحا عند الكلام على شعر النبهاني حيث ان ما قاله
لاغراض غير دينية قد أمر باتلافه ولم أعثر الا على ثلاث قصائد فقط بعد جهد
ومحت في بيروت ودمشق ومغداد وعمان ولكن بنظرة عامة على تلاميذه نجد هم
قد امتدوا الى مراكش غربا وبلاد جاوة وسومطرة شرقا والى حضرموت واليمن
جنوبا ووسط روسية شمالا وهذا يدل على انتشار أفكاره حتى في هذه
الجهات النائية واذا أدركنا ضعف وسائل الاعلان والنقل وقتها أدركنا
قوة هذه الافكار التي استطاعت ان تصل الى تلك الارحاء النائية في مدة وجيزة
أدركها الشيخ النبهاني نفسه مما دعاه الى وضع مؤلفه الذي سماه
" أسباب التأليف من العاجز الضعيف الذي يظهر من اسمه وكأنه يعتذر
عن هذه المؤلفات المشهورة انطلاقا من مهت الزهد كما ذكرناه آنفا
والذي يستعرض أساتذه الشيخ النبهاني والعلوم التي درسها واجازاته
من مشايخه وما أجيز به يظهر لموضح أنه كان مستغرقا في ورعه وتصوفه
استغرقا سخر له كل ما يتصل بحياته من قريب أو بعيد ويظهر لي ان الشيخ
النبهاني اقرب الى الامام الفزالي بتصوره وأفكاره نحو الدنيا والآخرة
فالذي يقرأ الامام الفزالي في كتبه بعد أن جعل التصوف منهجه وسلوكه
يجد أن كلا منهما صورة للآخر * وهذا ما سأوضحه ان شاء الله تعالى
عند الكلام على " شخصيته وعبادته " في الفصل الرابع من هذا الباب
ومما تجدر الإشارة اليه أن الشيخ النبهاني رحمه الله قد استوعب كل ما
أسهم في ثقافته وعكسه على إنتاجه ومؤلفاته وهذا ما سنلاحظه عند

يحيى

ولو حفظ الله

الكلام على مؤلفاته في الفصل الثالث من الباب الثالث من شجرة الدر .

الفصل الثالث

((مكانته في المجتمع الاسلامي))

مكانته العلمية :

بعد الاطلاع على تفاصيل حياة النبهاني السابقة يتبين لنا أنه نشأ في بيئة علمية فوالده الشيخ اسماعيل النبهاني كان عالماً ، ولذلك حفظ ولده القرآن ومعظم المتن أي أن الشيخ يوسف قد تلقى مقدمات العلوم الشرعية والعربية في بيته وكان أستاذه الأول والده . مما أدى الى رسوخ هذه العلوم في فكره واندماجها في شخصه ولذلك كانت دراسته في الازهر الشريف دراسة توسع واطلاع وليست دراسة متدنية حتى اذا مكث في الازهر الشريف سبع سنوات كانت بالنسبة له كافية مما دعا والده الذي هو أكثر الناس مسرفاً بولده - لاستدعائه . ومن يطلع على الموضوعات التي كتب فيها الشيخ يوسف النبهاني يجد أنه قد استوعب معظم موضوعات الشريعة فقد كتب في التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتصوف والأدب وعالج مشكلات عصره معالجاً ايجابية مفاعلاً معها بالاضافة لاقتنائه للقوانين المعمول بها في وقته اذ كان رئيساً لمحكمة الحقوق في بيروت التي هي أعلى سلطة قضائية في الولايات العثمانية ومن يقرأ ما كتبه النبهاني في المسائل الخلاقية كانتصاهاه لمذهب المتصوفة في التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه " شواهد الحق في الاستغاثه بسيد الخلق " يجد أن النبهاني رحمه الله لا يكتب في شيء الا بعد الاطلاع الواسع على جوانب الموضوع المختلفة كما يظهر من الكتب التي استشهد بها في نقوله ثم نلاحظ انه أمين فليس يريد النصوص التي تؤيد رأي الخصم فهو يذكرها بوضوح لتؤدي المصنعي الذي وضعت له وبعد أن ينتصر للفكرة التي يؤيدها تراه - بتواضع المنقصر - يذكر الجوانب الحسنة في الخصم ويقرر أن خطاه في هذه المسألة لا ينقص منزلته العلمية . فهو يقول عن ابن تيمية في كتاب شواهد الحق الذي ألفه خصيصاً للرد على ابن تيمية حيث يقول - النبهاني - " وابن تيمية

هذا هو امام كبير علم شهير من أفراد ائمة الامة المحمدية للذين تفتخر بهم على سائر الامم ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل فقد أخطأ في مسائل قليلة منها هاتان المسألتان التوسل وزيارة قبر الرسول - خطاً فاحشاً خالف فيه جمهور الامة من السلف والخلف كما بين ذلك كثير من المحققين ، ومن أجلمهم الامام السبكي المذكور في كتاب " شفا السقام في زيارة قبر النبي عليه السلام " وابن تيمية وان اخطأ في هذه المسائل المحدودة فقد أصاب في مسائل لا تعد لا وتحد نصربها الدين المبين وخدم بها شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . على أن بمحض ما نسب اليه من تلك المسائل أنكر صحة نسبتها اليه بعض العلماء الاثبات وعلى كل حال ان الحسنات يذهبن السيئات . وأنا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرني مع هذين الامامين الجليلين في جملة المحبين المتحابين الذين قال الله في حقهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواننا على سرر متقابلين .) (١)

والنبهاني رحمه الله لا يدع فرصة لتسويغ موقف خصومه الا ذكرها وهو لا ينتقص شخصهم وقوة علمهم وانما رده عليهم فيما خالفهم به فقط وفي مكان آخر يقول (. . .) لا يتوهم متوهم من القاصرين أن الامام ابن تيمية أو واحدا من جماعته ، ولا سيما ابن القيم والحافظ عبد الهادي يقصدون بصاراتهم التي منصوا فيها السفر لزيارة القبر وتعظيمها حتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم أو التعرض لعلى رتبته التي تجاوزت رتب المخلوقين على الاطلاق حاشاهم من ذلك فانهم هم من أكابر علماء المسلمين وحماة هذا الدين المبين ولكن لهم مذهب بحسب ما ظهر لهم من الادلة التي قامت عند هم وفهموه من الكتاب والسنة بقدر ما أعطاهم الله في ذلك من الفهم أما علو مقام النبي صلى الله عليه وسلم فهم قد شرحوه وبينوه في كتبهم . أما ابن عبد الهادي فلم أطلع له على كتاب غير (العارم المبكى) واليته لم يؤلفه أما ابن القيم فمن أحسن كتبه كتاب (جلاء الأنفهام في فضل الصلاة على سيد الانام صلى الله عليه وسلم)

الصارم

(١) شواهد الحق في الاستفائه بسيد الخلق ص ٥٢ - ٥٣

وقد نقلت منه في كتابي (سعادة الدارين) فوائد مهمة يعظم له بها
ان شاء الله تعالى الثمات وكتابه (زاد المعاد) وهو من أجل وأنفع
الكتب الدينية وأما الامام ابن تيمية فمن أحسن كتبه (الجواب الصحيح)
في الرد على من بدل دين المسيح (وقد نقلت منه في كتابي (حجة الله
على العالمين) وغيره ما تشرح به الصدور وتكثر له به ان شاء الله
تعالى الاجر .

وقد رأيت أن أنقل عبارة له هنا في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم
ذكرها في كتابه المسمى بـ (بيان موافقة ربح المعقول الصريح النقول)
ثم أورد الشيخ النبهاني رحمه الله العبارة التي يعظم ابن تيمية فيها
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يقول تعظيما عليها " ليس من العجيب ان من
يقول هذا الكلام في حق سيد الانام عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى
عدم السفر لزيارة قبره الشريف ويجعل ذلك معصية من معاصي الله تعالى
ويمنعهم من الاستغاثة الى الله به عليه الصلاة والسلام ويجعل ذلك ممن
الاشراك بالله سبحانه وتعالى ، فوالله لولا ان الله تعالى يفعل في خلقه
ما يشاء لما كنا نصدق بأن ذلك يصدر من أحد من ضفاف علماء الاسلام
فضلا عن هو كاي تيمية امام وأي امام ، وأغرب من ذلك أن يتبعه عليه
مثل ابن القيم وهو أيضا من أئمة العلماء الاعلام وابن عبد الهادي أيضا
من أكابر حفاظ الاسلام وسيأتي نقل بعض عباراتهم الشيعة في هذا الشأن
فيتحقق بذلك كل من عافاه الله تعالى منها أنها ليست من عملهم وانما هي
من عمل الشيطان ولكنهم مع ذلك لحسن نياتهم وكثرة حسناتهم أهل ومحفل
للمفو والرحمة والغفران (١) .

ويقول الشيخ عبد الله الحارثي في بيان المكانة العلمية للشيخ النبهاني
فقيرا " كان فقيرا كبيرا وموجعا في الاحوال الشخصية ومجلة الاحكام العدلية
عشرتها التي عصرت فيها الاحكام الشرعية وللشيخ النبهاني شروح على هذه المجلة
ويعد من المراجع بخصوص مجلة الأحكام وكان متضلعا في الأصول ويعرف
طرائق الاستدلال واستخراج الاحكام التفصيلية من أصولها الاجمالية

وقد عرفت ذلك عنه من النوازل الحادثة في كثير من القضايا التي دارت بيسنن
ومنه نعم انه كان يميل الى كثير من التزمث مثل قضية التأمين كنت اذهب
فيها الى الحلية ما عدا التأمين على الحياة أما النبهاني فيحرم التأمين
مطلقا فهو عنده غرر فكان يتمتع بملكة استحصال الى جانب ملكة استحضرار
وقد انقطع في آخر أيامه للنبيويات .

ويقول الشيخ عبد الله أيضا " كان عنده شمولية في الاعلام وقلما يخطئ
في علم وعندي من بعض كتب وتعليقات بخط يده . وكان يملك بعض النواذر
في الكتب مثل كتاب " لب اللباب " للامام السيوطي وهو كثيرا ما يأخذ
على الامام السيوطي في بعض تعليقاته وهذا يدل على سعة اطلاعه .

وما يدل على تبحره أني قرأت له كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي وقد
وضع خطأ تحت المهم واشترت من كتبه أيضا كتاب خلاصة الاثر للمجيب
وكتاب المرادى الذي هو تمة للكتاب المحي وتاريخ الخميس للديار بسكري
أرجع اجزاء طبع الاستانة وعنده غزارة ووفرة في الاطلاع .

ويقول الشيخ عبد الله الصايل أيضا في مجال اظهار مكانة الشيخ
النبهاني الادبية " وقد انقطع في آخر أيامه للنبيويات وعظمته من الناحية
الادبية تجلت لانه قمة من قمم الادب الرفيع الذي عرفه القرن التاسع عشر
لأن الصياغة الاسلوبية لم يأخذها من عصر التخلف وانما من المنابع الاصلية
وشأنه في الادب العربي بمنزلة البارودي بل لعله في مولده من أروع ما قيل
بعد أرفع من البارودي لانه أصبح قمة فتح بها باب التجديد شأنه في الإحياء
شان البارودي ، وشأنه في التجديد شأن اسماعيل صبرى وهو دون شوقي
وساوى النبهاني شوقي في دور الاسلاميات الدور الاخير - وقد
كان النبهاني أطوع وأعمق من البوصيري في الأغراض التي طرقها وفي الأغراض
التي لم يطرقها وفي الموازنة بين الهزليات الثلاث همزية شوقي وهمزية
البوصيري وهمزية النبهاني نجد البوصيري يكون قمة بمطامعها ويقترب النبهاني
منه وشوقي كان على البركة ، النبهاني جاري البوصيري مع العمق الفكري المولود
وقد أهملت شخصية النبهاني على رغم مطالعها من التراث الضخم وقد قفز
الشيخ يوسف النبهاني بالشعر العربي قفزة محسوسة الشيخ النبهاني
يجيء طبقة بين البارودي واسماعيل صبرى وهو يأتي مرحلة انتقالية بين
البارودي واسماعيل صبرى . ولا يوجد في تاريخ الادب العربي من وقف

شعره على الرسول صلى الله عليه وسلم مثل الشيخ يوسف النبهاني . . نعمم
المرزوقي في المنرب وقف شعره على الرسول صلى الله عليه وسلم
ولكنه لم يكن بغزارة الشيخ يوسف النبهاني . كان النبهاني رائداً في
الدائع النبوية في عصر النهضة وفي بعض الجوانب (١).

وما يظهر مكانته العلمية كثرة الاجازات التي تلقاها او اعطاها وللإجازات
أهميه كبرى عند العلماء حيث بها يتصل سند المرید بمؤلف الكتاب واتصال
الاسانيد عن طريق الاجازات ميره عالية في حفظ علوم الأمة الإسلامية التي امتازت
بها عن سائر الأمم . وهذه الميزة جعلها الشيخ النبهاني رحمه الله الأساس
في اثبات صحة ما وصلنا من أحكام الشريعة الإسلامية دون الشرائع السابقة
اذ أن العلوم الشرعية وصلتنا عن طريق أجيال الرواة المتصلة الاسناد مما
أدى الى حفظ هذه العلوم صحيحة الى أن وصلتنا كما صدرت عن الرسول
صلى الله عليه وسلم الى الصحابة . (٢)

يقول الشيخ عبد الله العاليلي " ولا بدع فالرواية
تقيم الصلة الفكرية مع الاجيال عبر التاريخ في نوع من الدقة والتحقيق والثقة
وفي نوع آخر من الشعور بالثبته العلمية يختلف عن مثله في النقل عن الكتاب
والاخذ من هنا وهناك كيفما اتفق "

ويقول أيضا " وهذه القيمة للرواية تظهر أكثر فأكثر لمن دفع في مضاييق
البحث والمقابلة وشهد ما تضع به المخالفات التعليمية من تصحيحات وأوهام
تجعلك لا تطمئن اليها الا بالأخذ عن الثقة وأنا لا أشك في أن شيوخ
الخطأ ان في اللغة أو في الحديث أو في التاريخ يرجح الى اليوم الذي انقطعت
الرواية فيه وقام مقامها الاخذ عن الكتاب دون السماع وان سادت القدامى
بلغ من سوء ظنهم فيمن لا يحفل بالرواية أنهم اشتقوا كله التصحيح " (٣) أي ،
احالة الشيء عن صوابه - بملاحظة الاخذ عن صفحات الكتاب ، فقالوا " صحف
الرجل " أي تلقى من صحيفة دون رواية مشيرين بذلك الى توهينه والشك

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله العاليلي في منزلة في بيروت في ٦ / ١ / ١٩٧٥

(٢) راجع ما كتبه الشيخ النبهاني في كتابه " خلاصة الكلام في ترجيح دين الاسلام
ص ٥٢٢ - ٥٢٣

(٣) جاء في القاموس المحيط (الصحفى) حركة من يخطي في قراءة الصحيفة والتصحيح
الخطأ في الصحيفة .

(١) في كفاية الاعتماد لتدل أخيراً على الخروج بالشئ عن وجه الصواب وعلى الخطأ
ويقول الشيخ محمد جميل الشطري " قال الامام أحمد بن حنبل رضي
الله عنه : انما الناس بشيئهم وقال الامام عبد الله بن المبارك الاستناد
من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء " (٢) وجاء في كتاب التصحيف والتحريف
عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال " كان يقال لا تأخذوا
القرآن من مصحف ولا العلم من مصحف " (٣) .

وفي هذا تظهر مكانة الشيخ النبهاني العلمية رحمه الله حيث ان معظم
علومه قد أخذها بالتلقي المباشر من أساتذته في الأزهر وعن طريق الاجازات
المختلفة التي اتصل سنده بمؤلفي مختلف العلوم الاسلاميه العقلية والنقلية
وقد أطلق الشيخ صفاء الدين آل الشيخ لقب المجتهد على الشيخ
يوسف النبهاني في موضوع كتبه في مجلة التربية الاسلامية " بعنوان " صلاة
الاربع قبل الجمعة والاربع بعدها " (٤)

وفي مقابلي للاستاذ محمد عزة روضة قال " ان تفسير الشيخ النبهاني
" قرة العين من البيضاوي والجلالين " هو أحسن ما كتب في مثله فهو
كثيرا ما يضح ألقاظا قليلة لبعض المعاني القرآنية الواسعة مما يدل على فهمه
الكامل للقرآن " (٥) قال هذا تعليقا على قول النبهاني في مقدمة تفسيره
وأجبه - أي مصطفى الحلبي - الى ما سأل من تفسير الالفاظ الغريبات
ولم أقتصر عليها بل زدت تفسير المبهمات ، وتوضيح ما أشكل من الآيات
الكريمات فجاء والحمد لله مع اختصاره بغنى اللبيب عن مراجعة المطولات " (٦)

(١) انحاء ذوى العناية ثبت محمد الموزى الادريسي ص ٥ - و

(٢) المرجع السابق ص ل

(٣) كتاب التصحيف والتحريف للحسن بن عبد الله بن سعيد المسكري
ج ١ ص ٨

(٤) مجلة التربية الاسلامية : بغداد العدد السابع ١٤ آذار ١٩٧٢

(٥) قابلته في النصف الثاني من شهر اغسطس ١٩٧٤ في فندق الغفران في مصيف
الزداني في سورية

(٦) قرة العين من البيضاوي والجلالين ص ٢

ويقول صاحب معجم الشيخ في ترجمة الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله " عالم مشارك في كثير من العلوم العربية والفنون الادبية مداوم على المظالم والجمع من غير ملل ^{ولا} سامة محسن ترتيب المسائل وتنسيق النقول وزاده ملكة واقدارا على الكتابة والانشاء بعبارة فصيحة عالية خالية من الركافة اشتغال له مدة بتحرير جريدة الجوائب وتصحيح ما يطبع فيها من الكتب وذلك كله مما أعانه على مؤلفاته العديدة ولا سيما أشعاره النبوية العجيبة الجامعة بين الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية مع اشتغالها على الأوصاف المحمدية الجليلة والاخلاق الكريمة التي اختص بها صلى الله عليه وسلم ولم يشغل بالتأليف في العلوم الادبية مع تبحره فيها وتمكنه منها نظما ونثرا بل اقتصر على الامداح النبوية والموضوعات الدينية التي اختصرها وهذب كثيرا من مؤلفات من قبله وجمع فيها ما كان متفرقا " (١)

وقابلت الاستاذ عماد بك الصلح (٢) فقال " ان الشيخ محمد صديق بهادر الهندي كان زوج أميرة هندية . وقد كتب في موضوعات اسلامية وعربية مختلفة لا تجتمع لشخص واحد وكان الشيخ النبهاني رحمه الله من الذين اتهموا بالكتابة له في بعض الموضوعات لتشر باسم الشيخ محمد صديق بهادر مقابل مبلغ من المال .

وقد ناقشت الاستاذ عماد بك الصلح في هذا الموضوع وكان مما قلته له " ان الوازع الديني عند الشيخ النبهاني رحمه الله يمنعه أن يبيع مؤلفه لينشر باسم شخص آخر مقابل مبلغ من المال وهو الذي كان يطبع كتبهم دون أن يأخذ شيئا من الربح وجعل حق الطبع لكل المسلمين شرط اجادة الطبع والنبهاني رحمه الله كثيرا ما كان يصرح في كتبه أنه يتحمل الديون الكثيرة في طبع كتبه بالاضافة الى ان الاتجاه الديني والفكري للشيخ محمد صديق بهادر ومخالف للشيخ يوسف النبهاني فالشيخ محمد صديق بهادر يثني على من يتوسلون بالانبياء والاولياء وهو ضد التصوف كما يظهر من كتابه " الدين الخالص " لذلك لا يحقل أن يكون هناك أي تقارب بين الشيخ

(١) معجم الشيخ نفاس ج ٢ ص ١١٦

(٢) هو أخ الاستاذ تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان السابق وهو يحضر رساله دكتوراه في جامعة السربون عن " احمد فارس الشدياق " قابلته في بيت اخيه من الصلح الكائن في رأس بيروت مقابل السفارة السعودية ١٩٧٥/١/١

النبهاني والشيخ بهادر *

ومما يجد رذكره أنى قد تصفحت جميع أعداد " مجلة ثمرات الفنون " التي كانت يصدرها الشيخ عبد القادر القبانى فى بيروت وهى مزامنه للشيخ يوسف النبهانى وهى مصورة على شريط ميكروفلم وكذلك صحيفة الجوائب وهى أيضا مصورة على شريط مايكوفلم وكلاهما فى الجامعة الأمريكية فلم أجسد للشيخ النبهانى لى قصيدة فى المناسبات الدينية العامة مثل عيد المولد النبوى الشريف أو عيد الجلوس السلطانى أو غيرها من المناسبات التى كان الشعراء والكتاب يتبارون فيها مظهرين اخلاصهم للسلطان عبد الحميد الذى يعد الشيخ يوسف النبهانى على رأس محبيه حيث يذكره كثيرا فى كتبه داعيا له . وقلت لابد أن يكون هناك مانع .

وسألت الاستاذ خير الدين الزركلى رحمه الله - صاحب " الاعمال " عما لاحظته فقال لى " لم يكن هناك حائط عامرين الاستاذ عبد القادر القبانى صاحب ثمرات الفنون وبين الشيخ يوسف النبهانى " (١) ولكنى لست أقنع بهذا التحليل اذ كان بإمكانه أن يكتب فى صحيفة أخرى يكون على وفاق مع صاحبها مثل صحيفة الجوائب " التى استغل مدة فى تحريرها وله فيها قصائد فى مدح صاحبها أحمد فارس الشدياق وولده سليم . علما بأنه قد نشبت معركة حامية بين الاستاذ أحمد فارس الشدياق وبين الاستاذ رزق الله حسون على صفحات " الجوائب " وكان لكل منهما أنصار يؤيدونه ، ويدافعون عنه فاين كان الشيخ يوسف النبهانى ؟ ولماذا لم يدافع عن الاستاذ الشدياق وهو من المحبين له المحترفين بأفضاله عليه وقد قال فى مدحه أكثر من قصيدة والشدياق هو الذى يسر وسيلة المشى الكريم للنبهانى بتوظيفه مصححا ومحررا فى صحيفة " الجوائب " فى الاستانة حيث قدمها لأول مرة وهو لا يعرف فيها أحدا وإلى هذا أشار النبهانى فى إحدى قصائده التى مدح بهى الشدياق حيث يقول :

وأغفر حماك الله ما أنا وأصل
وحسبك أنى فى اغترابى لم أجسد
علاك ولو صفت النجوم قوافيا
سواك امرأ ما جنى الدهر وأقيا (٢)

والنبهانى كان يعلق على الاستاذ الشدياق كل آماله وطموحه كما يظهر

(١) قابلته فى بيته فى بيروت فى ٥ / ١١ / ١٩٧٤

(٢) القصيدة موجودة فى الفصل الثانى من الباب الثالث راجع كمزا الرغائب فسى منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٣٧ - ١٤٠

في إحدى قصائده حيث يقول مخاطباً الأستاذ الشدياق :
 وأعد رفعتي دست معالم أنسه ومشى عليه الدهر وهو مقيسد
 جمع الأسى جملاً لديه وشملسه عقد بأيدى الحادثات مبيسد
 أوطانه بمدت عليه وانمسا أوطاره وهي المعالي أبعسد
 يبغى اجتماعهما ويحل أنسه شيء يحكم زمانه لا يوجسد
 ولعل هذا الحكم ينقذه فتنتي أنت المراد به كريم أمجسد
 فاسلم ودم سندا لمثلي والملا عن فضلك العالي حديث مسسد (١)

الى أن عثرت على ما يزيل تعجبي ويبدد حيرتي في مناقشة بين السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ حسين الجسر في الاستانة ذكرها الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه (جمال الدين الافغاني) ذلك أنه كانت تصدر جريدة اخبارية في طرابلس الشام اسمها " طرابلس " وقد خصصت صفحتها الاولى للشيخ الجسر حيث كان يكتب الافتتاحيات المسهبية في الدين والاخلاق والاجتماع بتوقيع منتحل فقال السيد الافغاني للشيخ الجسر (ما هذا يا أستاذ ان جريدتك " طرابلس " جمعت بين الكفر والايان اقرأ في صفحتها الاولى الحضر على الفضيلة والخير ومكارم الاخلاق وفي باقي الصفحات ضربوا من التملق والنفاق : قال الشيخ الجسر : فاعتذرت عن مدير الجريدة بطبيعة الوقت وأن الجريدة لا تعيش في بلاد مثل بلادنا ما لم تتمشى ادارتها على هذه الطريقة من اللين والرفق ومجاملة الحكام فلم يقبل الافغاني هذا المذر .

قال الشيخ الجسر : ورجوت الافغاني أن يخفى صوته في حديثه معي كيلا يشعر رجال المابين بأنني صحافي أكتب في صحف الاخبار فامتعض الافغاني وقال : ولماذا يا أستاذ تحاذر هذا وتأبى الانتساب الى الصحافة الصحافة عمل شريف وأنا صحافي وكان لي في باريس جريدة أكتب فيها " (٢)

قال الشيخ عبد القادر المغربي " فجعل شيخنا الجسر يحتج عليه باختلاف البيئات وتباين أطوار البلاد وأن مثله " أي مثل شيخنا الجسر

(١) القصيدة موجودة في الفصل الثاني الباب الثالث راجع المرجع السابق ج ٤

ص ١٢١ - ١٢٣

(٢) هي المعروفة الوثيقة " التي يقال انها من فكر افغاني والسلوب الشيخ محمد عبده

" في انتسابه الى علم الدين يزرى به في نظر الناس الاشتغال بالصحافة فلم يقبل الافغانى عذره هذا بالطبع .

ثم يقول الشيخ المصري : " وقد أيد رأى شيخنا الجسرى الصحافة ومنزلتها يومئذ ما كان بعد ذلك من الشيخ (أبى خطوة) القاضى الشومى المصرى الكبير الذى فصل فى (مسألة الزوجية) وحكم بأن الصحافى ليس كفوءا للشريفات فقامت قيامة رجال الصحافة المصرية يومئذ وأوسعوا القاضى لوما وحكمه استكارا . وصهما يكن فقد كان صنيعه مؤيدا للجسرى على الافغانى تأييدا لا يقوله الكثيرون من الافاضل (١) .

وعبارة الشيخ المصري الاخيرة تدل بوضوح على أن رأى الشيخ الجسرى هو الشائع بين العلماء في عصره . ومن يتصفح كتاب تاريخ الصحافة المصرية للكونت قليب طرازى يجد أن غالبية أو معظم رؤساء تحرير الصحف كانوا مسيحيين خصوصا في المدة التى عاشها الشيخ النبهانى كما أن غالبية الصحف كانت تدعو الى التحرر والتجديد وهذا مذهب افكار الشيخ النبهانى التى تدعو للتقليد والاتباع كما أن رجال الصحافة وقتها هم تلاميذ الافغانى ومحمد عبده وهما العدوان اللودوان للشيخ النبهانى .

كل هذا أبعد النبهانى عن الصحافة ومن هذا يتضح لنا أن الشيخ يوسف النبهانى كان لا يكتب فى صحافة عصره لانه يحط من منزلته العلمية من حيث هو رجل دين ورئيس لمحكمة الحقوق العليا فى بيروت وفى هذا دلالة على مكانته العلمية في عصره .

وليس أدل على مكانة الشيخ النبهانى العلمية من آثاره التى تركها والتى بلغت ما ينيف عن ستين مؤلفا وقد شرح حالة العلمية فى كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " . وهو كما دته يذكر أنه اقتضى بالامام الشعرانى فى جميع تقاريف العلماء فى أواخر كتبهم استجلا بالاقبال الناس عليها وانتفاعهم بها " (٢)

ومما ذكره الشيخ النبهانى رحمه الله فى بيان حاله العلمية قوله :
" اعلم ان صدور هذه المؤلفات عن رجل مثلى قليل العلم والعمل كثير

(١) جمال الدين الافغانى للشيخ عبد القادر المصري ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣١ .

الجهل والزلل لمن أعجب الأمور الدينية في هذا الزمان وأقسم بالله العظيم اني لو كنت أنا أو بعض المؤلفين الآن في الزمان الأول لأدبونا على دعوى العلم فضلا عن التأليف نعم هذا الزمان أبو العجائب وأكرر القسم بالله العظيم أني أعلم نفسي علما صحيحا يقينا لا أشك فيه بلا تواضع مني ولا اظهار خلاف ما هو الواقع الذي أتقنه من نفسي أني غير متقن لعلم واحد من العلوم النقلية أو العقلية فلا أعد فقيها في الفقهاء ولا مفسرا في المفسرين ولا محدثا في الحديثين ، ولا متكلم في المتكلمين ، وهكذا غيرها من سائر العلوم لست ماهرا في علم منها مع قلة محفوظاتي في جميعها . اللهم الا أن تكون مهارتي في جودة الشعر وذلك احسان من الله تعالى في الجبلة مع علم بعض الأدوات اللازمة من العربية والفنون الأدبية والحمد لله على ذلك (١)

ثم يقول الشيخ النبهاني رحمه الله * وإذا كان الامر كذلك وهو كذلك فقد لزمني أن أبين الاسباب التي نتجت عنها هذه المؤلفات لاكون قد أزلت من نفوس الناس ولا سيما الذين لم يعرفوني من أهل البلاد البعيدة ما يتوهمونه في بسببها من كثرة العلم والعمل وأكون قد أزلت بعض أسباب التعجب ممن عرفوني فتعجبوا من صدورها عن مثلي وهي قلما صد رمظها عن كثير من أكابر العلماء في هذه الاثمة الاخيرة فضلا عن الطلبة الضعاف أمثالني * (٢)

ثم ذكر طلبه للعلم في الازهر ورجوعه منه والقائه الدروس في عكة واجتمع واجتماعه بعلما دمشق وبيروت الى أن يقول * ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين واشتغلت فيها عدة سنوات بتحرير جريدة الجوائب التي ألفيتها بعد ذلك وتصحيح ما يطبع في مطبعتها من الكتب العربية والأدبية وقد رست على الكتابة حتى صار يتيسر لي بفضل الله تعالى ابراز المعاني القصودة بمبارة فصيحة خالية من الركافة والفرابة ، ومع هذه الحالة لم أتصور أيضا في نفسي الاهلية للتأليف في العلوم النافعة .

ولم أزل كذلك الى أن ورد على " يوما أحد السادات الكرام من أشرفاء مكة المشرفة واسمه الشريف علي وهو موجود في القسطنطينية الى الآن نفعتنا

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢

(٢) المصدر السابق .

الله به وأسلافه الطاهرين وأعقابهم أجمعين وذكر لي حفظه الله تعالى -
أن بعض المحرومين من محبة السلالة الطاهرة النبوية طبعوا كتاب " نسوادر
الأصول " للحكيم الترمذى في تلك الايام وأن الحامل لهم على طبعه
وجود عبارات فيه تصرف بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل أهل
البيت الى غيرهم كقوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويظهركم تطهيرا " فقد حصر معناه في الزوجات الطاهرات أمهات
المؤمنين وشنع على من يفسر أهل البيت فيها بالحسن والحسين وذريتهما
الطاهرة رضى الله عنهم . أجمعين وكقوله صلى الله عليه وسلم " أهل بيتي -
امان لاهل الارض كما أن النجوم امان لأهل السما " فسره بأن المراد من
أهل بيته فيه صلى الله عليه وسلم الأولياء ولو لم يكونوا من السلالة الطاهرة

قال لي الشرف على المذكور ان نشر هذا الكتاب ربما يؤدى الى
استخفاف بعض الجهال بحقوق أهل بيت النبوة وألج على في تأليف كتاب
ارد فيه على ذلك وأبين فيه حقيقة ما هناك فأعذرت له بعدم أهليتي وليس
ذلك من قبيل التواضع بل لم أكن اتصور في نفس الآهليه لشيء من التأليف
ولاسيما في الرد على مثل هذا الامام الشهير والولى الكبير الذى ذكره الشيخ
الاكبر سيدى محيى الدين بن العربى في فتوحاته وأثنى عليه كثيرا وشهد
له بأنه من أكابر الأولياء وأئمة الاصفياء (١) فلم يقبل عذرى وكرر الاحتجاج
على في ذلك حتى أجبته واستعنت بالله على ذلك فصرت أكتب في أوقات
فراغى ما تيسر وأذهب الى خزائن الكتب المعروفة وأنقل منها حتى تم كتاب
" الشرف المؤبد لال محمد " على وجه حسن تكفل برد ما قاله صاحب
" نوادر الأصول " مع المحافظة على مقامه الشرف والأدب معه كما
ينبغي ويليق ، ثم خفت مع ذلك من ألا يكون عملى هذا مبرورا ومقبولا عند
الله تعالى بسبب ردى على هذا الامام فأخرت طبع الكتاب ونشره
مدة أعوام وكان تأليفه سنة ١٢٩٨ هـ في القسطنطينية وبقي في مسودته الى
أن استخرت الله تعالى (٢) وأقدمت على طبعه في بيروت سنة ١٣٠٩ هـ .

(١) العبارة الاخيرة تدل على المصادم الفكرية للشيخ النبهانى .

(٢) وفي هذه العبارة دلالة على مصادمة الفكرية . أيضا

ثم مرضت في بيروت مرضاً شديداً يئست به من الحياة فحزنت لكثرة ذنوبي وقلة أعمالي الصالحة فصرت أتفكر في تأليف شيء من الكتب النافعة السهلة ليكون من العمل الصالح الذي لا ينقطع بالموت كما ورد في الحديث الشريف (١) فخطر لي أن التجوئ إلى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بجعل ما أولف نفسه من ذلك في شؤونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فصممت في آن واحد على جمع كتاب في شمائله وكتاب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فأشتغلت بجمع كتاب " أفضل الصلوات " وكتاب " وسائل الوصول إلى شمائل الرسول " صلى الله عليه وسلم وقبل اكمالها خطر لي لزوم اختصار المواهب اللدنية فأعان الله من فضله على طبع هذه الكتب الثلاثة ونشرها مع الشرف المؤبد فوق لها كلها قبول تام في سائر البلاد التي وصلتها من بلاد الاسلام وقبيل أن أكملها خطر لي الشروع في غيرها ولم يزل الأمر كذلك إلى الآن كلما تيسر كتاب أشعر في غيره والغالب أن يكون في يدي عدة كتب أولف فيها في أن واحد (٢)

ثم يعتذر الشيخ النبهاني رحمه الله عن تأليف كتابه " هادي المرشد إلى طرق الأسانيد " فيقول : " فأن قال قائل إذا كان الأمر كما تقول من عدم اتقانك للعلوم المذكورة فما بالك ألقت هذا الثبت الذي سميته " هادي المرشد إلى طرق الأسانيد " فانك بتأليفه جعلت نفسك مثل العلماء الكبار أصحاب الاثبات " أقول عذري في ذلك أنني لما أظهر الله على يدي من فضله واحسانه هذه المؤلفات وانتشرت في الافاق طلب مني كثير من الفضلاء اجازات لحسن ظنهم بي وحرصهم على العلم فلم أجبهم إذ ذاك لعلي من نفسي خلاف ما ظنوه بي ثم تفكرت في أنني إذا لم أجبهم تبقى هذه المؤلفات منقطعة الاسباب وليس لي تلاميذ يروونها عني ويروونها عنهم وهكذا ككتب العلماء ومعلوم أن روابط الأسانيد التي توصل روايات الكتب إلى مؤلفيها هي من أقوى الروابط الدينية ومن أحسن مزايا الأمة المحمدية التي أمتازت بها على سائر البرية فأن أسانيد الكتب أنسابها ، ورواياتها بالاجازات أحسابها وما خلا منها عن ذلك يعد من المجاهيل فلا يعمل عليه كل التعويل وهكذا نسبة

(١) نص الحديث الشريف " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " رواه مسلم عن أبي هريرة كتاب منتخب الصحيحين من كلام سيد المرسلين للنبهاني ص ٥٥٠

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٣

العلماء من المؤلفين وغيرهم الى مشايخهم فانهم في حكم الاباء والاجداد ومن يأخذ عنهم وعن تلاميذهم في حكم الابناء والأحفاد ، والرابط لأنساب العلم بينهم هو الاسناد .

هذا هو الباعث الى على تأليف هذا الثبت وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم بجاه ثبته الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم أن يتفضل على وعلى كل من اتصلت به أو اتصل بي بنسب أو قراءة أو اجازة بالعفو والغفران ويمن علينا جميعا باتصالنا بسندنا الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى فرديس الجنان ويحسن إلينا بحسن الخاتمة أنه ولي الحسن الاحسان (١)

العوامل المساعدة للنبهاني على تأليفه الكثيرة :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله : " فان قلت كيف يتيسر لك التأليف مع عدم اتقانك للعلوم العقلية والنقلية كما ذكرت ؟ قلت : ان الصفات التي تفضل الله بها من فضله وكرمه وجعلها آله للتأليف هي ما أذكره لك هنـــــــــا تحدثنا بنعمة الله تعالى وبياننا للحقيقة ودفعنا للتناقض ولا أكذب والله في شيء مما أذكره على ما أعلمه من نفسي فكما أنني صادق في ذلك أنـــــــــا أيضا صادق في هذا والا لم يمكن صدور هذه التأليف مع عدم اتقان العلوم قطعـــــــــا فأقول :

أعلم أن الاصل الأصيل في الاعانة على هذه المؤلفات هـــــــــو :

(١) توفيق الله تعالى : (١)

وخلقه في هذا الصبد العاجز القدرة على ذلك وتسهيله له سبيل هـــــــــذا الخير العظيم ببركة حبيبه الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم وله الحمد والمنة مع قلة بضاعتي في العلم والمعرفة الكافية لتأليف ما ألفته في الشؤون

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٣ - ٣٤٣ .

(٢) وهو نفس السبب الذي وضعه النبهاني في تحليل عدم مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من مشاهير الشعراء ومثل المتبني وابي تمام والبحثري راجـــــــــع

المجموعة النبهانية للنبهاني ج ١ ص ١٧ - ١٨

المحمدية وغيرها وجلها مجاميع جمعتها من كتب الأدب وتحريتها ما قدرت عليه من الاصابة في جمعها وحسن ترتيبها ووضعها ، وليس ذلك مسن وقائق العلم التي تحتاج الى التبحر وزيادة في التحقيق والتدقيق واتقان جميع العلم على وجه الكمال فأن مؤلفاتي لا تخلو ان تكون نشرها أو نظما في مدحه صلى الله عليه وسلم وقد تفضل الله على بالسليقة الشعرية على الوجه المطلوب وليس هذا من المناقب الكبيرة فان كثيرا من جهال العرب الجاهلية قد كانوا متصفين بذلك فغاية الأمر أن أكون شاركت الجاهلية (١) بوصف سبقوني به .

نعم قد زدت عليهم بمعرفتي من الاوصاف النبوية والمعاني الاسلامية والمحسن البديعية ما لم يعرفوه فكان مدحي له صلى الله عليه وسلم جامعا للفصاحة والبلاغة مع محسنات البيان والبديع مشتملا على الاوصاف الجميلة الجليلة التي اختص بها الحبيب الشفيح صلى الله عليه وسلم ولا يخفاك (٢) ان هذا غير محتاج لاثقان تلك العلوم والتبحر فيها وقد رزقني الله وله الحمد والمنة ملكة قوية في العربية بعد قراءتي في الجامع الزهر على مشايخي الذين ذكرتهم في ثبتي " هادي المرشد الى طريق الاسانيد " جميع الكتب التي اعتادوا قراءتها في علم النحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاثمنوني بالشرح والحواشي مع حفظ الاجرومية والالفية ومطالعتي العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسى وبعض الطلبة ومع ذلك فقد نسيت الانني أكثر قواعد النحو لتركتي قراءتها واقراءها أكثر من ثلاثين سنة فلا أعد متقنا لعلم النحو لكن ملكتي التي تعصم قلبي من اللحن غالبا قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة في كتب اللغز وغريب الحديث . (٣)

الآن

(١) جعل النبهاني عيار الدين هو الاساس في التقييم حتى في الملكة الشعرية

(٢) الصواب : لا يخفى عليك .

(٣) اسباب التأليفي من العاجز الضعيف ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٢) الفهم الصحيح والذوق السليم :

يقول الشيخ يوسف النبهاني : " وقد رزقني الله وله الحمد والمنة الفهم الصحيح والذوق السليم في كل ما ألفت فيه وهذا الوصف ليس مختصاً بكأثير العلماء بل قد يكون في أذكيا العوام فضلاً عن طلبة العلم وكثير ممن يقضون أعمارهم في الاشتغال بالعلم لم يرزقهم الله الفهم الصحيح والذوق السليم " (١)

(٣) حسن التعبير والترتيب :

يقول الشيخ يوسف النبهاني : " وقد رزقني الله وله الحمد والمنة حسن التعبير عما أريد أن أعبر عنه بعبارتي وحسن الترتيب لما أريد أن أنقله من كتب العلماء مع معرفتي المعتمدين منهم وغير المعتمدين المقبولين عند الأمة وغير المقبولين لكثرة ما طالعت في كتبهم ولا سيما كتب الإمام الشعرائسي رضي الله عنه ومنهم مع حسن اعتقادي فيهم أجمعين (٢) وهذا من أكبر نعم الله علي فأنهم أحباب الله تعالى وخاصة من خلقه فلم يعتقد فيهم أحد إلا ببحر الدنيا والآخرة ولم ينتقد عليهم أحد إلا خسر الدنيا والآخرة " (٣)

(٤) التأليف في مواضع مهمة جداً في شؤون الدين وأحوال سيد المرسلين

صلى الله عليه وسلم :

مع عجزى وضعفى وقلة بضاعتى العلمية ولم يلهم ذلك الكثير من أكابر العلماء (٤) الذين لا أصلح تلميذا لأحد هم فضيعوا أعمارهم بتأليف

- (١) المصدر السابق .
- (٢) من مناقبه الفكرية .
- (٣) المصدر السابق .

(٤) لقد وقف الشيخ النبهاني . قلبه للكتابة حول شخصية الرسول نظماً ونشراً ولم يصل على إلا إلى أحد مثله حتى أن النبهاني كان يوصى بأتلاف جميع شعره في غير مدح الرسول مع جودته الفنية العالية .

الكتب المنطقية والنحوية وما أشبهها مما لا حاجة له اليوم لكثرة كتبها التي في عشر معشارها كفاية ومع ذلك فهم مأجورون على حسن نياتهم " (١)

(٥) توفر الكتب النافعة المطبوعة والمخطوطة :

يقول الشيخ يوسف النبهاني : وقد رزقني الله وله الحمد والمنة كثيراً من الكتب النافعة المعتبرة المقبولة المتفق على جلاله مؤلفيها من الطبع والخط كما يسر لي من فضله سبحانه وتعالى استعارة كثير من كتب الخط النفيسة التي يند وجودها في المواضيع التي الفت فيها ومن اطلع على كثرة النقول التي نقلتها فيها يعلم حقيقة ذلك فقد كان يلفني ان عند فلان كتاب كذا فأطلبه منه ولو كان في بلدة أخرى فيرسله لي فأخذ حاجتي منه وأرجعه اليه (٢)

(٦) النشاط والمداومة على المطالعة والجمع :

" ومع كثرة الكتب التي يسرها الله لي رزقني النشاط والمداومة (٣) على المطالعة والجمع من غير ملل ولا سآمة مع معرفة مظهر السائل التي أريد أن أوكل فيه الى درجة ربما لا تتيسر لكثير من أكابر العلماء من استيعاب كلام المؤلفين وجمع عباراتهم كما وقع لي ذلك في " حجة الله على العالمين " وسعادة الدارين " ومجموعة المدائح النبوية " وشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم " وجامع كرامات الأولياء " وبعض الكتب الصغيرة التي جمعت فيها أنواعاً مخصوصة من الدعوات وغيرها كمفج الكروب ومفج القلوب واسمها " النبي " صلى الله عليه وسلم " وحزب الاستغاثات " الذي جمعت فيه استغاثات أربعين ولياً بالنبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك مع كمال الصدق والأمانة التامة في النقل ونسبت كل شيء الى أصحابه وحسن الاختصار فيما اختصره كالأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية فأنها

(١) المصدر السابق .

(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤ .

(٣) الصواب : البحوث ، والأولى خطأ مشهور . د . عبد السلام سرحان

بحمد الله من المختصرات التي فاقت أصلها ولم أقدم على تأليف كتاب منها
لمجرد تكبير حجم الكتاب اذا لم أعتقد نفسها ولنزوم اثباتها . . لا والله
لم يخطر لي شيء من ذلك قط فيما أعلم الآن ولم أشع في تأليف شيء
منها الا بعد أن أتيقن الحاجة الى التأليف في ذلك الامر ولا سيما فسي
شؤون نبينا محمد سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم المستى
نرى كثيرا من العلماء فضلا عن العوام مشغولين عنها بقراءة كتب العلوم
المقلية وغيرها عدة سنين من دون أن يعرفوا شؤون الشريعة وسيرته
المنيفة صلى الله عليه وسلم المعرفة اللائقة بأفعالهم فهذا ليس من
الصواب ، واللائم على المرء أن يتعلم الأهم فالأهم . مما تلززه معرفته
في دينه .

١٧ الرد على رد مفتريات الكفار أو كشف تقولات أهل البدع :

يقول الشيخ يوسف النبهاني " أو يكون الحامل على التأليف
الرد على بعض الكفار ^(١) وبيان مفترياتهم على دين الاسلام أو كشف
ثقولات بعض أهل البدع ^(٢) الذين انتشرت بدعهم في هذه الايام ولا سيما
ما يتعلق منها بسيد الانام الذين يغيرون عقائد هم الدينية وينقلونهم
من النور الى الظلام كما هو واقع في كثير من بلاد الاسلام فالتأليف فسي
هذه الأبواب لا يخطر في بالي حين الاقدام عليه طلب الثواب بل أجد من
نفس داعيا قويا لا أقدر على مخالفته للمحاربة عن هذا الدين المبين
والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين واولاد
المسلمين ولو رأيت غيري من العلماء أف في ذلك كتباً تفتني عن كتيبي لما
أقدمت على تأليفها وكتب أقول قد حصل المقصود على يد من شاء الله
من خلقه لا سيما أن التأليف في ذلك يتسبب في كثرة الاعداء من الكفار
والفجار كما وقع لي وقد قصدوا أن يتي فوقاني الله شراً ببركة حبيبته
الأعظم صلى الله عليه وسلم . ^(٣)

(١) يقصد الاتهامات المتبادلة بين المسلمين والنصارى خصوصا في بيروت التي كانت
ميدانا للتبشير المسيحي .

(٢) يقصد مدرسة الافغانى والدعوة الوهابية .

(٣) أسباب التأليف من العاجز الضعيف . ع ٣٣٦ .

" ولم يخطر لي التأليف في علم الأدب مع إمكان ذلك نظماً ونثراً لكون
النفع الاخرى فيه قليل الآن ^(١) وان كان من وسائل معرفة العلم
الدينية لأن المؤلفات الموجودة منه ليست بقدر الكفاية فقط بل هي
أكثر من الكفاية بأضعاف مضاعفة ، ولذلك لا ينبغي لعلماء المسلمين
الآن تضييع الاوقات في التأليف في ذلك وما أشبهه من العلوم الآلية
والفنون العقلية وترك المقصود بالذات وهو الأمور الدينية راسماً التي
تناسب هذا الزمان وما طرأ فيه على الاسلام وأهله من هجوم الكفر
والأضاليل والبدع والأباطيل فيجب على علماء المسلمين السالمه عقائد هم
من الزيغ المبادرة الى تأليف مؤلفات تحفظ عقائد الموم وتنفذ عندهم
الضلالات والأوهام ولا سيما مشايخنا وأخواننا علماء الزهر والمحفل الانور ^{ولاسيما}
فان هذه البلايا التي طرأت على الدين هي الآن في بلد هم مصر أكثر
منها في سائر بلاد المسلمين فبعد أن كانت معدن الرشاد ومنها يتفرع
الى المباد ، كثر فيها في هذه الايام في الدين الفساد ، وصار ينتشر
منها الى سائر البلاد ، فبادروا أيها العلماء بالأعلام حماة الاسلام
وجاهدوا بسيف الاقلام ، أهل الضلال والظلام ، فقد صار الدين كما
تروونه ملعبة بأيدي الجهال يتصرفون بعقولهم السخيفة في تحليل الحرام
وتحريم الحلال فكثرت المفاسد في الدين وتشوشت عقائد بعض جهال
المسلمين فأتروا رحمكم الله الاشتغال بما لا ضرورة له من تأليف الحواشي
والتقارير وأنتمبهوا من غفلتكم لهذا الأمر الخطير والحكم لله العلي
القد يسر ^(٢) .

(٨) طلب الأجور والثواب :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " والسبب القوي الذي
حملني على الهجوم على التأليف مع عدم أهليتي هو طهي بكر الله
تعالى في بقاء الأجر بعد موتي لما أولفه من العلوم النافعة الدينية

(١) من متابعة الفكرية

(٢) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ . يظهر أسلوب النبهاني في
التبرؤ لاصلاح المجتمع .

وكثرة الآجر لمن دل على الهدى وحذر من الضلال " ثم أورد ما ذكر
الامام النووي في رياض الصالحين في هذا الخصوص (١).

(٩) وجود كتاب ينقلون المعلومات :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله : " ومن أسباب تسهيل تأليف
هذه الكتب أن يسر الله لي وله الحمد والله بعض الكتاب النبهاء النجباء
من كتبة محكمة الحقوق التي أنا رئيسها وهم عبد الباسط أفندي الفاخوري
ومحمد علي الأنسي وسليم أفندي السروجي ومحيي الدين أفندي عـ
الدين غير أن الأول منهم انتقل إلى محكمة أخرى فانقطع عنا منذ سنين
والثاني لم نزل ننتفع به في بعض الاحايين وهو أنفعهم من جهة تصحيح
الطبع ^{من} لأنه فضلا ^{من} الطلبة الصالحين وأنفعهم من جهة المداومة على
الشغل ، والاثنان الاخيران لانهما ما زالا يلازمانني في كل يوم السبي
الان فتح الله علي " وعليتهم أجمعين فتوح العارفين وحشرتنا في زمرة
عباده المؤمنين تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وممن
يساعدنا بالتصحيح صديقنا العالم الفاضل الشيخ محمد أفندي طياره
عضو محكمتنا الحقوقية ، ومن وقع له النفع في هذا السبيل كترغيبه
بعض الاغنياء في طبع هذه الكتب الصغيرة على نفقته وتوزيعها مجاناً
تقبل الله أعمالنا جميعاً ورزقنا حسن القبول وبلغ كلامنا غاية التامسول
وصورة التأليف أني أطلب على الكاتب ما أريد أن أنقله من كتب العلماء
وقد أدله على العبارة اذا كانت طويلة ولا أريد اختصارها وأتركه
ينقلها وحده ثم أقابلها معه واشتغل بشيء آخر بكتابة أو مراجعة
وبعد الاملاء أقرأ جميع ما كتبه وأصحح ما يحتاج للتصحيح منه في وقت
انفرادي في ليل أو نهار أطلع وحدي في الكتب التي أريد أن أنقل منها
وأضع علامات على العبارات التي أريد نقلها هذا ما يتعلق بنقل عبارات
العلماء ، أما كلامي الذي لم أنقله من أحد من نظم أو شرفاني أسبودة
غالبا بخطي ثم أطلبه على الكاتب وأصلح منه ما يظهر لي اصلاحه
وقت الاملاء وقد أعطيه المسودة فيكتبها ثم أراجع ذلك النظم أو النثر
بالتحرير والتهديب حتى أَرْضاه وربما يظهر لي بعد التبييض ترتيب

أحسن من الاول فأرجع عن ذلك وأجمل على الثاني المصوب بل حصل لي هذا في بعض الكتب فمطلت المطبوع منها وجددت طبع ما رأيته صواباً والسبب في ذلك أني أشغل فكري كثيراً في حسن ترتيبها وتهذيبها مما دام في الامكان اصلاح ما يظهر لزوم اصلاحه منها ولا ينقطع عني التفكير في شأنها من جهة التهذيب والترتيب الا بطبعها فمتى طبعتها ينصرف فكري عنها الى غيرها وانا صاحب رؤية لا صاحب بداهة فقد لا يظهر لي الصواب من أول وهلة ولذلك أكثر التروي فكلما زدت الامر تروية يظهر لي في فيه من الصواب ما لم يكن ظهر لي من قبل أن يستقر الحال على الصواب الذي يحسن السكوت عليه والحمد لله رب العالمين (١)

(١٠) تيسير طبع كتبه ونشرها :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله * ومن أسباب أقدامي على تأليف الكتب أن الله تعالى وله الحمد والمنة ببركة حببيه الاعظم صلى الله عليه وسلم قد سهل طبعها ونشرها في أكثر البلاد الاسلامية ولولا ذلك لما حصل لي كل هذه الرغبة في تأليفها لان الكتاب اذا لم يطبع لا يحصل من تأليفه من الفوائد ما يوازي التعب لسببين : الاول : اني لست من أكابر العلماء المشهورين الذين تبادر الناس الى كتابة مؤلفاتهم ونسخها ونقلها الى البلاد القريبة والبعيدة حتى يحرم النفع بها .

الثاني : أن الهم في هذا الزمان قد انصرفت بالكلية عن نسخ الكتب بخط اليد ولو كانت من أكابر العلماء الا في النادر وذلك بسبب كثرة الكتب المطبوعة من كل العلوم وسهولة الحصول عليها بأيسر قيمة فتصميم نفع الكتاب الان موقوف على طبعه ولذلك كان تيسير الله تعالى طبع كتبي هذه من أكبر النعم واغوى الأسباب التي حملتني على ملازمة التأليف وقد كان أقوى أسباب ذلك تقدير الله تعالى أقامتي في بيروت بوظيفة رئيس المحكمة الحقوقية (٢) التي هي مع

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٧ - ٣٣٨

(٢) هذه النسبة خطأ شائع لان الجمع لا ينسب له ، بل ينسب الى المفرد الا اذا

كان الجمع علماً . د . عبد السلام سرحان .

شرفها أقل المحاكم اشغالا فصرت بهذا السبب أتمكن من الاشتغال في أكثر أوقاتي في بيتي بالتأليف ولا يتيسر ذلك في غير هذه البلدة لكثرة مطالعها وسهولة مخابرات البلاد القريبة والبعيدة منها في نشر الكتب وبيعها لانها أعظم مدن سواحل البحر الشامي ولها علائق تجارية ومواصلات بحرية وبرية مع جميع الجهات وقد يسر الله وله الحمد والمنة بعض صلحاء التجار في مصر أجلهم صدقنا الفاضل الامين الصادق الفطين الشيخ مصطفى أفندي البابي الحلبي وأخواه الكرام فطبعوها بعضها ويسر بعض الأغنياء في بيروت فطبعوها بعض مختصراتها وورعوها مجانا أثابهم الله وأكثرها طبعت على نفقتي وتكلفت فوق طاقتي من الديون لمصاريف طبعتها والكتب يحتاج بيعها الى وقت طويل لانها ليست من ضروريات المعيشة كاللبس والسكن والمشرب ولا سيما الكتب الدينية فسي هذا الزمان العجيب الذي انصرفت قلوب أكثر أهله الى محبة الدنيا وأسبابها وزهدت في الآخرة وطلابها الا من سلم الله وقليل ما هم .

ومما لا أرضاه أولا الضرورة أن بعض هذه الكتب أرسلنا مقادير منها الى بعض أصحاب الوجاهة في بلادنا الشامية (١) وقليل من غيرها فباعوها بطريق التوزيع وذلك ليس من أنواع البيع المشروعة فأنما البيع عن تراض وقد يوجد من هؤلاء من يأخذ الكتاب حياء نعم هو متى اطلع عليه وانتفع به هو وأولاده لاشك أنه يرضى بذلك ويشكرني على هذا الخير الذي كنت السبب في وصوله اليه فأطلب منهم السماح وأن - يجعلوني في حل من ذلك كرامة (٢) لله تعالى ولهذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام (٣) .

(١) محبة العلماء والأولياء له ولا سيما أهل البيت الكرام :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ومن أقوى أسباب ذلك - أي التأليف شمولي بأنظار العلماء العاملين والأولياء العارفين ولا سيما سادات أهل

(١) لعلى الشيخ النبهاني رحمه الله يريد أن يقول " لا كرامة لنبي في وطنه "

(٢) في هذا دلالة تقوى النبهاني واحتياظه من المال الحرام .

(٣) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

البيت الكرام فان من أكبر نعم الله على ما حصل لى من كثير منهم من
المكاتبة الدالة على محبتهم للحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم فهم يحبون
من خدمه بوجه من الوجوه وكلما زاد الخدمة زادت محبتهم وقد اطلعت
على تلك المؤلفات والمدائح النبوية فأحبوني لذلك وصارت تأتيني منهم من
أكثر الجهات المكاتبات وهذا ازاد رغبتي في الاقبال على العمل وله من
يحصل لى ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ومركتهم من هذه الاشغال أدنى
ملل مع كثرة ما وجدته في هذا السبيل من أنواع الانتعاب الكثيرة في تأليفها
وطبعها ومصاريفها ثم في نشرها وبيعها في البلاد البعيدة والقريبة من
ضياح كثير منها وذلك شيء لا يقدر مثلى على القيام ببعضه فضلا عن كله
لولا أن الله تعالى من فضله أعلنى على ذلك وسهل لى سبيل الخير اليه
ببركة حبيبة الاعظم صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين ومحبيه
من الاولياء العارفين والعلماء العاملين وصلحاء المسلمين رضى الله عنهم
أجمعين (١) *

النبهاني يعتذر عن أخطائه في مؤلفاته :

يعتذر الشيخ النبهاني رحمه الله عما وقع في مؤلفاته من أخطاء حيث
يقول " لعلك تجد يا أخى في بعض الكتب شيئا مما زل به القلم من حركة
أو حرف أو كلمة ولا يكون بأكثر من ذلك غالبا أي لا يتعدى الخطأ فيه
المعاني المخالفة للحقيقة فاني قد ثبت فيها بالنقل عن العلماء والاولياء
المعتمدين من أئمة الدين ولم أتجاوز فيما حررته بعباراتي طريقهم المحمودة
وما عليه أهل السنة والجماعة من الدين الخالص والحق الواضح والصواب
البين فأنا من هذه الجهة مستريح فكري والحمد لله تعالى والذي أطلب
سماحت أيها القارىء فيه ألا تتخذة سببا للتديد والاعتراض هو ما ذكرته
لك مما لا بد أن يكون قد وقع بالطبع من البهوى في بعض الحركات والحروف
والكلمات على أن ذلك نادرا جدا فانك لو حسبت ما اشتملت عليه هذه الكتب
من الحركات والحروف والكلمات لوجدتها ملايين كثيرة فاذا وضعت ما وقع

(١) اسباب التأليف أن العاجز الضعيف ص ٣٣٩ (ضابح النبهاني الفكرية)

فيه السهو منها من حركة أو كلمة أو حرف في مقابلة ما وقع فيه الصواب لو وجدت
في مقابلة الآلاف الكثيرة من الصواب واحدا من الخطأ فهذا كما انى ارجو
من كرم الله تعالى أن يسامحنى به فسامحنى أنت أيضا وانظر الى هذه
الكتب نظر النصف الذى يريد الانتفاع بها فيحصل لك بذلك النفع العظيم
والأجر الكثير ويحسن هنا أن أورد ما ذكرته في آخر (١) الفصل العاشر
من مقدمة المجموعة النبهانية بعد أن ذكرت بذل جهدى في جمعها -
وتصحيحها وهو قولى ومن هنا تعلم ايها الفاضل النصف ما كابدته فى
جمع هذه القصائد - المجموعة النبهانية - وتصحيحها فضلا عن ترتيبها
وشرح غريبها حتى جاءت بفضل الله تعالى وبركة ممدوحه الاعظم صلى الله
عليه وسلم على أحسن وجه جميل مقبول تعشقه الطباع السليمة والعقول
من كل محب للرسول صلى الله عليه وسلم فتشكر صنيعى ولا تكفرو وتعشرون
معروفى ولا تنكرو ولا ألومك ان تفعل ذلك اذا لم تسمى السى
بالاعتراض على تقول ما الذى صنعة وانما هو كلام الناس قد جمعه لانى لسم
أفعل ذلك بقصد شكرك ودعائك ومحبتك وولائك وانما ذلك من الفوائد
الزوائد والمقصود انما هو نشر الثناء الجميل على سيد الوجود وافضل كل
والد ومولود صلى الله عليه وسلم فان حصلت مع هذا الاصل تلك الزوائد
فيا حبذا هى من فوائد والا فلا عتاب ولا ملام وقد حصل بحمد الله المرام
والحمد لله الذى هدانا لهذا الفضل العظيم فى خدمة نبيه الرؤوف الرحيم (٢)
فيما تقدم ذكره يتضح لنا مكانة الشيخ النبهانى العلمية والتي كثيرا ما كان
النبهانى يحاول اخفاءها بتواضعه الملقى دون أن ينس لنفسه فضلا
سوى اظهار فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرها ليستفيد بها الناس
كما يصح فى أقواله السابقة أنه لم يذكر عبارة بقصد زيادة حجم المؤلف
وانما لاعتقاده بفائدتها • وهو يظهر بهذا مظهر الواعظ المصلح الذى
لا يلتفت لشيء سوى هداية الناس ولا يقصر فى ايراد الحجج المتلفسة
فى سبيل هدايتهم • وكثيرا ما ينصرف عن تجميل الكلام وترتيبه السى

X

الزوائد

(١) أسباب التأليف من الما جز الضعيف ص ٢٤٠ •

(٢) المجموعة النبهانية ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ •

ملاحقة المعنى وإتمامه وهو لا يهمل اللفظ بمقدار ما يهمل معناه • وهو
 في كتبه - كما يصرح - لا يذكر شيئاً يذكر اسم الكتاب الذي نقل عنه ولكنه
 لا يذكر رقم الصفحة أو تاريخ الطبعة ومكانها وذلك راجع إلى أن هذا لم
 يكن شائعاً في عصره خصوصاً في وسطه العلمي الديني بالإضافة إلى الكتب
 التي اعتمد عليها قديمه وبعضها لا يوجد عليه مكان الطبع وتاريخه وبعض
 هذه الكتب لا يدون فيه فهرس إضافة إلى أن قسماً كبيراً منها كان
 مخطوطاً • ولم يخطر بباله أن القارئ قد يحتاج إلى الرجوع إلى مصدر
 النص على سبيل التأكد لم يخطر بباله هذا لأنه يعد أن الأمانة العلمية
 هي من الدين والتثبت من النقل أو عدمه هو كالصدق أو الكذب فيـه
 ثواب وعقاب • ومن هذا تلاحظ أنه في طريقة تأليفه إنما ينهج منهج العلماء
 السابقين الذين لا يذكرون المصادر التي نقلوا منها ومن يذكر منهم
 المصدر لا يذكر رقم الصفحة أما لقلة الكتب المتداولة وجل اعتمادهم في
 الكتابة على ما حفظوه أو لأنهم يحسبون أن المؤلف محاسب أمام الله
 فيما يكتب لذلك يولونه الثقة الكاملة • وهو ما ظهر لنا من أقوال النبهاني
 من أنه ثقة فيما يكتب وهو يدقق في كل ما يشقه ويراجعه وقد يلقي ما طبعه
 إذا تبين له الصواب في غير •

ويظهر واضحاً في كل مؤلفات الشيخ النبهاني أنه لا يقصد بتأليفه
 سوى وجه الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وخدمة المسلمين • وهذا
 واضح فيما كتبه في كتابه " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " الذي
 يشرح فيه خطته العلمية في مؤلفاته • ونحن أمام هذه المؤلفات التي
 بلغت أكثر من الخمسين لا يسعنا إلا أن نكبر هذه المقدرة العلمية
 الضخمة خصوصاً أن الشيخ النبهاني لم يكن منقطعاً للتأليف فقط بل
 كان كثيراً لتطواف في البلاد وله صلات اجتماعية متبادلة مع الناس بالإضافة
 إلى عمله رئيساً لمحكمة الحقوق العليا في بيروت • وهذا يدل على مقدرة
 خارقة وقوة علمية • فـذة •

أقول لو عاش الشيخ يوسف النبهاني في عصر الذهب للعلوم
 الإسلامية لكان من أكابر العلماء المسلمين أمثال الطبري والرازي وابن تيمية
 والنعماني والسيوطي وابن هشام وغيرهم من الذين تركوا تراثاً ضخماً في العلوم
 لا يسعنا اليوم إلا أن نقول - ما قاله النبهاني - ما كانوا يقومون على هذه
 المؤلفات لولا توفيق الله تعالى لهم • علماً بأن كثيراً من العلماء العظام

الذين حوزوا كثيرا من العلوم ولم يميلوا الى التأليف كالامام أبي الحسن الشاذلي الذي رغب اليه ان يضع كتابا في العلوم المختلفة فقال " تلاميذي هم كتبى من بعدى " والى هذا أشار الشيخ النبهاني رحمه الله الى أن كثرة المؤلفات ليست الدليل الوحيد على قوة العلم في العلماء اذ هناك من العلماء الاعلام من لم يضع كتابا مع الاتفاق على فضله وعلمه فهو بعد أن أورد رسالة صغيرة للامام السيوطي اسمها " التحريص بأسباب التأليف (١) " ذكر فيها بعض آداب التأليف .

يقول النبهاني رحمه الله " ورأيت في " خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر " للمحبي في ترجمة الامام الحافظ شمس الدين محمد البابلي الشافعي المصري ما نصه :

ومن تبخره أي البابلي في العلوم لم يعتن بالتأليف والحي من الوزير الاعظم أحمد باشا الفاضل الى تأليف كتاب في الجهاد وفضائله فألف فيه في أيام قليلة كتابا حافلا أتى فيه بالعجب من الآثار الواردة فيه وأحكامه المختصة به وكان ينهى عن التأليف ويقول التأليف في هذه الا زمان من ضياع الوقت فإن الانسان اذا فهم كلام المتقدمين ~~الذي~~ واشتغل بتفهمه فذاك من أجل النعم وأبقى لذكر العلم ونشره والتأليف في سائر الفنون - مفروغ منه واذا بلغه أن احدا من علماء عصره ألف كتابا يقول لا يؤلف أحد ، كتابا الا في أحد أقسام سبعة ولا يمكن التأليف في غيرها وهي أما أن يؤلف في شيء لم يسبق اليه يخترعه أو شيء ناقص فيتمه أو شيء مستفلق بشرحه أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء مختلط يرتبسه أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه أو شيء مفرق يجمعه قال المحبي رحمه الله ويجمع ذلك قول بعضهم شرط المؤلف أن يختص معنى أو يبتكر مبنى (٢) "

(١) أسباب التأليف ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٢ .

أما عن الأمانة العلمية والتدقيق العلمي :

فيقول الشيخ النبهاني رحمه الله " اعلم أنني قد نسبت جميع ما ذكرته في كتبي من الأحاديث والأحكام والفضائل والمعجزات وال مناقب والكرامات وجميع ما احتوت عليه من منقول العبارات إلى الكتب المعتمدة التي نقلتها منها ورويتها عنها ونسبت على ذلك في خطبها وعند النقل عنها ومع ذلك فأكثر الأحاديث مخرجه منسوبة إلى روايتها مع عزوها إلى أصولها فالمدح والقدح في شيء من ذلك راجعان لأولئك العلماء الأعلام أئمة الإسلام (١) وأما أنا فان نسبني أحد إلى قلة العلم والتقوى (٢) فوالله انه لصادق في ذلك وأنا أقربه ولكني لأمين فيما نقلته في هذه الكتب عن غيري محق فيما ضمنتها من نظمي ونثري ولم أضغ شيئاً فيها إلا بعد التروي والتثبت وهي لعمرى بشهادة المنصفين من المسلمين وغير المسلمين تعد من محاسن الإسلام في هذا العصر ولا أقول ذلك على سبيل الفخر بل لبيان حقيقة الحال في هذا الشأن وانظر هذه الجمعيات النصرانية الدينية تجدوها لم يظهر على يد جمعية منها في مدة مائة سنة أو أكثر مع كثرة أموالها وأعوانها مقدار هذه الكتب وقد أظهرها الله تعالى بفضله وكرمه على يدي وأنا واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع قلة بضاعتي وهجرتي وفقري وكثرة أشغالي وتشويش بالي في هذه المدة الوجيزة وهي خمس عشرة سنة وضلها عدة مؤلفات كبيرة وصغيرة لم يتيسر طبعتها إلى الآن .

فان قلت ليس الفضل في ذلك لك وانما الفضل لله تعالى ثم لسيد العالم ودين الإسلام فان مجال الكلام واسع ورأس المال كثير فمهما نظمت ونشرت ومهما صنعت ونقلت تجد من المعاني المحقة والمعلوم الصحيحة الكثيرة ما هو أكثر من آناء الدهر وأغزر من مياه البحر وما أنت في ذلك إلا كما قال القائل :

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان ملكت لساناً قاتلاً فقل

والامر في تلك الجمعيات ليس كذلك وانما هي كما قيل " ضاق شبر عن مسير " فمن اين يأتون بالمعاني المحقة وليس هناك حق وانما هي أباطيل

(١) يروي ان الشيخ النبهاني قد تحققنا لمن أخبر بأن الاستاذ محمود شكرى الالوسى قد كتب كتاباً ضخماً في الرد عليه وهو غاية الأمل في الرد على النبهاني قال النبهاني " هذا رد على العلماء وليس على " وروى هذه الحادثة الشيخ محمدر الخطيب سمعتها منه في ١٩٧٥/١٠/٥ (٢) تواضعه العلمى .

يلفونها واكاذيب يجمعونها ويفرقونها .

قلت نعم لاشك أن الأمر كذلك ولكن سعة مجالنا وكثرة رأس مالنا لا تمنعان من أن تعلم أن ظهور مثل هذه الكتب على يد من شاء الله من خلقه هو من أكبر النعم علينا معاشر المسلمين فلنتفق على الخير ونتق الله ونحمده سبحانه وتعالى على ما أنعم به وأولاه .

وبعد هذا كله فلا شك أن هذه الكتب المجموعة في الفضائل والسير لا تخلو من بعض الأحاديث التي قيل فيها أنها موضوعة أو إسرائيلية وإن قل ذلك جدا فضلا عن الأحاديث الضعيفة التي هي في السير والفضائل أكثر منها في غيرها ومع ذلك لا يخلو مؤلف مهما كان صاحبه عالما من الخطأ قل أو أكثر فقد أبى الله العصمة لكتاب غير كتابه وإنما ينظر في الأشياء كلها لكثرة المحاسن والمساوي فإن غلبت المحاسن كان ذلك الشيء حسنا وإذا غلبت المساوي كان ذلك الشيء سيئا سواء الكتب وغيرها ثم أورد ما كتبه في آخر آخر الباب الثاني من كتابه سفادة الدارين في شأن العمل بالحديث الضعيف (١) وفي هذا يبري النبهاني ذمته مما قد يوجد في كتبه من الأحاديث الضعيفة جاعلا ممن سبقه من العلماء قدوته . فضهجه في مؤلفاته يشبه إلى حد كبير منهج الإمام محمد بن جرير في تاريخه " تاريخ الأمم والملوك إذ يقول في المقدمة " فما يكون في كتابي هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين مما يستكره قارئه أو يستشعره سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ولا معني في الحقيقة فليعلم أنه لم يوت فيه من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا (٢) .

مكانته الاجتماعية :

احتل الشيخ يوسف النبهاني مكانة مرموقة في عصره نتيجة لمكانته العلمية حيث أن كثرة أساتذته الذين تلقى عنهم سواء في الأزهر أو عن طريق الإجازات الكثيرة التي حصل عليها . وكثرة تلامذته الذين كانوا يطلبون

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٨٦ - ٣٨٧

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ٥٥

الاجازات منه ممن منحهم اجازات خاصة او عامة • كل هذا يشير الى أن الرجل كان مشهورا في عصره •

ولعل هذه الشهرة قد آتت نتيجة لطبيعة العلوم التي تداولها ممن اقتصر على دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم مما أدى الى تعاطف عامة الناس معه اضافة الى أن مدحة لوجهها عصره في بدء حياته أعطاه مكانا ليقول منه ويسمع صوته •

ومن مظاهر مكانته الاجتماعية زيارة السلطان عبد العزيز سلطان المغرب له : •

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله :

((أعلم أنه ورد أن التحدث بالنعم شكر وأن من أسديت اليه نعمة فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها ولذلك أقول : بينما كنت في شهر شعبان في العام الماضي ١٢٩٨ هـ مقيما في حيفنة بمائتي (١) ورد الى • " تلفراف " من بيروت من صهرى الشريف السيد محمد الصادق الجبالي التونسي قال لى فيه : ان مولاي عبد العزيز سلطان فاس السابق الموجود في بيروت يوجه السياحة سيمر بحيفنة في " الوابور " وقد أمرنى أن أخبركم بذلك لتقابلوه ولم أكن اجتمعت بسيادته قبل ذلك فانتظرت قدم الباخرة حتى اذا وصلت توجهت اليها مع جماعة من العلماء فلما تشرقنا بمقابلة هذا الملك الاصيل السيد النبيل قابلنا بالقبول التام وعاملنا بأخلاق أمثله من السادة الكرام أبناء الكرام طبقة بعد طبقة الى سيد الانام عليه الصلاة والسلام فقبلنا يسده الكريمة وتمتمنا بمحاسن خلائقه الجميلة واخلاقه العظيمة التي تجل عن أن توصف بوصف أو تقوم بتبجيحه • وكان من افضل اخلاقه الدالة على أصالة أعراقه أنه طلب منا قبل أن نطلب منه النزول الى البر ليسرف منزل الحقيق (٢) فيحصل لى به الود والسرور العظيم والشرف الكبير فنزلنا وقبل

(١) شاعت هذه الكلمة في فعنى الاسرة وهو خطأ • عبد السلام سرحان

(٢) أى منزل الشيخ يوسف النبهاني

وقد أذن له حبا به صلى الله عليه وسلم بالاجتماع اليه والمثول بون يديه ولو لا نسبتي لخدمته عليه الصلاة والسلام لما تواضع لى كل هذا التواضع ولا أكرمنى كل هذا الاكرام ومما لا طغنى به هذا الملك الجليل قوله لى : ما سألت عنك احدا الا أثنى عليك الثناء الجميل وقد بلغنى من بعض حاشيته الامناء انه سأل عنى كثير العلماء والفضلاء فأجابوه بالمدح والثناء حتى بالغ بعضهم فقال له هو حسان زمانه فالحمد لله على فضله واحسانه على انى والله كثير الصيوب والاوزار ولكن سبحانه الكريم الستار (١) .

عادل بك الصلح :

اجتمعت بالاستاذ عماد بك الصلح وهو أخ رئيس وزراء لبنان الاسبق الاستاذ تقى الدين الصلح . وكان الاستاذ منع بك الصلح حاضرا وهو أخ الاستاذ عماد بك الصلح . قال الاستاذ عماد بك الصلح : " ان والده عادل بك الصلح كان يهتم بشخصيات قليلة فى استقباله للناس منهم الشيخ يوسف النبهانى ومحمد عبده والامير عبد القادر الجزائري (٢) .

الدكتور احسان عباس :

وأخبرنى الاستاذ الدكتور عباس - رئيس الدائرة العربية فى الجامعة الأمريكية ببيروت . وهو من قرية " عين غزال " التى تبعد ١٥ كم عن قرية أجزم " قرية الشيخ يوسف النبهانى . أخبرنى فقال : " ان والدته أخبرته أن المساجد فى فلسطين قد أذنت فى غير وقت الصلاة أخبارا بوفاة الشيخ يوسف النبهانى " ويقول الدكتور احسان عباس وهذا لا يحدث الا عند وفاة أحد العظماء

(١) العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية ص ٧٢

(٢) اجتمعت به فى منزله فى بيروت الكائن فى منطقة الحمرا مقابل السفارة السعودية فى ١/١/١٩٧٥ علما بأنه يحضر رسالة الدكتوراه عن الاستاذ احمد فارس الشدياق فى جامعة السوربون فى فرنسا .

الشيخ عبد الله العلايلي :

واخبرني الشيخ عبد العلايلي في ٥ / ١ / ١٩٧٥ حيث اجتمعت به في بيته قال " كثيرا ما كان الشيخ يوسف النبهاني بحكم منصبه مركزا في الاجتماع يخلص المسلمين من أيدي النصارى ويقف معهم في خصوماتهم الدينية وكثيرا ما كانت تحدث هذه الخصومات خصوصا في بيروت حيث كانت مركزا للتبشير المسيحي . كما كان لا يتأخر عن مساعدة كل شخص يعلم أن قضيته على حق أو في سبيل الله .

وهناك قصة اشتهرت في بيروت في وقتها وهي أن اثنين كانا يلعبان الورق في أحد المقاهي في بيروت وقد اختلفا فشم أحدهما الآخر فورد عليه الآخر بأن شتمه وشم دينه ونبيه والهه ويبدو أن الشاتم الأول كان مسلما . وكان إلى جانب المقهى جزار مسلم فلما سمع من شتم الله والاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم هجم على الشاتم وأخذ يطمئه بالسكين حتى مات وألقى القبض على القاتل وأغلق دكانه . وحكم عليه بالاعدام وأرسل الحكم إلى السلطان عبد الحميد ليصادق على الحكم ولما علم الشيخ يوسف النبهاني بالقصة أحضر أخا القاتل وكتب له استدعاء بأسلوب حسن مدعوم بالأدلة الشرعية بأن من قتل دافعا عن دينه لا يجوز قتله بالمقابل . كتبها بصيغة التماس بأسم أخ القاتل وطلب منه أن يتوجه بها إلى استتبول وحمله برسائل توصية إلى أصدقائه هناك حتى يوصلوه إلى السلطان عبد الحميد وبعد مدة جاء الرد باطلاق سراح القاتل وعدم اعتبار فعله جريمة قتل . وقد زاعت هذه القصة وانتشرت وكانت حديث الناس من مسلمين ومسيحيين لفترة طويلة واشتهر بها الشيخ يوسف النبهاني فزادت محبته في قلوب المسلمين . وأظن أن المقتول كان نصرانيا .

يوسف النبهاني الحفيد :

وحدثني الاستاذ يوسف النبهاني (الحفيد) قال : ((كان من الناس الذين يكثرون من زيارته كل يوم الشيخ الحريري وكان يجتمع عنده جميع وجهاء البلد أمثال عبد الحميد كرامي ^{والسيد رشيد كرامي رئيس وزراء} - لبنان حاليا ووالد تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان الأسبق وهو

عادل بك الصلح والشيخ مصطفى نجا مفتي لبنان • وغيرهم من الوجوه •
والاعيان ويقول أيضا تحدثنا والدتي أن العلماء والوجهاء كانوا يقدمون
لزيرة الشيخ يوسف النبهاني من مختلف أنحاء العالم الاسلامي وبعضهم
كان يأتي بيروت خصوصا لزيارته وكان لا يخلو يوم من ضيف • وكان يقدم
اليسير من الطعام قدر استطاعته وكان يدعو الى عدم المبالغة والتكليف
في اطعام الضيف حتى لا يحدث حرج في استقبال غيره وكان الكثير من
الوجهاء ورجال الحكم في بيروت يزورون الشيخ يوسف ليأكلوا من طعامه على
سبيل البركة • وكان لا يدور الحديث في جلسة الا في العلم والاولياء
وفي كيفية حماية امة المسلمين من التبشير المسيحي الذي نشط في روضة
خصوصا في بيروت (١) •

الشيخ عبد الرزاق البيطار :

ترجم له في كتابة حلية البشر واما قاله " أقول ان هذا الامام
والشيخ الاديب الهمام قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم / الزواهر
وسعدت مطالع شمائله بأدابه العجيبة البواهر ، فهو الالهي المشهود
له بقوة لادراك واللوندى المستوى مقامه على ذروة الاملاك وله ذكاء أحد
من السيف اذا تجرد من قرابه وفكر اذا أراد البحر أن يحكيه وقع ففى
أضطرابه وتضرى بيزرى بالعقد الثمين والدر المنثور وصرى على كمال
الادراك وتنام الشعور فهو فارس ميدان البراءة والصفاح وصاحب الرماح
الخطية والاقلام الفصاح .. الخ (٢) •

الشيخ أحمد حسن المطاس :

ووردت رسالة من الشيخ أحمد حسن المطاس رضى الله عنه الى الشيخ
يوسف النبهاني رضى الله عنه وبعد ذكر ما اجيز به من علوم فيض يسه
وظاهرية قال : ((..... واستروا ما رأيتم من هلال وزلل (٣)

- (١) قابلته عدة مرات في مكان عمله في مطار بيروت الدولي وهو مهندس طيران ٢٤/١٢/١
- (٢) حلية البشر تأريخ القرن الثالث عشر الشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٣ ص ١٦١٢
- (٣) يقصد تلقية عن كبار العلماء والاولياء مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني وابن حجر
 وغيرهم واجتماعه بأهل البرز يقطه •

وما رأيتم اصلاحه أو عدم ذكره فأذنت لتلك في ذلك والدعاء لكم مبدول ومنكم
مسؤول ونسأل الله القبول وصدرا اليكم جبة الباس وهي التي كانت ملبوس صليبو سي
بمكة المشرفة في العام الماضي وقت ورودى اليها للحج وجعلناها مسح
هذا الكتاب بيد محبنا الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر باذيب
الشبابي وهو مسافر الى عدن الزمناه يرسلها اليكم وليكن الجواب بوصولها
عن طريقه ونحن لكن داعون وذاكرون والسلام عليكم وعلى حاضري حضرتكم
ومن شملته دائرة ودكم وعنايتكم منا ومن لدينا من الاولاد وذى الوداد .

حرري ٢٧ شوال ١٣٢٦ هـ قال ذلك وأمله الفقير الى عفو الله
السيد / أحمد بن حسن بن عبد الله ابن علي بن عبد الله المطاس
المقيم ببلدة حريضة (١) .

الشيخ محمد نصر الخطيب :

يقول ((..... اشتغل - الشيخ يوسف النبهاني - في أول أمره في الجوائب
وعن طريق الجوائب صارت له صلات متعددة . وقد سمعت حكاية عن الشيخ يوسف
النبهاني أنه عندما كان في الاستانة في أول زيارته لها سمع به أحد الكبار فاستدعاه
لتعليم أولاده ولما عرف أنه كان في مصر يطلب العلم في الأزهر قال له لقد كنت في
تلك المدة في مصر فلماذا لم تتعرف علي فقال الشيخ يوسف النبهاني : يا سيدي
لو عرفتني في مصر لما عرفتني في الاستانة يعني أنه كان طالبا صغيرا وفي الاستانة
أصبح علما كبيرا .

ويبدو أنه في أول تخرجه من الأزهر لم تسعه فلسطين ولم تتحملة فانطلق الى
عاصمة الخلافة الاستانة . وقد كان يهادية أساطين الملوك من المغرب والهند
وكان رجلا معتقدا محبوبا من طبقات العلماء والفقراء والصوفية . وقد اتخذ من
مديحه للشخصيات الكبيرة في عصره سلما للوصول أمثال أبي الهدى الصيادي والساطان
عبد الحميد وعزت باشا العابد (٢)

(١) جواهر البحار الشيخ يوسف النبهاني ج ٤ ص ٣٤٣ علما بأن الشيخ أحمد حسن
المطاس المذكور هو من السلاوة النبوية الطاهرة وهو بأهدائه الجبة للنبهاني
انما يقاد بجدد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي اهدى ثوبه ايضا الى كعب
بن زهير رضي الله عنه .

(٢) مقابلة مع الشيخ محمد نصر الخطيب في بيته في بيروت ٥ / ١٢ / ١٩٧٤ م .

الاستاذ أمين النبهاني :

حدثني الاستاذ أمين النبهاني " أبو نيهان " عندما زرت للمرة الرابعة لاجل الاستفسار عن أخبار الشيخ النبهاني في بيته مقابل السفارة الفرنسية دمشق في ١٨ / ١٢ / ١٩٧٤ وكان ما حدثني به قوله : ((..... زار أنور باشا بيروت وهو وزير حربية تركية تزوج ابنة السلطان محمد رشاد وقد حضر جمال باشا قائد الجيش الرابع مع مفتي الجيش المذكور الشيخ أسعد الشقيري - إلى بيروت لاستقبال أنور باشا وكان من المستقبلين الشيخ يوسف النبهاني وعندما حضر أنسور باشا وشاهد الشيخ يوسف النبهاني تقدم لتقبيل يده ولكن الشيخ يوسف سحبها ثم قلده جمال باشا في تقبيل يد النبهاني فسحبها أيضا . وكان هذا المشهد بحضور أسعد الشقيري .

يقول الاستاذ أمين النبهاني : ((سمعت هذه الحادثة من الشيخ يوسف في العريشة في أجـنـم)) .

الشيخ نديم الجسر :

يقول : كان الشيخ يوسف النبهاني رئيس محكمة استئناف الحقوق أعلى سلطة قضائية في الولايات وليس أعلى منها الا استنبول . وكان من أهل العلم المتشددين وله تأثير كبير في الاوساط الرسمية والاهلية (١) .

النبهاني يرفض منصب " مفتي فلسطين " :

حدثني السيد محمد مصطفى النبهاني قال : رفض الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله أن يكون مكان ائمتي عندما نفى المفتي الى الأردن من طيف الانجليز وكان أخوه كامل الحسيني مفتي القدس وهو عالم والافتاء ورائه ولما مات وضعوا الحاج أمين الحسيني فرفض المسلمون لانه لم يكن متعلما فذهب ومكث قريبا من ستة أشهر في الا زهر بمصر وفي مدة غيابه عين مكانه الشيخ حسام جارا لله ورجع الحج أمين

(١) مكالمة تليفونية أجراها الشيخ طه الولي المستشار الثقافي والصحافي بسفارة تشاد في بيروت مع الشيخ نديم الجسر في ٥ / ١ / ١٩٧٥ م .

الحسيني من الأزهري وكان رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الاستاذ راغب النشاشيبي وهو الطائفة لآل الحسيني على الزعامة فذهب مع الحاج أمين الى حسام جارا الله وطلبا استقالته فاستقال واستقال الاستاذ راغب النشاشيبي وذهب الى وظيفته سابقا مفتشا للمعارف وأصبح الحاج أمين مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى وقى ثلاث سنوات في الاقتناء وعند تجديد المدة بالانتخاب جاء زعماء فلسطين الى اجزم وطلبوا من الشيخ يوسف أن يكون مكان الحاج أمين ورغبوه بالمال حيث أن راتب الافتاء ١٥٠ ليرة فلسطينية وراتب المجلس الاعلى ٢٠٠ ليرة فلسطينية فرفض الوظيفة لانها ستكون المنفعة لا واما الانجليز وكان ما قاله لهم : لو ان فلسطين اليوم يحكمها حاكم مسلم لمشيت اليها - الوظيفة - بدون مقابل . وكان لا يتدخل في السياسة وانما يتدخل في النواحي الدينية (١) .

ومن مظاهر مكانته الاجتماعية نفاذ كلمته في قلوب عامة المسلمين وحرصهم على قراءته مما يكتبه حتى اعتقدوا أن مريانا أي فكرة على قلم الشيخ يوسف النبهاني لا كان كافيا لاشهارها وذيوعها .

ويحدثنا الشيخ النبهاني رحمه الله عن شيء من هذا فيقول " فخطر لى أن أكتب شيئا في بيان مراد الشيخ عبد الفتى النابلسي رضي الله عنه من تلك العبارات الموهمة (٢) لمن لم يكن له العلم في معرفة كلام مثله من السادات ثم رجعت عن ذلك لئلا أكون سببا لاشهارها فيقع المحذور وتزيد الشهور وقلت لعل هذا الكتاب وبعض عباراته الموهمة مدسوس على الشيخ كما وقع مثل ذلك للامام الشحراني رضي الله عنه في بعض كتبه وذكر أنه وقع لغيره أيضا (٣) ((

وفي مثل هذا يقول أيضا ((..... مع أني كنت قبل هذا المنام - الذي رأيت فيه الامام ابن تيمية والامام السبكي - كبت شيئا في الرد على ابن تيمية - نقلت فيه جملا جميلة من كلام العلماء ثم ترجعت عندي ألا افعل لئلا أخدش افكار عوام المسلمين بتبسيهم الى رأيه الفاسد في ذلك وهم عنه غافلون (٤))) .

ترج

(١) اجتمعت بالسيد محمد مصطفى النبهاني في بيته في دمشق يوم ١٧/٧/١٩٢٤

(٢) في مصاحبه الفلمسان

(٣) المجموعة النبهانية في المذائح النبوية ج ١ ص ٢٥

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤

فالنبهاني بما كتبه عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا كان يمثل
الامام الفزالي (١) في عصره حيث أن حالة العصر الثقافية والاجتماعية كانت تساعد
على رواج مؤلفات النبهاني في الاولياء الصالحين ولعل طبيعة الموضوعات التي
طرقها النبهاني في مؤلفاته تجد في الكثير من مفكرى المسلمين من يرد عليها
بالاضافة الى الجو الملائم الذي سببهوهم المسيحيون عن طريق صحافتهم لاشغال
هذه المعركة التي هي أقرب الجدل الذي يعتمد عنه النبهاني بالاضافة الى
ظهور رأى الخصم واشتهاره ثم ان علوم النبهاني في الكرامات والاولياء والتصوف
ليست من الامور العقلية التي تنجلي وتتضح بالنقاش والجدل الذي يعتمد
على المنطق . وانما هي أمور غرامية ذوقية قلبية ومن هنا نجد أن الصوفية كثيرا
ما يرددون في وجه خصومهم قول الامام الجعيد البغدادي " نحن أصحاب حال
ولسنا أصحاب مقال " ومن هنا أيضا نعرف سر هجوم الفزالي على العقل وجعله
قاصرا عن ادراك المعرفة التي موطنها القلب وهذا كان موضوع كتاب " الحقيقة
في نظر الفزالي " للدكتور سليمان دنيسا .

لعل هذه الاسباب تكون كافية في تفسير عدم شهرة النبهاني عن طريق
صحافته عصره واشتهاره بين عامة المسلمين وخاصتهم حتى وصلت شهرته الى أواسط
أفريقيا حيث أصبح بعض المسلمين يسمون أولادهم " يوسف النبهاني " تبركا
بصاحب الاسم الاول كما هو ظاهر بنشرة وكالة الانباء السودانية .

تفاعله مع أحداث عصره :

حدثني الشيخ عبد الله الملايلي قال : ((لم يستطع الشيخ يوسف النبهاني
أن يكون صدي الأحداث عصره إذ كان منزويا لخلجاته الخاصة جدا في الجوانب
الدروية فهو رجل طيب في علاقته بمجتمعه عاش في برج عاجي لم يكن زين الأحداث
يجد لديه التجاوب وهو قد عاش الأحداث الكبرى في عصره فقابلها كأنه في الجبيل
الماضي وكان لسان حاله يقول " وفيت قسطك للعلاقم " كأنه كان واجبا

(١) قيل أن الامام الفزالي قد هدم الفلسفة في كتابه تهافت الفلاسفة ولم تقم للفلسفة
بعده قائمه ولم تفلح محاولة ابن رشد في كتابه " تهافت التهافت " يقول علماء
الفرنجه " ان الفزالي طعن الفلسفة في الشرق العربي طعنه قاضية وكاد يكون
نصيبها في الضرب كذلك لو لم تلق في ابن رشد حاميا لها احياها قرنا من الزمن
رجال الفكر والدعوة في الاسلام ابو الحسن الندوي ص ١٨٨

أن يحصل هذه ~~سواء~~ .

ان الاحداث التي كان ينبغي لمثله أن يبصرها كانت تجد صدًى عند حافظ وشوقي أما عنده فلم تجد أي صدًى . كان عنده الاقتصار على الذوقية وكان ما بعده قريبا الى الله يسفر عن مدائح نبوية . والنبهاني قد تحدث في العهد الاخير من حياته (١) .

في كلام الشيخ عبد الله الملايلى مجانفة للحقيقة نوعا ما لان الشيخ النبهاني قد تفاعل مع أحداث عصره فتكلم عن التبشير المسيحي وعن التصوير وعن حركات الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وسخر قلبه وفكره في تحذير المسلمين من الدعاوى الاجنبية الوافدة وقد حرم الربا والتأمين بجميع أشكاله وهذه مثل بيــــــــــــــــح الضرر . ومن يطلع على مراسلاته التي وصلت من اطراف العالم الاسلامى لا يشك في مشاركته الاجتماعية ويذكر الاستاذ رشيد رضا في النار تحت عنوان " شكوى المنار من أحد علماء المبار " كلمة يذكر فيها أن أحد العلماء المسلمين في مقاطعة مليبار في الهند يذكر أن افكار كتب الشيخ النبهاني قد انتشرت في مقاطعته ويطلب من السيد رشيد رضا بيان رأيه في الشيخ النبهاني وأفكاره (٢) .

ومجلة المشرق تهجم الشيخ يوسف النبهاني لانه طبع كتابا في هجوم النصارى ومدارسهم التي يضللون فيها المسلمين وتقد مزاعمهم في ألوهية السيد المسيح ومدى صحة الانجيل المعتمدة لديهم (٣)

أما اعتزاله الحياة كما يقول الشيخ عبد الله الملايلى فهي نظرة موضعية لعدة وجيزة من آخر حياة الشيخ يوسف النبهاني . فالشيخ عبد الله الملايلى قد عاش مع الشيخ النبهاني في آخر حياته وقد نيف عن السبعين . وفي هذه السن

ذلك لان تقبل المسلمين لما يقوله الامام الفزالى اوقع في النفس لما يقوله ابن رشد للمكانة القدسية التي كان يحتلها في قلوب المسلمين .

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله الملايلى في بيته في بيروت بتاريخ ٦ / ١ / ١٩٢٥ م

(٢) المنار ج ١١ ص ٤٧

(٣) مجلة المشرق ج ١٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

يشعر المسلم بقرب أجله وأن الموت ينتظره فلا يكون منه إلا أن يترك الدنيا والنفس
ليستمد للحياة الأخرى بكثرة الصلاة والصوم والذكر .

ثم مؤلفات الشيخ النبهاني التي زادت على الستين لمن كان يؤلفها ؟ ألم
يستفد منها جميع المسلمين وهو يعاني العجز المادي طيلة حياته ويوصي أن يكون حق
طبع كتبه لجميع المسلمين بشرط ^١ رخص الثمن وجودة الطباعة ويجيز قراءة كتبه
لجميع المسلمين بشرط الأهلية ومن يقف في وجه التبشير المسيحي في بيروت التي كان
يخطط لها طيلة القرن التاسع عشر لتكون عاصمة لدولة مسيحية - ويؤلف الكتب
في بيان محاسن الاسلام ليقابل به دعاوى المبشرين في محاسن المسيحية لم يرصد
فكره وقلبه لترسيخ الجوانب المتلفة لشخصية الرسول في أذهان المسلمين ليتزودوا -
بها أمام الدعوى التبشيرية التي تظهر المسيح بأنه المنقذ الوحيد للبشرية والداعى
للسلام . كالدعاوى

ومن يصد عنه كل هذا كيف لا يكون مشاركاً في الأحداث ؟ والنبهاني
وقد وجه فكره لبراز الجوانب الرئيسية في عقيدة المسلمين أما الشهنة بانتصار الدول
العثمانية في أحد حروبها أو وصف الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية السيئة لفئة من
الناس أو التشكي من ظلم أحد الولاة فلم يكن هذا يسترعى انتباه الشيخ النبهاني
ليشغله عن تثبيت عقيدة المسلمين أمام التيارات الفكرية الدينية التي كانت تملأ سمع
الناس وأبصارهم بما تتزود به من قوة مادية ضخمة وإذا كان الشيء بالشئ يذكر فإن
ما ذكره الاستاذ احمد الشقيري في مذكراته موضحاً الاهتمام بالقواعد الأساسية
في العمل الوطني أولى من الاهتمام بالمظاهر .

وقد ضرب مثلاً على ذلك بزيارة السيد شكري القنولي لعكة وياقي مدن فلسطين
في حزيران ١٩٣٨ يقول الاستاذ الشقيري فاحتفلنا لقدومه وتجمع الناس لسماع
كلمته في الأحداث العربية الجارية وقلوبهم تحترق حماساً ووطنياً وهم يأملون منه أن -
يزيد هم حماساً وإذا به يفصح عن هدف زيارته فيقول أنه يطوف في فلسطين لبيع أسهم
ممنوع للكونسرو - المحليات - في دمشق فأصيب الناس بخيبة أمل وانفضوا من حوله
وهم يتمتمون وكأنهم يقولون تباك هذا جمعتنا ؟! وتوالت الايام وتبين لنا ممسا
حدث أن الحماس والوطنية وحدهما لا يكفيان إذا لم يدعهما اقتصاد وطني (١) ((

(١) أربعمائة عاماً في الحياة العربية والدولة الاستاذ احمد الشقيري ص ٤٣

كذلك أقول ان المشاركة الاجتماعية من الشيخ يوسف النبهاني لم تكن تغير من الواقع شيئاً اذا لم يكن في قلوب الناس من العقيدة والمبدأ ما يجعلهم يقومون مما يحدث في مجتمعهم بوعي وصيرة واتهام الشيخ عبد الله العلالي للشيخ النبهاني بالانتمالية وعدم المشاركة في أحوال مجتمعة . هو نفس الاتهام الذي وجهه الاستاذ رفيق التميمي الى الامام الخزالي (١) وهو الطريق الذي سلكه الاستاذ احمد حسين في حياته السياسية فقد تكلم عن موقفه السياسي عقب حريق القاهرة الذي أدعى الى تأزم الموقف سياسياً وترفع حدوث كارثة فعقد مؤتمراً صحفياً في البيت الاخضر مقر حزب مصر الفتاة ووزع مساء الخميس ٢٤ يناير بياناً على الصحف حلل فيه الموقف من الناحية السياسية والعسكرية وحذر في ختامه من أن كارثة توشك أن تحل بالبلاد وقال " لما كنت غير قادراً على منع هذه الكارثة فاني أعلن اعتزالي للعمل العام وسوف انم بيتي ريثما تتضح الامور وتستقر على وجه من الوجوه (٢) " .

رحلاته وأسفاره :

ذكر الشيخ يوسف النبهاني أسفاره في ترجمته لنفسه فقد دخل مصر أول مرة لطلب العلم وسنه سبع عشرة سنة في غرة محرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين ^{والتي} ثم عاد الى فلسطين في شعبان ١٢٨٩ بعد أن مكث سبع سنوات في الزهر وأقام في عكة يقرأ الدروس في جامع الجزائر . وفي سنة ١٢٩٣ توجه الى دار الخلافية القسطنطينية وبقي فيها سنتين ونصفاً . ثم خرج منها قاصداً الى بلدة كوي سنجنق في ولاية الموصل شمال العراق وهي من أمهات بلاد الاكراد وفي طريقه اليها مر بحلب وديار بكر والموصل وشهر زور وخرج منها بعد خمسة عشر شهراً أي سنة ١٢٩٦ متوجهاً الى بغداد وأقام فيها أقل من شهر وزار فيها الامام موسى الكاظم والامام الاعظم أبا حنيفة والخوثر عبد القادر الجيلاني ومعروف الكرخي وحبيبا المصممي وأبا بكر الشبلي وسرياً السقطي والجنييد البغدادى وأبا النجيب السهروردي وغيرهم ثم توجه الى سامراء وزار فيها الحسن العسكري ثم عاد الى بغداد ومنها الى الشام عن طريق الديار وتقدم مرثم الى مسقط رأسه اجزم حيث والداه وأرحامه ثم توجه الى

(١) الحروب الصليبية للاستاذ رفيق التميمي ص ٧٦ - ٧٧

(٢) جريدة الجمهورية الخميس ٢٩ يناير ١٩٧٦ مقال بعنوان " من حريق القاهرة الى ثورة يوليو " الرئيس السادات يكشف حقائق

دار الخلافة سنة ١٢٩٧ هـ وأقام فيها نحو سنتين ثم عين رئيساً لمحكمة الجزاء ففى
اللاذقية وأقام فيها نحو خمس سنوات ثم تولى رئاسة محكمة الجزاء فى القدس وفى أقسل
من سنة رقى الى رئيس محكمة الحقوق فى بيروت وصلها فى رجب ١٣٠٥ وبقى فيها
الى أن أحيل على المعاش . ثم حج الى بيت الله الحرام لأول مرة سنة ١٣١٠ هـ (١)

هذا ما ذكره من شؤونه سفره مع ترجمته فى كتبه (٢) وفى أماكن مختلفة فى كتبه
ذكر أسفاره الكثيرة الى دمشق وحكة وحيفة والمدينة المنورة أما قرية اجزم فجميع سكانها
يذكرون أنه كان يقضى فيها فصل الصيف حيث كانت تقام له عريشه على ظهر بيت ابن
عمه وزوج ابنته تقيه الشيخ ابراهيم النبهانى وكثيرا ما كان يقضى بعض أشهر الصيف
فى قرية عالية من جبل لبنان لتبديل الهواء لمرضه (٣) .

وبدو أنه زار المدينة المنورة عدة مرات بعد أن أصبح رئيساً لمحكمة الحقوق
وكان ينزل فى بيت قرب باب البقيع من ابواب المدينة المنورة وهو بيت رجل صالح
من المجاورين اسمه الشيخ محمد كامل بن عبد الرحمن الجبرتى (٤) .

وكثيرا ما كان يأتى معه زائرا وينزل فى بيت الشيخ مصطفى البابى الحلبي وغيره
من كبار علماء مصر وقد سجل الشيخ النبهانى فى آخر العقود اللؤلؤية " عدة لقاءات
تمت له مع كبار العلماء مثل الشيخ سليم البشرى شيخ الازهر والشيخ بكرى الصدفى
مفتى مصر والشيخ بخيت المطيعى مفتى الاسكندرية والشيخ يوسف البد رشومى
والعلامة أحمد بك الحسينى فقد كان يذهب الشيخ يوسف النبهانى معه الى بيتته
فى حلوان أو الى عزته قرب المحلة الكبرى وفى أحد المرات أقام معه فيها خمسة
عشر يوما . وكذلك الشيخ سعيد الموجى وسعادة حسن باشا مدكور والشيخ عبيد

(١) وقد أخطأ صاحب معجم الشيخ فى ترجمة النبهانى أثناء ذكر وظائفه وتنقلاته
ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(٢) راجع هادى المرید الطرق الاسانية ص ٥٦ - ٥٨ افضل الصلوات على سيد
السادات ص ٢٦٣ واسباب التأليف من العاجز الضيف ص ٣٣١ - ٣٣٥

(٣) دلائل الخیر - رات ص ٣ .

(٤) دلائل الخیر - رات ص ١٤١ .

الرحمن عيش وهو "لا" جميعهم متفقون على ضلال محمد عبده الافغانى ورشيد رضا (١) وفى إحدى زياراته لمصر زار بلاد الصعيد برفقة شاب مصرى اسمه الشيخ محمود من أهل أبى تيج فزار ضريح الشيخ محمد الفرغلى فى بلدة أبى تيج وفى بلدة دير سعادة زار ضريح الشيخ أبى شرقاوى ثم ألى بلدة قنا وزار ضريح الشيخ عبد الرحيم القناوى ومنها الى الاقصر حيث زار فيها ضريح أبى الحجاج الاقصرى وزار المعالم الاثرية الفرعونية فيها (٢) وفى ربيع عام ١٣٢٩ زار الخديوى عباس حلى الثانى فى قصره ، وقد وصف ما تم بينهما فى اللقاء . وترتيب الخديوى له معاشا شهريا (٣) .

ويبدو أن الشيخ يوسف النبهانى كان كثيرا ما يزور مصر ويتجول فى ريفها نتيجة للدعوات التى كان يكلف بها من أحبابه .

حدثنى الشيخ محمد مصطفى أبو العلا قال زار الشيخ يوسف النبهانى قرية المنج من محافظة القليوبية يرافقة الاستاذ على أفندى جازم وصلى الجمعة فى جامع الشيخ سنجر بالمنج وكان الشيخ محمد عبد الغنى امام المسجد أمرد وبعد الانتهاء من الصلاة قال الشيخ النبهانى معلقا : سبحان الله فى بعض المذاهب من يسرى عدم صحة امامة الامرد . يقول الشيخ أبو العلا . كانت هذه عادة الشيخ النبهانى اذ كثيرا ما كان يعلق برأى فقهى على ما يراه مما لا يرتاح اليه (٤) .

ورغم كثرة اسفار الشيخ يوسف النبهانى كان يحن الى بلاده فلسطين وقرنته اجنم ولا بد أن تكون قد خطرت فى ذهنه وهى مسقط رأسه وملعب صباه ففاضت قريحته بوصفها والحنين لها ولكن لم يصلنا شئ من هذا عن طريق كتبه المطبوعة مع كثرتها وكل ما عثرت عليه لا يزال مخطوطا لا يتجاوز الثلاثة قصائد نسا ذكرها فى أغراضه الشعرية أن شاء الله .

(١) المبشرات النامية ص ٣٥ - ٣٩

(٢) البشائر الايمانية فى المبشراظ النامية ص ٣٧ - ٤٠

(٣) العقود اللؤلؤية فى الدائع النبوية ص ٢ - ٥

(٤) مقابلة مع الشيخ محمد مصطفى أبو العلا فى بيته بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٧٦ -

فى القاهرة .

المسورة

ذكر الشيخ يوسف النبهاني قصة حبسه في المدينة المنورة قال " قد حضرت من المدينة الى دمشق في أول رجب سنة ١٣٣٠ هـ بعد أن حبست في المدينة المنورة أسبوعاً ولكن بالاكرام والاحترام وذلك بناءً على تعصب الكافرين والمنافقين للثام الذين أوقفوا الفساد بيني وبين الحكومة بايهاهم اياها أني أفرق بينها وبينها رهاياها بكتبي وقصائدي التي دافعت بها عن دين الاسلام ونافحت بها عن سيد الانام عليه الصلوات والسلام ولا سيما الرائية الكبرى في وصف المله الاسلامية والملل الاخرى التي أشبعت بها الكلام في الرد على النصارى في مقابلة تعرضهم لدين الاسلام والرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الفراء التي أشبعت فيها الرد على أهل البدع والضلال اللثام الذين يدعون الاجتهاد ويسعون في الارض الفساد ثم تحققت الحكومة ما أنا عليه من الصدق في خدمة دين الاسلام المناقحة عنه وعن النبى عليه الصلاة والسلام فأمرت بتخلية سبيلي وأظهر لي كبار رجالها الندم وعلى ما كان فحضرت الى الشام فأستقبلني علماءها وأعيانها وغيرهم بنفاية الاكرام والاحترام (١) .

ويبدو أن الشيخ يوسف النبهاني قد سجن في المدينة المنورة بعد خروجه من من وظيفته حيث كان رئيساً لمحكمة الحقوق في بيروت وزارته للخد يوى عباس حلمى فى ربيع ١٣٢٩ . حين أصبحت الحكومة العثمانية بيد حزب الاتحاد والترقى لذلك كان من السهل على أعداء الشيخ النبهاني تحريض الحكومة الاتحادية عليه بعد أن زال عهد السلطان عبد الحميد الذى كان يعد من أكبر أنصار الشيخ النبهاني فى أفكاره ومعتقداته .



سجل الباب الثاني

" الفصل الرابع "

((شخصية ومبادئ))

مفتاح شخصيته :

تسير حياة الشيخ يوسف النبهاني في نسق واحد متكامل دون انكسار أو تحسول منذ نشأته حتى وفاته وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على فطرة حتى يكون أبواه هما اللذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) خير ما يفسر لنا شخصيته . فالشيخ النبهاني رحمه الله نشأ في بيت والده العالم الشيخ اسماعيل النبهاني . فحفظه القرآن وبعض المتون وتعرع في قرية " اجزم " المعروف بين قرى قضاء حيفة بكثرة علمائها . وفلسطين البلد المقدس بمبعث الانبياء والرسول ومهد الحضارات ومركز تجمعها فتوسطها بين مصر والعراق وسورية واليونان ورومية جعلها ملتقى هذه الحضارات التي تفاعلت فوق ترابها فأثرت في أهلها وظهرت في عاداتهم وسلوكهم وإذا كان هناك ارهاص حضاري يسبق بمبعث أي رسول ليمهده له ويهيئ الاذهان لسماعه وفهمه فقد حظيت فلسطين بجميع هذه الازهات الحضارية لان جميع الانبياء والرسول كان لهم في فلسطين مقام أو طريق . " واجزم " واقعة في منطقة الجليل التي هي من أكثر المناطق الفلسطينية خصبا وجمالا في موقعها الجبلي الذي تحيط به سهول كانت تكسوها الغابات قديما . وقد بقيت اجزم محافظة تقاربا على ثنائها الديني فلم يسكنها مسيحي أو يهودي .

كل هذه الظواهر كانت مؤثرات اساسية في شخصية النبهاني الوراثة البيئية فنشأ مفطورا على الدين وحب متابعة علماء السلف دون نظر أو اجتهاد ثقفة فيهم فهم أقرب لمصادر الشريعة وأكثر تفهما لها ولعل شخصية والده الصوفية الذي كان يداوم على أوراده حتى كان يختم القرآن كل ثلاثة ايام والذي يحدثن عنه والدي فيقول :

((كان لا يفارق المسجد خصوصا في فصل الصيف)) هي التي انطبعت في الشيخ يوسف النبهاني فأثرت فيه وراثيا ← ونشأ في بيته وتخرج منه وعمره ١٧ عاما بعد أن أصيب بعوده وبلغ الرشد حافظا للقرآن وبعض المتون فملازمة

الشيخ يوسف له هذه المدة هي المؤثر الأقوى في شخصية الشيخ يوسف أما والده فقد كان ملازماً لقرية اجزم لم يخرج منها فكان القرية بجغرافيتها وتاريخها وعاداتها متجسده فيه وهي بالتالي متجسده في ولده وفي أثر النشأة والتربية في سلوك الطفل يقول أبو بكر الأندلسي :

وطنبور مليح الشكل يحكى
روى لما ذوى نخما فصاحا
بنغمته الفصيحة عند ليل
حواها في قلبه قضيب
كذا من عاشر العلماء طفلا
يرى بشابه شيخ أديب

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه فقد أعيد تاريخ اجزم السياسي والاجتماعي والجغرافي في شخص الشيخ يوسف النبهاني ، فتاريخ اجزم سياسيا ان سكانها مفطورين على ولائهم للدولة العثمانية لم يتغيروا عنه وجميع سكان اجزم يتناقلون أخبار مقاومة أجدادهم لحملة ابراهيم باشا وهو في أوج انتصاره على الدولة العثمانية وقد حدثت موقعة كبيرة بين عسكر ابراهيم باشا وأهالي اجزم واج ضحيتها عدد كبير من عساكر الباشا فانتقم منهم وشرد الاهالي وهدم معظم القرية .

يقول الاستاذ محمد عزة د روضة ((.....)) ولقد روى لنا صد يقنا المرحوم معين الماضي أن بنى الماضي قادوا في منطقتهم حركة الثورة ضد ابراهيم باشا وأنه وقعت في اجزم بينهم وبين جيش ابراهيم معركة شديدة وأن أحد أجداده سليمان هو الذي حرض على الثورة وأن ابراهيم باشا قتل الشيخ مسعود (١) وابنه والقي القبض على عبد الرحيم وسعد الدين وعبد المالك وغيرهم من أبناء الاسرة وأن سليمان ومحمد الماضي اختفوا في الطنطورة ثم استطاعوا أن يهربوا بطريق البحر الى الآستانة وأن السلطان محمود اقبلهم وأنهم عليهم بلقب البيكوية وفيهم لهم (آيدين) محل إقامة في ضيافة الحكومة وأنهم عادوا الى البلاد مع الجيش العثماني وأن الحكومة عينت محمد بك متسلما على اجزم حينما تم جلاء الحملة المصرية وكانت حيفة تابعه لحكمه (٢) .

يقول الدكتور فاضل زيدان ((وكان من أثر مقاومة أهالي منطقة اجزم أن استوطنها بعض المصريين الذين يعرفون الى اليوم باسم أسرة " المصري " وهناك عائلة أخرى عرفت باسم أسرة البيجرى " وقد تعلم اثنان من أبناءها في الأزهر وهما الشيخ توفيق البيجرى والشيخ يوسف البيجرى " وقد ذكر الشيخ يوسف النبهاني

البيجرى

(١) يقول الاستاذ محمود المايلدي " أن الشيخ مسعود الماضي شيخ مشايخ =

أنه - في الأزهر - حضره روس الشيخ إبراهيم السقا في التحرير والمضيح لشيخ
الاسلام في فقه الشافعي بحاشيتها للشرقاوي والبيجيري في شمائل الترمذي (((١) .

لعل الشيخ البيجيري الذي ذكره الشيخ يوسف النبهاني من عائلة البيجيري
المصرية نفسها التي استوطنت " اجنم " كما ذكر الاستاذ محمود أبو الميوني فسي
كتابه تاريخ الأزهر المحدثين الشيخ إبراهيم البيجيري " (٢) .
رأه من رجال الأزهر

وتاريخ اجنم اجتماعيا يدل على انهم كانوا متميزين فيما بينهم لروابط النسب
المتشابهة بينهم ولا يوجد شخص واحد لا تربطه بأي شخص آخر رابطة من قرابة
أو نسب وكثيرا ما تحدث بينهم المشاكل الكبيرة التي سرعان ما تحل بعد أن تهدأ
النفوس وتتوسط العقلاء منهم علما بأن اجنم لم يكن بها مركز للشرطة على الرغم أن
سكانها أكثر عددا من بعض القرى التي فيها مراكز للشرطة .

والشيخ النبهاني على الرغم مما بلغه من علو المقام ورفعة الشأن لدى الحكومة
العثمانية لم ينس بلده مسقط رأسه وملعب صباه فقد كان غالبا يقضي فصل الصيف
من كل سنة - فيها في بيت الشيخ إبراهيم النبهاني زوج ابنته ثقية ويقول والسدي
" كان الشيخ يوسف اذا حضر الى اجنم في فصل الصيف يحضر معه من الهدايا
التي يخلب أن تكون من نسيج الملابس الى جميع نساء أقاربه وأقارب أقاربهم " .
وفي شعره لم ينس بلده فهو كثيرا ما يذكرها معرضا بشوقه وحنينه اليها - سنوضح
الشواهد في أغراض شعره - وكان له رحم في نابلس علمت خبر زيارته في رسالة
وخطوطه أطلعني عليها الاستاذ أكرم زياتر سفير الاردن في لبنان في ١٠ / ١ / ١٩٧٥

== جيل نابلس قتله إبراهيم باشا في نابلس اثر معركة طاحنه دارت فيها قتال
فيها نحو ٧٠٠ من النابلسيين وقد هرب من المشايخ قاسم الاحمد ووعيسى
البرقاوي وعبد الله الجرار " من تاريخنا ج ١ ص ٢٠٣

(٢) كتاب العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي الاستاذ محمد عزت روز - ٢ ص ٣٤٣ .

(١) هادي المرشد الى طرق الاسانيد ص ٥٨ .

(٢) تاريخ الجامع الأزهر ص ٧٣ .

موجهة من الاستاذ عوني عبد الهادي الى الاستاذ محب الدين الخطيب .

ومن وفاءه لطفولته ما حدثني به الاستاذ محمد خير النبهاني في ١٢ / ١١ / ٢٤ قال " ومن قصص تواضعه ووفائه - أي الشيخ يوسف - أنه بينما كان جالسا مع أصحابه إذ سمع أن أحد اصدقائه قادم لزيارته ويدعى " أبو خريش " وهو من أصدقاء طفولته - فنزل دج " عليه " التي كان بها ونزل يعانقه وعاد به الى المجلس وأجلسه بجانبه وفي اليوم الثاني بعث وراءه وأعطاه مبلغا من المال وقال له هذا دين عليك حتى تستطيع سداده وذلك حتى لا يكون احراجا له علما بأن عمله في اجزم كان حراشا . "

وأما صورة اجزم جغرافيا فقد وصفت في شعر الشيخ ^{النبهاني} وهو كثيرا ما يصف الاشجار والجمال متغنيا به ولعل قوته في الوصف والاتيان بالصور الملموسة نابغ من المناظر الطبيعية لجبال وسهول وأودية ومنايع الماء في بلده فهذه المواقع الجغرافية قد أسهمت في تفتح شاعريته عن صور مختلفة لا يعجز عن التفنن في رسمها وزخرفتها خصوصا وهو قد عاش السبع عشرة سنة الاولى من عمره فيها وفي هذه المرحلة من العمر يكون الانسان في قمة تأثره بما حوله من مؤثرات توجهه في سلوكه .

ومن العوامل التي أثرت في شخصية النبهاني مكانة أسرته الاجتماعية فهو ينتسب الى أسرة " آل النبهان " وهي وان كانت عريقة في عروبتها كما وضحنا ذلك في الفصل الاول من هذا الباب لم تكن ذات مكانة اجتماعية مرموقة في فلسطين فان عند أفرادها قليلون ولم يشتهر منهم الا من تعلم في الأزهر وكان لهم مكانة دينية عاطفية في قلوب سكان اجزم . ويبدو أن الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله كان طموحا تواقا للمعالي فهو لم يكتف بأن يكون شيخا للوعظ والارشاد في مسجد اجزم أو عكة كما كان في السنة الاولى بعد رجوعه من الأزهر بل تردد الى دمشق وبيروت عدة مرات واجتمع بعلمائهما . ويبدو أنه لم يجد ضالته فيهما (١)

وفي هذا المعنى صور الشيخ النبهاني رحمه الله حقيقة مشاعره وطموحه الذي المعالي معتذرا الى وطنه وأهله لاغترابه عنهم . وهو في كل هذا يضرب الامثلة الكثيرة التي يسوغ فعله هذا لانه طريق سلكه الانبياء من قبله صور ذلك في قصيده

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ .

مدح بها الشيخ محمد أبو الهدى الهمداني جمل طموحه وأسفاره ومناصرة الأهل
والأوطان مقدمه للمدح جاء فيها :

فواصل سفح الدمع في خده دما
فكان يقبض النفس لما تشبها
تألق في جو السما فتألمها
فأذكر من ليلي سوارا ومعضما
سطا وروى عن ذلك القوس أسهما
طوت من غرامي ما رجا متضرما
ولم أرضلما من ضلوعي تقوصما
أرى وصلها قبل الممالي محرمما
يجوز عليه أن يهان ويظلمما
لك الله سافر تلق في الأرض مغمما
لأرجع عن غم سوى أن أتمما
الا بعد بعدى يا حبيبى فاسلما
فما هي الآن تسير فتندمما
عن السير الا أن أرى الهدى راحما
من العمر بعد وبي وأخر أدهما
حميدا وقد أبدلت عيشي المذمما
فسوف تراني ضاحكا متبسما
نعم والقصارى ان يعزوبكرما
لما جاءت الرسل الأكابر منهما
لمكة لم يظفر بما كان صمما
لقد ين لم يرجع رسولا مكرما
أما صار في مصر العزيز المعظما
طريقا اتاه الرسل فيما تقدمما
فقلت وان عدتم فلن أتكلما (١)

تذكر دهرنا بالعقير ثم صرنا
وهبت عليه من ريا الشام نسمة
ويأن له من جانب الحسى ببارق
وأبكاه قوس السحب لما بدا إليه
كأن الهوى منه عليه بصمما
كأن احمرارا فيه محنى أضلما
يقولون طبع النار تقويم ما أنحنى
وانى على وجدى بليلى وأرضهمما
وما أنا ممن يرتضى موطننا بسمة
ورب نصوح قال لي وهو هممتى
فطالبت عزى بالرحيل ولم أكن
وودعت أوطانى وأهلى قائلما
وقالت لي اللوام اياك والنسوى
فقلت لهم كفوا فليست بحجما
دعوى فلن أنفك أركب أدهما
الى حين ادراك الامانى فأنثنى
وان كانت الاخرى التى عبثوا لهمما
وقالوا اغتراب الصر هون وذلة
فلولا فراق الخلد حوا وآدم
وأحمد خير الخلق لولا فراقهم
وموسى كليم الله لولا رحيمه
وفى غربة الصديق يوسف عبدة
وما ضرتى لدم اذا كمت سالكما
فقالوا دعوه انه غير سامما

(١) قصيدة مخطوطة بخط يد الشيخ عبد الهادي عبد الهادي راوية شعر الشيخ

يوسف النبهانسى .

فقصده الآستانة عاصمة الملك ومركز السلطنة حيث توزع المناصب وكذا في الحكم .
وأول وصوله اشتغل في تحرير جريدة الجوائب وكان مضطرا لقبول هذا العمل — وان
كان لا يرضاه — لا يجاد مصدر معيشة له .

وبعد وأنه وجد في عمله الجديد بعض المتفلس لطموحه فظهر من شهوته ومقد رتبته
الادبية واللفوية ما جعل رئيس تحريرها — الجوائب — وهو الاستاذ اللغوي أحمد
فارس الشدياق يتمسك ببقائه لمساعدته في إصدارها حتى كان يعد وجود الشيخ
النبهاني بجواره من أكبر نعم الله عليه ففداه ذلك لان يعرض عليه زيادة أجره
أو مشاركته في الجريدة ولكن النبهاني رفض لانه عين قاضيا في " كوى سنجق " في
العراق . فنفسه الطموحه الى المعالي ومكانة أسرته المتأخرة اجتماعيا (١) . دفعته
لان يتخذ من قدرته العلمية والادبية واللفوية سلما للوصول . عن طريق مدح
شخصيات عصره والتقرب بل والتزلف اليهم ليساعده على تحقيق طموحه . في المناصب
المالية فلم يكن المدح هو فنه وادبه وإنما الجنى اليه للضرورة ولهذا كما نراه كثيرا
ما يتكرر لشعره الذي قاله في هذا الفرض فيأمر باتلافه ويوصي راويه شعره الشيخ
عبد الهادي عبد الهادي زاجرا اياه عن رواية أي شعر في غير مدح الرسول صلى
الله عليه وسلم معتذرا عن مدح هؤلاء فيقول : ((أعلم أنه قد سبق مني قصائد
مدحت بها بعض الأكابر من أهل العصر ولم أدونها لاني أن لم أكن أثما بها فسيلا
أحسبها من أعمال البر فكان الحامل عليها الدنيا لا الدين في استعطاف بعض الأكابر
المسلمين لقضاء حاجاتي ومساعدتهم . بنهماتي ولم آخذ من أحد منهم جائزة
على شيء من ذلك ولست بحمد الله ممن يتخذون الشعر صنعة ويأخذون عليها
الجوائز فقد أغنانى الله بفضلته عن استجداء الناس بالشعر وغيره ، فقد سهل لى
تمالى للرزق منذ نشأتى ولم يحوجنى الى شيء من ذلك ان قام والدى بحفظه الله
وجزاه عنى خير الجزاء بكفايتى في صفرى ومدة مجاورتى في الجامع الأزهر ثم توجهت
الى القسطنطينية مرتين أقمت فيها في كل مرة أكثر من سنتين فيسر الله لى مطامعة
جريدة الجوائب فكنت آخذ منها في كل شهر عشر ليرات أجرة التحرير والتصحيح
ولا أشتغل بذلك الا نحو ساعتين أو ثلاث غالباً وكان ظلك يطلب صاحبها أحمد

ذلا

(١) في عصره كانت المناصب توزع حسب المكانة الاجتماعية في الدرجة الاولى وليس
للمكانة العلمية .

أفندي فارس والحاجة بحيث كان يمدني من أكبر النعم عليه وأظهر الاسف الشديد لخروجه حينما توظفت في الحكومة ، وقد عرض علي أن اشاركه فيها أو يزيد فـسـسـي أجرتني فلم أقبل مع أنني كنت في مدة اقامتي في القسطنطينية في احتياج الى النفقة فيسرها الله لي بغاية الاعزاز والاكرام .

الى أن سافرت منها في المرة الاولى الى العراق بقضا كوى سنجق في ولاية الموصل ثم رجعت وسافرت منها في المرة الثانية سنة ١٣٠٠ هـ لرياسة محكمه الجزاء في اللاذقية من سواحل الشام ثم بعد الاقامة فيها خمس سنين نقلتني الدولة نصرها الله بوساطة (١) من قد رآه لي الخير على أيديهم بدون طلب ولا علم مني السـيـ رياسة محكمة الحقوق في بيروت وذلك في سنة ١٣٠٥ هـ مع زيادة المعاش نحو ٥٠٠٠٠٠ على حال ولقلة أشغال هذه الوظيفة الهمني الله الاشتغال بالتأليف وقد صار لي فيها تسعة عشر عاما بهذه السنة ١٣٢٤ هـ وفي أثناء هذه المدة عاد اني وآذاني بعض اكابر الاشرار فسعوا في عزلي والمبالغة في ضرري وتكرار منهم ذلك حتى في هذه المدة فحمانى الله من شرهم بفضلهم وكرمهم وكرامته لحبيبة صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

فان قال قائل ان قصائدك التي ذكرت أنك مدحت بها بعض الاكابر ولم تلتزم فيها الصدق والحق سيأت لاحسنات في صحيفة أعمالك مرقومة ومثالب لا مناقب فـسـي جملة آثارك مرسومة ، قلت نعم . . . لو كان القصد منها وصف المدح وحين بحقيقة تلك الاوصاف لكان الامر كما ذكرت ولكن الشعر صنعة من أدق الصنائع والماهر فيسسه يجتهد فيه بقدر حذقه في بهرجة الفاظه والمبالغة في معانيه ويقدر استطاعته يجتهد في تحسين صنحته ليظهر المهارة والحذق لا ليخبر بالحق والصدق ومثل هذا يعفى عنه ان شاء الله تعالى ومع ذلك أقر وأعترف بأنني لا ورع عندي بهجرتي عن المحارم والشبهات ولو كان لما نظمت تلك القصائد فاني لو تحريت فيها الصدق فيما أصف به المدح وحين لكانت من أبرد الشعر وأركه اذ الشعر صنعة لا يحسنها الا الكذب والمبالغة فيه فقد قيل " أكذبه أعذبه " الا أن يكون في مدح الانبياء والاولياء والمصلحين ولا سيما اذا كان في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه مهما

(١) في الاصل : بوساطة . . . وهو خطأ شائع . . . وصوابه ما أثبتنا . . . عبيد السلام سرحان .

بالغ الشعراء لا يصلون الى ما يجب له عليه الصلاة والسلام فضلا عن أن يكذبوا أمسا
مدائح غيرهم فلا يحسنها الا المبالغة في الكذب .

ولخوفى من تبعة تلك القصائد لم أجمعها في ميوان كملدة الشعراء ولم أذكر
شيئا منها في كتاب من هذه المؤلفات الدينية التي أعدها ان تقبلها الله بفضله
من الاعمال الصالحات غير أنى أرجو أن تكون من المباحات لا من الحسنات ولا من
السيئات وهى لا تتجاوز خمس عشر قصيدة سوى المقاطيع وكلها أو جلها طبعت ككل
واحدة منها وحدها ولم يكن شئ منها في مدح أحد من الكفرة ولم أهج أحدا
معيانا من المسلمين بل ولا غير المسلمين الا أن يكون ذلك في القصائد النبوية
في ذم أعدائه صلى الله عليه وسلم ومكان فيها من وصف الخمر فهو جار على عادة
الشعراء والا فوالله الذى لا اله الا هو لم يدخل فى ولا جوفى شئ منها ولا من
غيرها من جميع أنواع السكرات وقد كنت في صفرى أنظر الى من يقال عنه انه يشرب
الخمر كنظري الى الكفار أو قريبا منهم والحماية حماية الله والحمد لله رب العالمين
حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده .

وقد ذكرت هذا البحث هنا لئلا يسيى الظن بى من أطلع على شئ من تلك
القصائد المطبوعة ومبالاتى فيها فيحسبها من الاباطيل التى لا تقال والموراث التى
لا تقال فيقل الاقبال على كتبى النافعة فيحرم القارى خيرا كثيرا وأحرم انا الاجر الذى
يترتب لى على انتفاعه بها .

ولا جل تمام الفائدة أنقل هنا ما قاله في ذلك بعض أئمة الاسلام السخ
" ثم ذكر ما كتبه الامام ابن حجر المصقلانى في الزواجر الكبيرة الستون والحادى -
والستون بعد الاربعائة في أحكام المدائح التى تصدر من الشعراء فيها مبالغات ^(١))
اذن ما أقوله بعد هذا : أنه مدح بعض الشخصيات في عصره ليعوض ما فقد
من تأخر أسرته اجتماعيا يظهر هذا في مدحه لاحمد عزت باشا العابد
الكاتب الثانى للسلطان عبد الحميد ، وهذه القصيدة بلغت خمسة ومئة بيت وهى

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٩٠ - ٣٩٣ .

مطبوعة ضمن اطار مزخرف بيد وفيه انها كانت تعلق في البيوت اعتزازا بمعدو حشها
وقد جاء في ختامها :

يا بهجة المصري زين الزمان ويا
أتمبتي فأتد لا تولني نعمها
عجزت والله عن شكرى لسالفها
هذى مكارمك الاولى وفيت وكفت
بحر المكارم لا تنفك توليها
جديدة قد كفاني منك ماضيها
فكيف امكان شكراني لايتها
والان نفس التفات منك يكفيها (١)

ومثل هذا قوله في مدح الاستاذ أحمد فارس الشدياق :

نمتك فأعطف بالقبول مؤكدا
ودونك منى غادة عريضة
دريت أننى مهديكها فتبسمت
نفغفرا حماك الله ما أنا واصل
وحسبك أنى في اغترابى لم أجسد
تكامل فيك الفضل لزلت حائزا
ليبدلنى دهرى المنايا أمانيا
أتت لك عجا بالمدح تهاديا
فقلت بنح ما للملوك وما لينا
علاك ولو صفت النجوم قوافيا
سواك امرأ ما جنى الدهر واقيا
كمالا على كرا الجديدين باقيا (٢)

ومثله قوله في مدح الاستاذ الشدياق أيضا .

واعذر فتى درست معالم أنسبه
جمع الأسى جملا لديه وشمله
أوطانه بعدت عليه وأنمها
يبغى أجتاعهما ويعلم أنسه
ولعل هذا الحكم ينقضه فتى
فأسلم ودم سندا لمثلى والملا
ومشى عليها الدهر وهو مقيد
عقد بأيدى الحادثات مبيد
أوطاره وهى الممالى أهد
شىء يحكم زمانه لا يوجد
أتت المراد به كريم أمجد
عن فضلك العالى حديث مسند (٣)

فهو في القصيدة الاولى التى مدح بها الشدياق يصرح في البيت الذى قبل
الأخير بأن الاستاذ الشدياق كان المنقذ والملجأ للشاعر في اغترابه في الاستانسة

(١) قصيده مطبوعة وحدها المطبعة الادبية بيروت ١٠ جمادى الثانية ١٣٢٠

(٢) كهر الرغائب في منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٤٠

(٣) المصدر السابق ص ١٣٣

وفي القصيدة الثانية يصرح بأن الاستاذ هو محط آمال الشاعر وعليه يعلق طموحه للوصول الى الملا ، فالشعور بالضعف الذي يبدو على الشاعر فيما يؤمله من مدد وحيه يدل على طموح الشاعر وبعد آماله وأنه ما كان يرضى بما يصل اليه بل يتطلع الى المزيد وكأنه كان يرسم لنفسه مكانة لا بد أن يصلها فاذا أنهى مرحلة منها طلب ما بعدها حتى يصل الى مطمحه ويحقق آماله ولكنه يملك الوسيلة اذا لا بد أن يوجد لها من ذاته عن طريق مدح وجهها عصره .

فمفتاح شخصية النبهاني أنه من أسرة آل بنهان الدريقة في عروبتها ولكن لم تكن لها مكانة اجتماعية مرموقة فاضطر الشيخ يوسف لان يستخدم مقد رته العلمية في مدح شخصيات عصره لا رضا طموحه في الحصول على الوظائف العالية وهو مخلص للدولة العثمانية خصوصا السلطان عبد الحميد ورجاله . وهو متدين بل متبذل في تدنيه وقب مقد رته الادبية لخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا وكان حريصا على ألا يؤثر شيء من أدبه في غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لأنفسه لا يعد غيره جديرا بمدحه .

أخلاقيات :

كان الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله ملتزما بالقرآن والسنة لا يلتفت الى سواهما مما قد يقتضيه الحصول على نشأته في " اجنم " وتربيته وتعلمه على والده الشيخ اسماعيل النبهاني ثم تعلمه في الزهر على نظام الحلقات على مشاهير علماء عصره كان له أكبر الأثر في تكوينه الخقي والارجح أن يكون للشيخ النبهاني قد حددت معالمه الخلقية قبل أن يخرج من اجنم لانه عاش طفولته وبواكير شبابه في بيت والده العالم الزاهد الملتزم بالشريعة الاسلامية أما الحقبة التالية من حياته في الزهر فقد كان مشغولا في التحصيل والمطالعة .

ويذكر الشيخ يوسف أنه كان يحضر حلقات جمال الدين الافغانى وكان الافغانى يظهر نحوه الميل والقبول ولكن الشيخ يوسف ترك مجلسه لما رأى أنه يسى الظن بالصوفية والشيخ يوسف رأى الشيخ الشربيني يطرد الافغانى من الزهر ويضربه بعضا (١) .

(١) جواهر البحار الشيخ يوسف النبهاني ج ٢ ص ٥٧ - ٥٨ .

فأنفضاض الشيخ يوسف النبهاني من حلقة الاففاني يدل على أن خلقه وتفكيره قد
تحدد سابقا لذلك يرفض أي فكر يمارسه .

ومن معالم أخلاقه وتواضعه ما حدثني به الشيخ عبد الله الملايلي بمنزله فسي
بيروت يوم ٥ / ١ / ١٩٢٥ - قال " كان من أصدقاء الشيخ يوسف النبهاني
المقربين الشيخ محمد العربي المروني أمين الفتوى في لبنان وهو محدث كبير
وصوفي وحافظ وقد علم الشيخ النبهاني على الطعام ودخل عليهما رجل اسمه
أبو محمد الجزائري وكان دلالا ولما رأي الشيخ النبهاني أخذ يتناوله بالسباب
والشتائم والشيخ النبهاني مطرق برأسه لا يتكلم بشيء وهذا يدل على حلمه " ويقول
الشيخ عبد الملايلي أيضا :

" وقد كان الشيخ يوسف قليل الكلام ومن يجلس معه يشعر بروحانية اذا تكلم
عن شؤونه الخاصة تكلم ببطء . وكان في لسانه تأتأة واذا تباحث أحد معه فسي
أحدى المسائل وأحوجه لبيان وجهه نظرة يفيض كالبحر . "

كما حدثني المهندس يوسف النبهاني الحفيد - بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٢٤ قال
حدثني والدتي قالت " كان من عادات الشيخ يوسف أنه اذا اجتمع في بيته
نسوة وجاء وقت مغيب الشمس طلب مني أن أخبر النساء بوجوب زهابين النسي
بيوتهن أزواجهن . " ومن أشهر معالم خلقه الاسلامي : الحكم بالشرعية
الاسلامية :

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " قد فصلت من وظيفتي رئاسة
محكمة الحقوق في بيروت سنة ١٣٢٧ هـ (١) بعد أن أقمت ثنتين وعشرين سنة متواليه
وكنيت فيها كما قال الشيخ مصطفى الباي الحلبي وكان من قضاة عصره وأفضلهم
وأشهرهم :

وليت الحكم خمسا وهي خمس	لعمري والصبا في العنقوان
فما وضع الاعادي قد رشاني	ولا قالوا فلان قد رشاني

(١) نفس السنة التي قامت فيها الثورة على السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ م .

سوى أنه قد ولي الحكم خمسة أعوام ووليته ثلاثين عاما منها في بيروت اثنتان وعشرون والباقي في بيت المقدس واللاذقية وكوى سنجق من بلاد الاكراد . والله أنسى لا أذكر أنى حكمت في هذه المدة حكما مخالفا للشرعة المطهرة او لفرض سوى اتباع الحق بحسب مقدرتى ومعرفتى ولذلك رأيت في منامى وأنا في المدينة المنورة أن محكمتى في جانب محكمة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكأننا معه أحياء والحمد لله رب العالمين .

وقد كان فصلى من وظيفتى المذكورة نعمة من أكبر النعم التى أنعم الله على فأنه سبحانه وتعالى وفقنى من حين فصلى منها الى الانى لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم والاقامة في جواره مدة سبع سنوات ما عدا أيام الصيف عند شدة الحر فكت أرجع الى بلاد الشام فأقيم فيها مدة الصيف ثم أرجع (١) .

أود أن أضيف أن الحكم بالشرعة الاسلامية كان هو السائد في زمنه والسبب الذى قبله فقد جاء في مرسوم تسليمه الشيخ عيسى الماضى ليافة الموطن في ١٤ محرم ١٢٤٧ قوله : " فكنا متسلمية يافة من عهدة الشيخ سعيد المصطفى المتسلم السابق وقد فوضناها لعهدة الشيخ عيسى المومأ اليه فلزم اخباركم بذلك لكي تعلموا أن المومأ اليه منصوب متسلما من طرفنا ونخبر متسلمنا المدعى المومأ اليه أن يلزم منك أولا وذائما أن تكون مطابقا كافة أمورك للشرع الشريف والقانون المنيف " الخ (٢) .

وقد أشار الاستاذ مصطفى مراد الدباغ لهذه المتسلمية فقال " الشيخ عيسى الماضى من " أجزم " من أعمال حيفة امتدت متسلميته أى تولى منصب قضا يافسة من ٩ محرم ١٢٤٧ الى ١٥ جمادى في السنة نفسها (٣) .

(١) دلائل الخيرات ص ٥ - ٦

(٢) الاصول العربية : لتاريخ سوريا في عهد محمد على باشا الدكتور أسد رستم ج ١ ص ٢٧ - ٢٨

(٣) بلادنا فلسطين مصطفى الدباغ ج ٤ ق ٢ ص ١٨٢ .

والى عفته فى القضاء أشار الأستاذ أدهم الجندى فقال :

..... " اشتهر بالعفة والنزاهة خلال مدة أعماله فى القضاء كان مضرب المثل فى الجرأة وقوة الإرادة ولا يقبل شفاعاة أحد فى أحكامه ~~التي~~ زانه الله بالحصانة والعزة والهيبة (١) . "

استعماله الألفاظ النابية فى وصف الخصوم :

يقول الأمير شكيب أرسلان فى وصف الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله "....."
الا أنه كثير الوسواس عظيم الاعتقاد فى الأولياء والصالحين قائلا بخوارق المسادات والكرامات الى حد الفلوفكان يكره كل من يشك فى شىء منها (٢) . "

وجاء فى مقدمة رسالة الشيخ النبهانى بعنوان " حسن الشريعة فى مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة "

اعلم أن كلامى فى هذه الرسالة إنما هو مع المسلمين المحافظين على الصلوات المنقادين لأحكام الشريعة الشريفة ما ورد عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وأئمة دينه المبين أما التاركون للصلوات من أولئك الفساق الجهال الذين يدعون الاحتياط (٣) ويسمون فى الأرض بالفساد فلا كلام لى معهم لليأس من سلوكهم سبيل السداد ، وكيف يمكن اقناعهم بصلاة الظهر بعد الجمعة وأكثرهم لا يصلون الجمعة ولا ظهرا ولا فرضا ولا نقلا فهو لا يقنعهم كلام ولو كان صادرا من أكابر أئمة الاسلام ، إذ هم ليسوا من العلماء ولا الصالحاء بل هم من الجهال المجانين ولو كان جهلهم بسيطا كان الأمر سهلا ولكن جهلهم مركب من جهلات تراكت على قلوبهم ويعترضون على تدوين هذه المذاهب الأربعة وينزعون بجهلهم أن ذلك تشتيت لأمر الدين وتحكم للآراء فى شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم وما علموا فى جهلهم الذى وصل الى درجة الجنون أن المذاهب الأربعة إنما هى

(١) اعلام الادب والفن الأستاذ أدهم الجندى ج ٢ ص ٣٤٢

(٢) كتاب السيد رشيد رضا وانباء اربعين سنة ص ٧٥

(٣) متى استعمل الشيخ النبهانى هذا المصطلح فالمقصود مدرسة الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا لانه ذكر مناسبة جمعة مع محمد عبده ولم يصل راجع كتاب البشائر الانبائية فى المبشرات المنامية ص ٣٢ - ٣٥ .

شروح للكتاب والسنة لم يخرج شيء منها عنهما أما صراحتهما دلالة ولا يقدر على استنباط الأحكام منهما إلا أولئك الأئمة المجتهدون اجتهاداً مطلقاً حتى استنبطوا الشريعة المحمدية من الكتاب والسنة وما ألحق بهما من الإجماع والقياس وضبطوها أحسن ضبط لا يمكن الوصول إليه لولا أعانة الله تعالى لهم عليه ودونوها على هذا الوجه المشهود المشهور الذي تكفل بحفظها من الزيادة والنقص والتبديل ومن ثلعب الناس بأرائهم الفاسدة وأفهامهم الكاسدة مثل هؤلاء الحمير الذين لو سلم الأمر إليهم لانحلت عرا الدين وضلت هذه الأمة كما ضل غيرها من أمم الأنبياء السابقين ولكن الله تعالى وله الحمد والمنة قد قال " أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون " ومن تمام حفظه أن يسر لفهمه أولئك الأئمة الاعلام نواب خاتم الرسل الكرام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (١)

ويذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتاب دلائل الخيرات رسالة وردته من الرسول صلى الله عليه وسلم وما ذكر قوله : - " قد اجتمع العلامة الأئمة السيد محمد بن جعفر الثاني الفاسي وهو مجاور بأسرته (٢) في المدينة المنورة في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٣٢ هـ بالشيخ الجليل بركة الله عبس الرووف القندهاري الخراساني السليماني وسنه نحو السبعين عاماً الحاج الى بيت الله على قدم التجريد احدى وعشرين مرة ماشياً حافياً من قندهار الى بيت الله الحرام فقال لسيدى محمد بن جعفر المذكور رضى الله عنهما انه القى الى من الحفرة النبوية القاء صحيحاً لاشت فيه وهو وقت نزوله بي يكون أشد على من حمل الجبال أن أقرأ السلام على الشيخ النبهاني من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرحمة والبركة وقل له على لسانى - أى على لسانه صلى الله عليه وسلم - ان احتياج الناس الى العلم أشد من احتياجهم الى المال وقل له أيضاً وصية منى له : " طهر لسانك وقلبك "

انتهت رسالته صلى الله عليه وسلم للفقير يوسف النبهاني مع هذا الولي الجليل رضى الله عنه وقد أخبرني بها سيدى محمد بن جعفر رضى الله عنه في ١٧ محرم ١٣٣٢ هـ فنى منزله بالمدينة المنورة كما أنه هو تلقاها من الشيخ عبد الرؤف الخراساني في هذا المنزل الواقع في جوار سيدنا عبد الله والد النبي صلى الله عليه

(١) حسن الشريعة في مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة الشيخ يوسف النبهاني ص ٣٣

(٢) في الاصل : بعائلته وهو خطأ شائع .

وسلم والحمد لله رب العالمين .

ثم اجتمعت بالمعالم الفاضل الصوفي الكامل الشيخ محمد أعظم الهندي المجاور في المدينة ولأن الشيخ عبد الرؤف القندهاري المذكور كان ضيفا له نازلا في داره - فذكرانه قد سمع منه ذلك كما أخبرني به سيدي محمد بن جعفر بذلك وقال - أخبر به الشيخ يوسف النبهاني ولم أكن في المدينة المنورة في ذلك الوقت بل كنت في بلاد الشام ولذلك لم أفز بالاجتماع بالشيخ عبد الرؤف رضي الله عنه (١) .

ومن يقرأ قصيدة الرائية الصفري في ذم البدعة ومدح السنة الغرا للنبهاني التي هجا فيها كل من الافغاني ومحمد عبده ورشيدا والالموسي . يجد أنه استعمل ألفاظا نابية جدا (٢) .

حسن الظن :

كان الشيخ النبهاني رحمه الله يحسن الظن بالغير محاولا تخرج الامور على أفضل وجه لهما استطاع الى ذلك سبيلا فهو يقول بعد أن دافع عن الشيخ عبده الفني النابلسي رضي الله عنه وقد الأقوال التي تتهمه بحب الفلمان وقال " والله الذي لا اله الا هو اني أقبل بانشرح صدرى نسبة العيب لنفسى ولا أقبل نسبته الى أولئك السادة الكرام . شمس الايمان ويدور الاسلام حشرنسى الله في زميرهم ولا حرمنى في الدارين ثمرة بركتهم وهكذا ينبغي أن يكون كل مسلم لأنهم أئمة قدوة لجميع المسلمين ويرجع الى الدين ما ينسب اليهم من الثقبين والتحسنين (٣) .

ومما يظهر حسن ظنه حتى فيمن يخالفونه في الرأي والمذهب كالامام بن تيمية فيعد أن سرد الشيخ النبهاني رؤية رأى فيها ابن تيمية والامام تقي الدين السبكي في المنام قال " ولم يخطر لي في المنام شيء مما وقع من ابن تيمية فسي سألتني زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة ورد السبكي عليه

(١) دلائل الخيرات شرح الشيخ يوسف النبهاني ص ١٤٣ - ١٤٤

(٢) الديوان ص ٣٤٩ - ٤٠٠ .

(٣) المجموعة النبهانية ج ١ ص ٣٠

ذلك أنى كنت قبل هذا المنام كتبت شيئاً في الرد على ابن تيمية نقلت فيه جملاً جليلاً من كلام العلماء ثم ترجع عندي إلا أفعل لئلا أخدش أفكار عوام المسلمين بتببيهم إلى رأيهم الفاسد في ذلك وهم عنه غافلون وابن تيمية هذا هو أمام كبير وعلم علم شهير من أفراد أئمة الأمة المحمدية الذين تفتخربهم على سائر الأمم ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل فقد أخطأ في مسائل قليلة منها هاتان المسألتان خطأ فاحشاً خالف فيه جمهور الأمة من السلف والخلف وابن تيمية وإن أخطأ في هذه المسائل قد أصاب في مسائل لا تعد على أن بعض ما نسب إليه في تلك المسائل انكر نسبتها إليه بعض العلماء الإثبات وعلى كل حال إن الحسنات يذهبن السيئات وأنا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرني مع الأمايين الجليلين في جملة المؤمنين المتحابين (١) .

الأمانة العلمية في النقل :

من يقرأ في كتب الشيخ النبهاني يلاحظ أنه لا ينقل عبارة إلا ويشير إلى مصدرها فهو يتحرز أن ينسب كلام غيره لنفسه فهو في أثناء كلامه عن التبيين الثاني في فوائده جمع شمائله صلى الله عليه وسلم يقول " فجزاه الله عنا أفضل ما جرى مرسل عن أرسل إليه فانه أنقذنا به من الهلكة وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفى به ملائكة ومن أنعم عليه من خلقه فلم تفسد بنا نعمته ظهرت ولا بطننت لنناجها حظاً في دين ودنيا أوقف بها عنا مكروه فيها أو في أحد منهما إلا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببه والقائد إلى خيرها والهادي إلى رشدها .

وهذه العبارة من قوله " فجزاه الله إلى آخرها " عبارة أماننا الشافعي رضي الله عنه نقلتها من رسالته التي رواها عنه صاحبه الإمام الربيع بن سليمان رحمه الله (٢) وهذا يدلنا على مدى احترار الشيخ النبهاني من أن ينسب لنفسه قولاً ليس له والشيخ النبهاني رحمه الله يذكر في كل كتاب له المصادرات التي رجع إليها في كتابه موضحاً طريقته في نقل المعلومات من مصادرها وظروف تأليف الكتاب . مثلاً في كتابه " وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ النبهاني

(١) المجموعة النبهانية في المذاهب النبوية ج ١ ص ٢٤

(٢) وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٩

..... فجمعت هذا الكتاب من آثاره وشماله الشريف صلى الله عليه وسلم وأدخلت فيه جميع الشرائع التي رواها الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي رضي الله عنه بعد حذف مكررها وأسانيدها ، ولم أتقيد بترتيبه وتبويبه بسلك أسلويا غير أسلوبه واضفت اليها من كتب الائمة الاتى ذكرها أكثر منها بكثير وألحقت بخريب الالفاظ ما تدعو اليه الحاجة من ضبط او تفسير فجاء كتابا حافلا ليس له في بابه نظير وسميته " وسائل الوصول الى شمائل الرسول " .

وهذا بيان الكتب التي نقلت ورويت منها (١) " فهذه أصوله لم يخرج عنها شيء منه اللهم الا أن يكون ذلك في تفسير القريب فأني قد رجعت فيما لم أجده فيها كتب اللغة وذلك نزر يسير وقد ذكرت في بعض الشرائع اسم الصحابي راوى الحديث والإمام مخرجه وفي بعضها اسم الصحابي فقط ولم أذكر في بعضها غير متن الحديث تابعا في جميع ذلك الاصول المذكورة وقد رتبته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمه (٢) ثم أخذ في ذكر الابواب والفصول ..

البشارات النامية :

اهتم الشيخ النبهاني رحمه الله بمرائيه النامية التي سماها البشرات النامية وهي تضم ما رآه هو بنفسه أو ما رآه الناس له وقد سجل هذه البشرات في كتاب خاص سماه كتاب البشائر الايمانية في البشرات النامية ملحق بديوانه " العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية " ذكر فيه ستين مبشرة نامية رآها أو رويت له وفي كتابه جواهر البحار ذكر احدى عشر مبشرة أخرى (٣) .

وفي كتابه الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات ذكر عشرين رؤيا نامية (٤) وقبل اعادة طبع شواهد الحق " للمرة الثانية أخبر الشيخ النبهاني بلاء طبع كتابه من شركة مصطفى البابي الحلبي فأرسل لهم مبشرة نامية لتذكر في آخر الكتاب

(١) ثم يذكر الكتاب

(٢) وسائل الوصول الى شمائل الرسول ص ٢ - ٤

(٣) جواهر البحار في فضائل النبي المختار ج ٣ ص ٤٣٧ - ٤٣٨

(٤) الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات ص ١٤٥ - ١٤٧

فيكون مجموع المبشرات الضامية التي رآها الشيخ النبهاني والتي رويت له اثنتي عشرة وتسعين مبشــرة •

وقد اهتم الشيخ النبهاني بها حيث كان يكتبها في الوقت الذي يستيقظ فيه من النوم حتى لا ينساها وقد تنلم في كتبه كثيرا عن الروى الضامية وأدلتها في الشرع ففى كتابه البشائر الايمانية المذكور (١) ونقل فيه ما قاله الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية من حيث اعتبار المرائى الضامية فى نظر الشرع الشريف مستشهدا " بالكتاب والسنة ثم تكلم عن رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام واليقظة ثم تكلم فيما ورد فى حق الكذب فى الروى • وفى آخر كتابه الاساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة " الملحق بكتاب شواهد الحق تكلم عن الروى شرعا وفيما ورد فى حق الكذب فى الروى (٢) وفى كتابه سعادة الدارين تكلم كثيرا عن الروى الضامية وعن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة وضاما مستشهدا بما قاله العلماء فى كتبهم وتكلم عن تفسير رؤياه صلى الله عليه وسلم ثم أورد رسالة الشيخ محيى الدين بن العربي يتكلم فيها عن الروى الضامية وسندها من الشرع • ذكر فيها عدة مرآة نبوية له وبعد أن انتهى رسالة الشيخ محيى الدين بن العربي رضى الله عنه قال " ورأيت كتابا كبيرا لسيدى أبى المواهب الشاذلى كله فى رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم ورأيت رسالة فيها خمسون رؤيا نبوية للسيد محمد المحفوظ المخرنقى ابن باباس رضى الله عنهما (٣) وكان الشيخ النبهاني يدل على شرعية المرائى الضامية وأنها فى حكم المتفق عليها عند علماء الشريعة وهذا الحرص من الشيخ النبهاني على شرعية المرائى الضامية يشير الى وجود من ينكر صلتها بالحقيقة فى عصره وهذا لا يستبعد حيث كثرت النظريات الغربية الفكرية الوافدة من الغرب وكان لها من يروجها خصوصا فى بيروت موطن الشيخ النبهاني •

لذلك يطيل الشيخ النبهاني فى الكلام عن الروى الضامية ويكثر الاستدلال على شرعيتها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والعلماء من بعدهم •

والشيخ النبهاني رحمه الله يؤمن بما يراه فى المنام أو يراه الناس له أيمانا مطلقا

(١) كتاب البشائر الايمانية فى المبشرات الضامية ص ٢ - ٨

(٢) شواهد الحق للنبهاني ص ٥٦٣ - ٥٦٥

(٣) سعادة الدارين ص ٤٠٩ - ٤٧٨ فى كتابه هذا ذكر الشيخ النبهاني ٤٠ -

فائدة لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام ص ٤٨٤ - ٨٩٣

ربما يستدل به على شرعية بعض ما يستريب من أمور عارضه لم يطمئن اليها . مشال
 ذلك ما ذكره الشيخ النبهاني في المبشرة الرابعة من مرائيه النبوية قال " كنت ألتجى
 بعض الاحيان لتمشية أمور الدينوية الى بعض أكابر الناس الذين ليسوا على قدم
 التقوى والصلاح وكان يحصل لي من ذلك بعض تشويش خوفي من أن يكون ذلك غير
 مرض لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكنت أستدل لنفسى على جوارى بدخول
 النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة في جوار المطعم بن عدي عند عودته من الطائف
 لما توجه اليها بعد وفاة أم المؤمنين سيدتنا خديجة رضى الله عنها ووفاته عنه أبى
 فعابله طالب فقابله بما يكره فعاد مكروبا فلم يمكنه الدخول الى مكة الا بجوار كبير منهم فأرسل
 الى المطعم بن عدي ليدخل في جواره فقبل ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم فمضى
 جواره وبعد أن طاف بالبيت توجه الى منزله وكان معه موله زيد بن حارثه رضى الله
 عنه فكنت اذا تخطرت ذلك يسهل على الأمر ففى سنة ١٣١٧ هـ جئت رجل فقال
 انه فلان بينما كان يشرب المسكرات في مجلس له به بلغه الخبر بأذيتك الاذية البالغة
 من طرف رجل آخر فقام واجتهد وهو في تلك الحالة لدفع الاذية عنك فوفقه الله لذلك
 فسررت من جهة وحصل لي قبض شديد من جهة أن هذا الرجل الذى استدل اليه ففى
 دنيائى أمور ~~مكروبا~~ وهو في هذه الحالة السيئة من التهمك بالمعاصى ، واستمر معى القبض -
 لذلك عدة ساعات من النهار والليل الى أن نمت على تلك الحال من القبض لهنذا
 السبب فرأيت في منامى كأنى في محل مرتفع في جهة مكة وهو الجبل الذى هو فوق
 مقبرتها المعلاة وأنا ناظر الى جهة مكة والنبي صلى الله عليه وسلم داخل اليها من
 جهة المعلاة وقد سار في أوائل العمران وخلفه شخص آخر يتابع له وبينى وبينه نحو
 مئتي خطوة وأنا من خلفه أنظر اليه وإلى الشخص الذى معه وهو صلى الله عليه وسلم
 يسرع بدخوله اليها على هذه الحالة وأهلها جميعا مشركون على ما هم عليه من
 مخالفته صلى الله عليه وسلم ثم انتبهت وتذكرت أن هذه حالة دخوله صلى الله عليه
 وسلم الى مكة ومعه زيد حين رجعه اليها من الطائف فكان لي بذلك أعظم اعتبار
 والحمد لله رب العالمين (١)

والمرائى الضامية تكون في حياة الشيخ النبهاني جانبا مهما لدراسة شخصيته

(١) كتاب البشائر الايمانية في المبشرات الضامية ص ١١ سعادة البارين ص ٤٧٩ -

والوقوف على حقائقها كما أن فيها انعكاسا لشخصية النبيهاني لدى الناس المعاصرين الذين يعرفونه بالشخص أو بالاسم وفي كل هذا أكبر دلالة على مكانة الشيخ النبيهاني في مجتمعه فهو يرى نفسه واقفا على منزلة من منازل أهل بدو رثاء توجههم للملاقاة قرش ويرى الشيخ محيى بن العربي رضى الله عنه ويقبل يده ويرى نفسه يتلو آيات قرآنية كثيرة في وصف بعض الانبياء ونصرة الله لهم ^{على أعدائهم} وتكرار هذه الآيات مرة بعد مرة ولما استيقظ فهم أن المقصود من هذه الرواية الإشارة الى هو "لا المبتدعين محمد عبده ورشيد رضا والافغانى ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول أنا لا أقدر على قيام الليل فيفسر ذلك أنه هو المقصود ويمتذر لعدم التوفيق ولاعتلال الصحة ويرى نفسه مع رجل اسمه بشير وهو يبين له فضل الرسول على سائر الانبياء ويرى نفسه وهو يشنخ على رجل اسمه عبد الحليم لحيته كالمسار وصار يوبخه بسبب لحيته ويرى جبريل عليه السلام وهو يد له ويلعبه يقول الشيخ النبيهاني ((وصار يعانقنى على كتفى الايمن ثم على كتفى الايسر بخاية الدلال واللفظ الذي لم أعهد في يقظتى من أحد)) وفي المدينة المنورة يرى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وسط جماعة ويقبل الشيخ النبيهاني يده ، يفسر الشيخ النبيهاني أن هذه الجماعة هم المتحنون مثله وأنه قد حصل له ما حصل لهم حيث حبس في المدينة المؤنة أسبوعا قبل هذه الرواية بستة أشهر ويرى الامام تقى الدين بن تيمية قادمًا لزيارته فيستقبله في ساحة الدار ويقبل يده وقد كان الامام بن تيمية في حالة صحية سيئة جدا وهو متكئ على أنسان آخر ويعد أن يقبل النبيهاني يده صار الامام بن تيمية يدعو له كما صار الشيخ النبيهاني يدعو لابن تيمية وهو يؤمن على دعائه ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم فبعد أن يقبل يده يشره بالجنة ولكنه يحلقه على شئ ويحاتبه على عدم اعطائه د راهم لرجل . ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم وأما قلم فيطلبه منه ليوضح في قبره فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت تدفن في الشيخ سميد ويفسرها له أحد أصدقائه أنها إشارة الى قول النبيهاني :

سميد بن مسعود بخدمة نبي الله وأنا السعيد بخدمة مثاليها

وهكذا يستمر الشيخ النبيهاني رحمه الله في بيان رواة النامية مع ذكر مكان وتاريخ وقوعها فيذكر الليلة والشهر والسنة

وقد ذكر الروى النامية التي رأتها زوجته السيدة صفية السجمان وناته فاطمة وعائشة وتقيه مما له فيها إشارة وذكر .

سبب

وجميع ما رآه الشيخ النبهاني أو ما رآه أفراد أسرته كان له صلة مباشرة بحياته
لذلك كان من السهل تفسير هذه الروى تفسيراً لا لبس فيه .

ثم يذكر الشيخ النبهاني الروى المنامية التى رآها له بعض الصالحين فمنهم من
رآه جالسا مع الرسول صلى الله عليه وسلم . ومنهم من رأى الرسول صلى الله عليه
وسلم وسمعه يقول ((الشيخ يوسف النبهاني من رفاق موسى بن عمران فى الجنة))
ولما أخبر الشيخ النبهاني بالروية تأكد من لفظ " الشيخ " فى قول الرسول صلى الله
عليه وسلم . ومعضهم كان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة الشيخ النبهاني
المبشرة الرابعة والثلاثون - ومعضهم رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :
النبهاني حسنى . وهناك بعض الروى تتخذ طابعا آخر إذ يرسل الرسول عليه
السلام الرأى الى الشيخ يوسف النبهاني ليحل له مشكلته وقد ذكر الشيخ النبهاني
مبشرين من هذا النوع .

الاولى وهى : " المبشرة الثالثة والثلاثون " يقول الشيخ النبهاني
" حضر عندي فى أحد الربيعين سنة ١٣٢٥ رجل من أهالى بيروت اسمه عبد الباسط
أفندى الفندق ورخال زوجتى صفية وكان قد حصل له شدة كرب عظيم لخلاف وقع بينه
وبين أولاد أخيه قال الرجل : فأكدت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت
عليه السلام فى منامى وشكوت له حالى فقال لى اذهب الى يوسف النبهاني يكون تفريج
كربك على يده وذكر الرجل فظا فيه تعظيم حذفته أنا ، قال : وما أنا ذا جئتكم
وحلف الايمان المؤكد بأنه ما زاد حرفا وما جأنى الا بأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأجتمعت بأولاد أخيه وعظمتهم ونصحتهم فقبلوا نصيحتى واشتروا منه حصته المشتركة
معه فى المقارات وزال الخلاف وفن كربه والحمد لله رب العالمين (١) .

لفظاً

أما المبشرة الثانية فهى المبشرة الخامسة والثلاثون - يقول الشيخ النبهاني
" أخبرنى الحاج عمر حمور الدمشقى التاجر المقيم فى بيروت وهو شيخ صالح فى ستم
الستين تقريبا : بأنه قد كرب كربا عظيما فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
كثيرا بنية تفريج كربه ودعا الله تعالى وسأله الفرج ونال فى آخر شهر ربيع الثانى
سنة ١٣٢٦ فرأى نفسه فى المسجد النبوى ورأى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا له

التالى

كرهه وغض طرفه عن النظر اليه صلى الله عليه وسلم قسماً قائلاً يقول له انظر فنظرت
فرأيت في المسجد النبوي قبرياً منه وانتبه من نومه وفهم من هذا المنام أن تفريج
كرهه يكون على يدى فجائى وأخبرنى بذلك وقال لى : أنا مرسل اليك وحكى لى
هذا المنام وقص لى قصة كرهه فلم أجد لى قدرة على تفريجه بوجه من الوجوه ولكنسى
استبعدت تفريجه شككت فى صدقه وضع ذلك قلت له أنا ليس لى عمل فى تفريج كريك سوى
أنى أشور عليك بكثرة الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر أوقاتك
فاذا فعلت ذلك فلا شك فى أن الله يفج عنك وخصصت له صيغة ((اللهم صل
على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد قلت حيلتى أدركتى يا رسول الله ه وهى
المنسوبة لحامد أفندى الحمادى مفتى الشام فى عصره المذكورة فى كتابى أفضل
الصلوات المجربة لتفريج الكرب وقد كتبت جريتها أنا بنفسى فرأيتها مثل فلق الصبح
وكتبتها له فأخذها وذهب فلم تضر مدة يسيرة حتى فرج الله كرهه والحمد لله رب
العالمين (١) .

وكانت آخر رؤيا رآها الشيخ النبهانى وهى الثانية والتسعون قد جاء فيها
" رأيت فى منامى فى آخر شعبان سنة ١٣٤٨ هـ فى بيروت رأيت فى تلك الليلة
قبيل الفجر أنى أسمع صوتاً من جهة الجنوب ومن مكان يقرب منى نحو خمسين خطوة
وتحقت أن ذلك الصوت من الله تعالى بدون أن أرى شخصاً يقول لى ذلك الصوت
وهو : أنى أحبك . وفى جانب المكان الذى جاء منه الصوت مثل النار المشتعلة
والضوء الأصفر . وذلك مقدار ذراع بالطول (وأقل منه بالعرض) كما رأى سيدنا
موسى النار وسمع الصوت من الشجرة " أن ياموسى انى أنا الله " فحصل لى
بذلك فرح كبير فتحقت أنه من الله تعالى وأنه دليل على رضاه تعالى عنى وقبوله
مؤلفاتى وخدماتى التى وفقنى تعالى لطاعته بهى . وخدمة دينه المبين وحببته
الاعظم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

ملحوظة : وكان قصدى كتم هذه المبشرة ثم رأيت كثيراً من الأئمة ذكروا مثلها
فاقتديت بهم . وليس قصدى المدح والله على ما أقول وكيل (٢) .

(١) المصدر السابق ص ٢٣

(٢) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق يوسف النبهانى ص ٥٦٧ .

وقد استوعب علم الرويا انتباه علماء المسلمين وأهملوا به وكتب فيه كثير منهم ومن شهر بتفسير الرويا الامام ابن سيرين من التابعين والشيخ عبد الغنى النابلسي من المحدثين ولكل منهم تصنيف فيه وقد تكلم الشيخ يوسف النبهاني وأفاض شفي شريعة علم الرويا وأنها من الكرامات الالهية لبنى الانسان في المواضع التي ذكرتها أنفـا (١)

كما أن هناك تصانيف كثيرة وضعت في هذا العلم أشار لبعضها كتاب " الاشارات في علم العبارات " الشيخ خليل بن شاهين الظاهري من علماء القرن التاسع الهجري وفي مقدمة مصنفه المذكور ان يقول " واعتمدت في ذلك على كتب القديمين وأقوال المشايخ المعبرين مثل كتاب " الاصول لدانيال الحكيم وكتاب " التفسير " لجعفر الصادق وكتاب " الجوامع " لمحمد بن سيرين وكتاب " الدستور " لابراهيم الكراماني وكتاب " الارشاد " لجابر المغربي وكتاب " التعبير " لاسماعيل بن الحسن الاشعث وكتاب " كنز الرويا " للمأموني وكتاب " بيان التعبير " لعبد روس وكتاب " جمل الدلائل " وكتاب " مبادئ التعبير " وكتاب " كافي الرويا " وكتاب " التعبير " للطاوسي وكتاب " مرقط الرويا " وكتاب " تحفة الملوك " وكتاب " منهاج التعبير " لخالد الاصفهاني وكتاب " مقدمة التعبير " وكتاب " حقائق الرويا " وكتاب " الوجيز " لمحمد بن شاموية وكتاب " التعبير " لابي سعيد الواعظ وكتاب " كامل التعبير " للشيخ أبي الفضل جيش بن ابراهيم ابن محمد النقيشي وكتاب " ولاشارات الى علم العبارات " لابي عبد الله بن أحمد ابن عامر السالمي وكتاب " الدر المنظم في السر المعظم " لمحمد القرشي النصيبي وغير ذلك مثل الشيخ أحمد الدين عبد اللطيف الدمياطي والشيخ عبد القادر الاشموني والشيخ يوسف الكرموني السكندري والشيخ محمد الفرعوني والشيخ حسن الرملي والشيخ نور الدين الكرخي الفزاوي والشيخ تقي الدين المقدسي والشيخ شرف الدين الكرسي والشيخ شمس الدين عمرون الصفر وغير ذلك (٢) .

ثم أورد الأدلة الشرعية على الرويا - أورد بعض ما ذكر في قوله تعالى " ((وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث)) قال الواحدى هو تأويل الرويا

(١) سعادة الدارين شواهد الحق " البشائر " الايمانية في المبشرات المنامية

الملحق بكتاب العقود اللؤلؤية في المدائسح .

(٢) كتاب الاشارات في علم العبارات ص ٤ - ٥

وقوله تعالى ((لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)) قال بعض المفسرين
يعنى الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة قال الشهرزورى فى شرحه
للأربعين ، وكذا زين العرب فى شرحه للصايح : ان مدة ابتداء وحى الرسول عليه
السلام الى مفارقة الدنيا كانت ثلاثا وعشرين سنة . وكانت ستة أشهر منها فى أول الامر
يوحى اليه مناما وهو نصف سنة فهى جزء من ستة وأربعين جزءا من جملة أيام الوحى
لانه عاش ثلاثا وستين سنة على أكثر الروايات وأوحى اليه بعد أربعين سنة ومنها قوله
عليه الصلاة والسلام ((من لم يؤمن بالرؤيا الصالحة لم يؤمن بالله واليوم الآخر))
ومنها قوله عليه الصلاة والسلام ((لم يبق فى النبوة الا المبشرات ، قالوا : وما
المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له)) -
وقوله عليه السلام ((أصدقكم حديثا أصدقكم رؤيا وإذا اقترب الزمان لم تكذب
رؤيا المؤمن)) .

ولا ينبغى لاحد أن يكذب فى رؤياه ويحكم أنه رأى غير ما رأى فان الرؤيا وحى
يوحى الله له فى المنام ومنها قوله عليه الصلاة والسلام فى صحيح البخارى ((ان من
تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولم يفعل)) ومعنى الحلم هو معنى
الرؤيا ولكن غلب استعمال الرؤيا فى المحبوبة والحلم فى المكروهه ^(١) أما الشيخ عبد
الفنى النابلسى فله كتاب " تعطير الانام فى تعبیر المنام " جعل مقدمه طويلة
لكتابه تحدث عن الايات والأحاديث والآثار التى فيها دلالة على علم الرؤيا كما أنه
ذكر بعض القوانين التى يجب أن يراعيها من يفسر الرؤيا ^(٢) أما الامام ابن سيرين
فى كتابه ((منتخب الكلام فى الأحلام ^{تفسير})) فقد جعل لكتابه مقدمة وخطبه استوعب عشرين
صفحة ^(٣) أورد فيها الأدلة من القرآن والسنة والآثار فى علم الرؤيا . وقد رتب
كتابه حسب المواضيع أما الشيخ النابلسى فقد رتب حسب الحروف الهجائية .

ولفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى كتاب ((المطالب القدسية))
تحدث فيه عن الرؤيا المنامية قال : ((انها من خواص النفس الانسانية لا يخلو عنها
أحد من البشر غالبا وقد جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا
المبشرات)) قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل

- (١) كتاب الاشارات فى علم العبارات الشيخ خليل بن شاهين ص ٦
(٢) تعطير الانام فى تعبیر المنام الشيخ عبد الفنى النابلسى ص ٢ - ٨
(٣) منتخب الكلام فى تفسير الاحلام ابن سيرين ص ٢ - ٢٠

الصالح أو ترى له)) وما يقع منها للبشر غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وقد تكون بقصد الشئ عند النوم وشغل النفس به ، وقد تكون بسبب أدعيه وأذكار أو آيات تتلى عند النوم فيرى الانسان ما يتشوق اليه ويقصده اما بصينه أو بمثاله فان كشف النفوس في عالم الخيال - كما في احياء العلوم وغيره - قد يكون بحكاية الخيال وتمثيله ، وقد يكون بحكاية المعنى المتلقى صريحا من المبادئ العالوية كما يقع خارجا فلا يحتاج الى تعبير وقد يكون كذلك فيحتاج الى التعبير وتأويله يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والفصول وأحوال الاشخاص وما اعتاده الرائي فسي تصور المصاني بصور تلائمها أو تباينها وما أخذ من عالم الخيال وتأليفه تارة يصدق ، وتارة يكذب فيكون أضغاث أحلام (١) وفي كتاب " الروح " لابن القيم : الرؤيا على ثلاثة أنواع : رؤيا من الله ، ورؤيا من الشيطان ، ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصحيحة أقسام : منها الهام يلقيه الله سبحانه وتعالى في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره : أي يلقيه في نفسه من غير اسماع له بحرف أو صوت ، وهو في الانبياء وحى لا مره فيه ولا مزاحمة قطميا وفي غيرهم ليس كذلك ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها (ومنها) التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم . (ومنها) خروج روحه الى الله سبحانه وتعالى وخطابها له (ومنها) دخول روحه الى الجنس ومشاهدتها . (ومنها) أن يرى النائم غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وبينهما مسافة بعيدة ، بأن يضرب ملك الرؤيا للنائم مثالا أن يكون حديث نفس من الرائي تجر له في منامه وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة احدهما بالآخر فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما (٢)

وقد شاهد الناس من ذلك عجائب لا تحصى قال بعض السلف : ان الارواح تتلاقى في الهواء فتعارف وتتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقبها من خير أو شر قال : وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة علمه وألهمه كل نفس بصينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعتها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شئ ، ولا يغلط فيها فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب ما هو مصير لهذا الانسان من خير وشر في دينه ودنياه ، ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته ، فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وتارة يحذره من معصية ارتكبها أو هم بها وتارة يحذره من مكروه انمقصدت

(١) المطالب القدسية ص ١١٨ - ١١٩

(٢) من هذا القبيل ما حدث به فضيلة الشيخ أحمد حسن العطاس رضي الله عنه من لقاء بأهل البرزخ من أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والرفاعي وابن حجر والفضالي وغيرهم في أجازته الكبرى للشيخ النبهاني رحمه الله

أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها الى غير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا أو تحريفا وكم ممن كانت توبته وصلاحيته وزهده واقباله على الآخرة من منام رآه أو رؤى له ؟ وكم ممن استغنى وأصاب كسرا دفينا من منام ؟ وكم ترقى نفوس مریدین على أيدي شيخ عارفين بسبب الرؤيا الصالحة التي يراها المرید السائر الى الله تعالى أو يراها شيخه العارف الصالح وهو وارث من أنوار النبوة كما قال صلى الله عليه وسلم : ((الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)) وكلما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى ((لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)) وبالجملة فعالم الخيال والرؤيا عالم واسع لا تنتهي أطرافه والقول بأن العلوم كلها كامن في النفس وانما اشتغالها بعالم الحس حجبها عن مظاهرها فاذا تجردت كل التجرد كما في الموت أو بهضه كما في النوم رأت منها ما بحسب استعدادها (١) ليس على إطلاقه فان اجرد النفس لا يطلعها على علم الله الذي يمتث به رسوله وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل السعادة وأشرط الساعة وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يحتمل الا بالوحي انظر كتاب الروح لابن قيم واحياء العلوم للفرزالي (٢)

أما فضيلة الشيخ حسنى حلى آيشيق فقد تناول الرؤى الماضية في جانب أخسر فهو مع اقتناعه بصحة العلوم الواردة عن طريق الكشف - مناما أو يقظه - لا يوجب الاعتماد عليها فهو يقول ((..... فان قلت فلا شيء لم يوجب العلم بالاسماء بالله تعالى العمل بما أهذه العالم من طريق الكشف مع أنه ملحق بالنصوص بالصحة بالصحة عند بعضهم فالجواب ليس عدم ايجاب العلماء العمل بالعلوم الكشف حيث ضعفها ونقصها عما أخذ العالم من طريق النقل الظاهر وانما ذلك للاستغناء عن عده في الموجبات بصرائح أدلة الكتاب والسنة عند القطع بصحته أى ذلك الكشف فانما هو حينئذ لا يكون موافقا لهما أما عدم القطع بصحته فمن حيث عدم عصمة الأخذ لذلك العلم فقد يكون دخل كشفه التلبس من ابليس فان الله تعالى قد اقد رابليس كما قال الفرزالي وغيره على أن يقيم للمكاشف صورة المحل الذي يأخذ علمه منه من سماء أو عرش

(٢) المطالب القدسية الشيخ محمد حسنين مخلوف ص ١١٩ - ١٢١

(١) صاحب القول هذا هو الامام الفرزالي وهذه الفكرة هي الاساس الذي أقام عليه - الدكتور سليمان دنيا كتابه " الحقيقة في نظر الفرزالي " .

أو كرس أو لوح أو قلم فربما ظن المكاشف أن ذلك العلم عن الله فأخذ به فضلل وأضل فمن هنا أوجبوا على المكاشف أن يعرض ما أخذه من العلم عن طريق كشفه على الكتاب والسنة قبل العمل به فان وافق فذاك والا حرم عليه العمل به فعلم أن مسن أخذ علمه من الشريعة من غير تلبس في طريق كشفه فلا يصح منه الرجوع عنه أبدا مسما عاش لموافقته الشريعة التي بين أظهرنا من طريق النقل ضرورة أن الكشف الصحيح لا يأتي دائما الا موافقا للشريعة كما هو مقرب بين العلماء والله أعلم (١) .

من هذا نفهم أن الكشف سواء كان يقظة أم مناما لا بد أن يوزن بميزان الشرع فما وافقه كان ذلك الكشف تخصيصا من الله لصاحبه على اتباع هذا الوجه فلا يجوز له أن يحسد عنه والا فلا .

والشيخ يوسف النبهاني رحمه الله في جميع مرائيه النامية لم يذكر شيئا مخالفا للشرع بل كانت مبشرات النامية جميعها ليست أكثر من ترجمه لواقع حاله في مرائيه التي رآها أو انعكاسا لصورته في قلوب الناس في المرائي التي رؤيت له .

أما مكاشفات الشيخ النبهاني يقظة فلم يذكر لنا منها شيئا وان كان أقاربه وأهالي قرنت يذكرون الكثير له ، ومن هذا القبيل ما أخبرني به الاستاذ محمد مصطفى النبهاني في ١٢ / ١١ / ١٩٧٤ من أن الشيخ يوسف كان اذا رأى جمالا قادمة من بعيد يعرف ما على ظهورها ونحن لا نكاد نراها بأعيننا .

هذا هو موقف علماء المسلمين في الروى النامية وقد اعتنوا به ووضعوا له التفاسير الكثيرة ونحن نقرأ في هذه التفاسير يجد أنهم كثيرا ما يفسرون بعضها مما ورد في الكتاب والسنة وقد أفاض العلامة عبد الرحمن بن خلدون في الكلام على حقيقة النبوة وحقيقة الكهانة ثم الروى ثم شأن المرافين وغير ذلك في مدارك القيب)) ولم يخرج بكلامه عن مفهوم غيره من علماء المسلمين سوى أنه زاد عليهم بربط الاسباب بالمسببات وهو يضع يد القارىء على كيفية حصول الروى وكيف يعرف الكاهن والعرفان والصوفى ما لا يعرفه غيره وهو في كلامه عن هذه العلوم يجعلها أبعد ما تكون عن الوهم والخيال (٢) .

(١) علماء المسلمين والوهابيون حسين حلمي آيشي ص ١٣

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ - ١١٩

أما علماء الغرب فقد نظروا للأحلام والروى المنامية نظرة مختلفة عن علماء المسلمين وبعد سيجموند فرويد أشهر من درس الأحلام وحاول تفسيرها في كتابه المشهور وما جاء في مقدمته ((..... فقد كان من المسلم به عندهم - الشعوب الكلاسيكية (١) - أن للأحلام علاقة بعالم الكائنات فوق الانسانية التي كانوا يؤمنون بوجودها وأنها - أعني الأحلام تحمل كواشف من عند الآلهة والجن (٢))) ويقول أيضا ((ما من شك أن نظرة القدماء قبل العملية إلى الحلم كانت تتسق ومجمل نظرتهم إلى العالم بوجه عام أكثر اتساقا وهي نظرة تسقط على العالم الخارجي - في صورة واقع - لا وقوع له إلا في باطن النفس ... وخطئ بعد حين تظن أن نظرية الأصل الطبيعي تعد أنصارا في أيامنا فأما قد تغض الطرف عن الكتابة التفسيرية والمتصوفين فهو لا يحق لهم أن يتشبثوا بالمواقع القليلة المتبقية من المجال فسوق الطبيعي الذي كان متسع النطاق يوما مدام نور العلم كغزوها ولكننا نلاقى بعد ذلك رجالا ثاقبين ولا ولع لهم بالفرائب يحاولون أن يتخذوا من هذا الامتناع على التحديد وأعني به امتناع ظواهر الحلم على التعليل - سندا يدعمون به إيمانهم الديني بوجود قوى روحية تفوق الانسان بتأثيرها (٣) وفي مكان آخر يقول ((هناك على الأقل حقيقة لا نزاع فيها هتلك هي أن المادة التي تكون محتوى الحلم إنما تستمد جميعها من الخبرة على نحو أمر آخر ... أي ... أن الحلم إنما يستحضرها أو يتذكرها (٤) ويقول أيضا : ((ان د راستا العملية للحلم تبدأ من ذلك الفرض وهو ان الحلم نتاج لنشاطات النفس الخاص (٥))) .

من هذا نلاحظ أن فرويد يجمال مادة الحلم في النوم ناتجة عن الخبرة في اليقظة وفي هذا مخالفة صريحة للنظر الاسلامي البسيط للحلم ان بمقتضاه يكون ما أوحى به بل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم طيلة الستة اشهر الاولى من بعثته كان نتيجة خبرته الشخصية وكأنه حديث النفس . وفي هذا طعن في عصمة الرسول صلى

(١) أي البدائية

(٢) كتاب تفسير الاحلام سيجموند فرويد ص ٤٤

(٣) المصدر السابق ص ٤٥ - ٤٦

(٤) المصدر السابق ص ٥٠

(٥) كتاب تفسير الاحلام فرويد ص ٨٣

الم عليه وسلم اذ أن الخبرة الشخصية للانسان قد تكون مبنية على خطأ أو صواب
وعليه يكون صحة ما يأتيه في النوم ، وغيرها من ملاحظات كثيرة يجدها كل من يطلع على
كتاب فرويد .

من هذا نلاحظ حقيقة من هجموا النبهاني لا يمانه بالفيبات والخورق -
النابعة من ثقافته الاسلامية البحتة وهم قد تشققوا بثقافة غربية تختلف عن الثقافة
الاسلامية في نظرتها للكون والحياسة .

تقديسة لنظام الاسلام السياسي :

لقد كان من الطبيعي أن يقف الشيخ النبهاني رحمه الله مع الخلافة العثمانية
داعيا لها بالبقاء والحفظ وداعيا للسلطان عبد الحميد بطول العمر والنصر وغيرها
ما يناسب الحال . وقد كان للمؤثرات الثقافية المختلفة في شخصية النبهاني السبب
الاقوى لسيره في هذا المنهج وقد كان هذا هو الشعور العام في أوساط الشعب على
اختلاف طبقاته باسم الدين وكانت الدولة العثمانية تجد لها مكانا في قلوب الناس وقد
كانت معارضة الدولة العثمانية كافية لاتهام المعارضين بضعف الدين ومولات الغرب
المسيحي .

يقول الأستاذ عبد الله النديم : ((لو كانت الدولة العثمانية مسيحية
الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التي هي جزء منها فليس
الحقيقة ولكن المغايرة وسعى أوروبا في تلاشي الدين الاسلامي أوجب هذا التحاميل
الذي أخن كثيرا من ممالك الدولة بالاستقلال أو الابتلاع . واننا نرى كثيرا ممن
المغفلين الذين حنكتهم قوايلهم باسم أوروبا يذمون الدولة العلمية ويرمونها بالمعجز
وعدم التبصر وشوؤ الادارة وقسوة الاحكام ولو أنصفوها لقالوا انها أعظم الدول ثباتا
وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة فانها في نقطة ينصب اليها تيار أوروبا العدواني لأنها
دولة واحدة اسلامية بين ثمانى عشر دولة مسيحية غير دول أمريكا وتحت رعايتها جميع
الطوائف والاجناس والاديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال أوروبا الى من
يمثلهم مذهباً أو يقرب منهم جنساً ، وكل دولة طامعة في قطعة تحتلها باسم المحافظة
على حدودها ووقاية دينها ، مع اتساع أراضيها ، وعدم وجود السكك الحديدية
المسهلة للتنقل والتجول وعدم وجود أنهر مستمرة الفيضان في غالب أراضيها ووجودها
تحت رحمة الله تعالى ان شاء أمطرها فأخصبها أو منعها فأجدبها وهذه أمور
لو ابتليت بها معظم دول أوروبا ما قاومت هذه الصواعق أكثر من عام أو عامين وتسقط -

العلية

وتتسلاشى (١))) .

وقد كان بقاء الدولة العثمانية في عصر الشيخ النبهاني متجسدا ببقاء الاسلام
وقد كان مفهومهما أن من يعمل لتقويض هذه الدولة إنما يعمل لتقويض بنيان الاسلام
وقد أشار الى هذا الاستاذ أنور الجندى حيث يقول :

((..... لذلك كان رأى المصلحين دعم هذه الروابط مـــــــ
الدولة العثمانية وتقويتها على الرغم من كل أخطائها من أجل القضاء على مؤامسة
النفوذ الاجنبى وقد كان على هذا رأى جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده
فقد كانا يريان ان فى ضياع الدولة العثمانية وتمزقها قضاء على دولة الاسلام الكبرى
التي تحمل لواء الخلافة هذا فضلا عن أن الحملات العنيفة التي وجهت الى الدولة
العثمانية إنما كان مصدرها ذلك الاتجاه الذي خلقه النفوذ الاجنبى وجند له
عددا من الكتاب والمفكرين وأغلبهم من متعصبى اللبنانيين والأتراك ورجال الدونمة
من هاجروا الى مصر وكانوا يعملون في قصر عابدين والسقارتين البريطانية والفرنسية
وهو مخطط معروف يرمى الى القضاء على الاسلام واللغة العربية ووحدة الدولة
العثمانية ومن ذلك أن أول جمعية سرية تألفت لمقاومة العثمانيين عام ١٨٢٥ أنما
قامت في الجامعة الأمريكية في بيروت وقد حملت لواء الجهاد العربى كوسيلة للقضاء
على فكرة الجامعة الاسلامية في ناحية ولتمزيق الدولة العثمانية واسقاط دولة الخلافة
الاسلامية (٢)))

ويقول الاستاذ مصطفى كامل : ((والذي ينفذ الانجليز على الخصوص فــــى
جلالة السلطان الحالى هو ميله الشديد الى جمع كلمة المسلمين حول رؤية الخلافة
الاسلامية ومن ذلك يفهم القارىء سبب اهتمام الانجليز بالافراد القليلين الذين
قاموا في المسلمين ضد جلاله السلطان الأعظم وسبب مساعدتهم لهم بكل ما فى وسعهم
فان مشروع جعل الخلافة الاسلامية تحت وصاية الانجليز وحمايتهم هو مشروع ابتكــــره
الكثيرون من سواسهم منذ عهد بعيد وقد كتب كتاب الانجليز في هذا الموضوع ومنهم
مستر بلانت المعروف في مصر فقد كتب كتابا قبل احتلال الانجليز لمصر في هذا المعنى
سماه (مستقبل الاسلام) وأبان فيه أغراض حكومة بلاده وأمانى الانجليز

(١) الاستاذ عدد ١٧ يناير ١٨٩٤

(٢) عبد العزيز جاویش الاستاذ أنور الجندى ص ١٩ - ٢١

في مستقبل الاسلام وقد كتب في فاتحه كتابه :

لا تقنطوا فالدري نشر عقده
ليعود أحسن في النظام وأجملا

أى . . أن : هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين بل ان هذا العقـــد
العثمانى ينشر ليعود عقدا عربيا أحسن وأجمل ولكن ما لم يقله المستر بلانت هو
أن قومه يريدون هذا العقد العربى في جيد بريطانيا لا في جيد الاسلام .

وبيين المستر بلانت أيضا ((أن مركز الخلافة الاسلامية يجب أن يكون مكية
وإن الخليفة في المستقبل يجب أن يكون رئيسا دينيا ، لا ملكا دنيويا (١)))
أى : أن الامور الدنيوية تترك لانجلترا لتدبر أمورها كيف تشاء ، ويعقب المستر بلانت
على ذلك بقوله ((ان خليفة كهذا يكون بالطبع محتاجا لحليف ينصره ويساعده وما ذلك
الحليف الا انكلترا)) .

وبالجملة فحضرة المؤلف لكتاب (مستقبل الاسلام) يرى - وما هو الا مترجم
عن آمال أبناء جنسه - أن الأليق بالاسلام أن ينصب أنكلترة دولة له ولم يبق للمستر
بلانت الا أن يقول بأن الخليفة يجب أن يكون أنجليزيا)) .

وقد كان الولاء للخلافة العثمانية هو الطابع العام للعصر حتى أن الاحزاب
الوطنية كانت تضع الولاء للسلطنة في أول بنودها وأنها لا تستطيع البقاء بدونه .

يقول الاستاذ أنور الجندى ((. . . . وأغلب الظن أن الحزب الوطنى الأول
تأسس عام ١٨٧٩ وكان يقود حركة المعارضة داخل مجلس شورى القوانين وكان طابع
برنامج هذا الحزب هو ((ولاء الوطنيين للسلطان العثمانى وخذ يوى مصر))
والحفاظة على العلاقة الحسنة بين مصر والسلطنة وقد أعلن أنه حزب سياسى يضم
كل من يرث مصر ويتكلم لغتها .

وهكذا برز التيار القومى المصرى في خلال الاتجاه الاسلامى العام غير منفصل
عنه ولكنه متميز بملامحه ، ولقد أكد الحزب الوطنى ثلاثة أمور تأكيداً حازماً وجعلها
اسمه التى لم تتغير وهى :

- ١ - ايقاظ الامة المصرية من حيث هي كيان له طابعة الواضح الكامل .
- ٢ - مقاومة الانجليز وخصومتهم خصومة كاملة حادة لا تسامح فيها ولا مهادنة .
- ٣ - تأكيد الروابط الثقافية والروحية والسياسية مع الدولة العثمانية دولـة الخلافة (١)

وقد كان الزعيم المرحوم مصطفى كامل من أكبر الدعاة للتمسك بالرابطة العثمانية وكثيرا ما يجعلها والمقيدة الاسلامية متلازمين فيقول : - ((أما : اجب العثمانيين والمسلمين أمام عدوّة انكثرة للدولة العلية فبين لا ينكره الا الخونة والخوارج والدخلاء فواجب العثمانيين أن يجتمعوا جميعا حول راية السلطنة الستية وأن يدافعوا عن ملك بلادهم بكل قواهم ولو تفانى الكثيرون منهم في هذا الفرض الشريف حتى يعيشوا أبدا الدهر سادة لا عبيدا وواجب المسلمين أن يلتفوا حول راية الخلافة الاسلامية المقدسة وأن يعززوها بالاموال والارواح ~~فهي~~ تحفظ كرامتهم وشرفهم في بقاء مجدها رفعتهم ورفع المقيدة الاسلامية (٢))) .

وقد كان المصريون من أكثر الناس تمسكا بالرابطة العثمانية النابعة من العقيدة الاسلامية لذلك لم ينجح الانجليز في قطع العلاقة بين المصريين والخلافة العثمانية ويصور كرومر في كتابه " مصر الحديثة " سمة انتشار فكرة الرابطة الاسلامية بين المصريين واعترف بما تتمتع به الخلافة التركية من نفوذ واسع في مصر حيث تكلم عن الحجاب الكثيف من التعصب الديني الذي يقوم به الانجليز الراغب في اصلاح مصر (٣) وتكلم عن تمسك المصريين بعقيدتهم الاسلامية المتغلبة على الوطنية بمعناها الاقليمي والتي تؤمن بالوحدة الكاملة بين المسلمين في سائر أقطار الارض (٤) وتكلم في موضع آخر من كتابه عن هيبة المصريين المركز في أعماق نفوسهم للترك المستعمرين (٥) وعن عطفهم على الخليفة التركي كلما وقع في محنة مستشهدا على ذلك بما حدث سنة ١٨٩٢ حين عارضت انجلترا سيد ورا القومان التركي ، وفي سنة ١٩٠٦ حين اختلفت انجلترا وتركيا على حدود مصر الشرقية في سيناء فقد أثار شعور المصريين - كما يقول - أن -

(١) عبد العزيز جاويز الاستاذ أنور الجندی ص ١٢ - ١٣

(٢) المسافة الشرقية ص ٣٣

تدل دولة مسيحية خليفة المسلمين (١)

أما بلاد الشام فقد كانت تابعة للدولة العثمانية لذلك لم يكن هناك داع لظهور عاطفتها نحو الخلافة بالإضافة إلى أن مصر كانت مستعمرة للإنجليز ومن قبلهم للفرنسيين الذين بقوا غريباً عن مصر على رغم ما جلبوا معهم من معالم الحضارة الجديدة (٢)

ما أجج في قلوب المصريين محبة الخلافة العثمانية والتمسك بها لأنهم البديل عن الولاة لهمؤلاء الضرباء الفرنسيين والإنجليز حتى أن الولى محمد على باشا ما كان له أن يبقى في مصر لولا رضا السلطنة العثمانية عليه لذلك بقي هو وأسرته من بعده على ولاء كامل للسلطة العثمانية وقد كان هذا الشعور واضحاً في مصر حتى أن كل من أراد أن يجرى تغييراً لا يضمن نجاحه إلا بعد موافقة الآستانة (٣) فصرابي كان أول بيان له في ثورته هو الولاة والطاعة للآستانة، والإنجليز كانوا يحاربون عربياً بحجة أنه خرج على الباب العالي ((وقد فجع سفارتهم في الآستانة ألف ليرة إنجليزية ١٨٨٢ للآستانة أحمد فارس الشدياق - منشور - الجواب - نيطبع صورة المنشور الذي صدر من الباب العالي بإعلان عصيان عربى باشا لاثارة نار الفتنة في وادي النيل فكان ذلك سبباً لانكسار عربى وسقوط مكانته في عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة (((٣)

وقد كان للخليفة العثماني كل المحبة والولاة سواء في مصر أو بلاد الشام وإذا كان الشعراء هم الناطقين بلسان حال مجتمعهم فنحن نجد الكثير من القصائد التي قيلت تظهر المحبة والولاة للخلافة العثمانية فهذا شوقي يقول :

أيها الحميد جل زمان أنت فيه خليفة وامام
عمر أنت بيد أنك ظلال للبرايا وعصمة وامام (٤)

ويقول حافظ في قصيدته له في عيد تأسيس الدولة العلية سنة ١٩٠٦ :

لقد مكن الرحمن في الأرض دولة لعثمان لا تفقر ولا تشعب
بناها فظنتها الك رارى منزلاً ليدراك بطن تبني وللسمد تنصب
وقام رجال في الإمامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنبوا
أسود على البسفور تحصى عرينها وتبني نيام الشرق والغرب يرقب (١)

(١) مصر الحديثة ج ٢ ص ١٣٩

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٢-١٣٣

ويقول محسن

يال عثمان من ترك ومن عرب
صنوا الهلال وزيدوا مجده علما
ياتاج عثمان ان اليوم موعدنا
لوضاع عهدك أوحام الرجاء بنا

وأى شعب يساوى الترك والعربا
لا مجد من بعده أن ضاع أو ذهب
فجدد العهد والى الحب والرغبة
على سواك لقينا الحين والغبيا (١)

وقال أيضا :

إنا بنى عثمان أعلام السورى
إنا السنام اذا الانام تفاخرت
عبد الحميد أتاح فى أيامه
ما زال يحصى حوضه مذ جاءه

والأرض تشرف فوقها الاعلام
والناس فيهم منسوسون
للملك ما وهبت له الايام
وكذاك يحصى غيله الضرفام (٢)

ويقول الكاشف فى قصيدة له فى عيد جلوس السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٠ :

يا ناصر الاسلام ان زماننا
ومعيد أه وار الشباب لموطننا

بك صار فى عزوى استكبار
كم للحوادث فيه من أوار (٣)

ويقول نسيم فى قصيدة له فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد الفطر :

أقمت عرشك بين الحق والسدد
فكيف تفرغ فى الدنيا لطائفة
وقد أعدت الى الاسلام نفرتة

فزاده الله تثبيتا الى الابد
وأنت تحصى ذمار الفانج الخصد (٤)
حتى زهى بك واستذرى الى سند (٥)

نشرت

ويقول عبد المطلب فى قصيدة له فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد الدستور :

ياعيد حى وأنت خير نهار
لولا أمير المؤمنين يحوطها

عبد الحميد بدولة الاحرار
لرأيتها خيرا من الاخبار (٦)

(١) الديوان ج ٢ ص ٤

(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٣

(٣) الديوان ج ١ ص ٨١

(٤) الخصد المأجزة عن النهوض

(٥) الديوان ج ١ ص ١٦

(٦) الديوان ص ٩٣ - ٩٤

ويقول الشيخ يوسف النبهاني في تقديمه لديوان الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي :

(ويقول الشيخ الصيادي من قصيدة له في السلطان عبد الحميد رحمه الله :

حتى أتى ملك الملوك أمامنا	عبد الحميد الظافر المنصور
ورث الخلافة بانعقاد البيعة	الفرى بها التهليل والتكبير
وزهى به الكرسى وهو معظم	وبه تفاخر منبر وسرير
والملة السحان ملة أحمد	مختار يهشعر عمار وسرور
والكعبة الفراء وزمن والصفى	والبيت حتى زائر ومزور
والجود والاقطار والاكثاف	سبر الفسيح وبحرها المسجور
بلسان حال للخليفة كلمنا	يدعو وكل حامد وشكور

..... فجمعت هذا الديوان ليكون أثرا في أعتاب الملك المجاهد الاعظم الاعظم
والسلطان الفاروق الأفخم ، سيد ممالك المحروسة على الأساس الأقوى من العدل
والفضل والتقوى ظل الله الظليل في أرضه ، المنوط به اجراء سنته وفرضه المتصل
سببه بالخلافة العظمى الى سيد المرسلين نائبه عليه السلام في حماية الاسلام والمسلمين
من مكن الله له في البلاد وافترض طاعته على العباد ، وجعل مخالفة مناهية وأوامره
حجرا محجورا ، والخروج عليه أو على أمراءه بغيا محظورا ، وناط به كثيرا من أحكام
دينه القويم دين الاسلام ، وتوجه بتاج الامامة الكبرى التي عليها مدار صلاح الخاص
والعام وجعله أكثر الملوك عدلا ، وأغزهم فضلا ، وأحسنهم اخلاقا وأصلهم أعراقا ،
وأكرمهم أبا واجدادا ، وأشرفهم ممالك وبلادا الا وهو السلطان الامجد
والخليفة الاسعد المقتدر بالقدره الربانية المعترز بالعزة الالهية ، ناصر الشريعة
المحمدية ، أمين الله على البرية ، فرع الشجرة العثمانية التي أصلها ثابت
وفرعها في السماء حامى الملة الاسلامية التي فاقت سائر الامم سنا وسناء ، خادم
الحرمين الشريفين المقتدى بسيرة الصالحين أمام المسلمين أمير المؤمنين .

أجل الوري عبد الحميد مليكنا	مجدد هذا الدين أحسن تجديد
أتى وعاد الملك واه لحكمه	فشيده بالحزم أرفع تشييد
وأذكرنا عبد الحميد وعد له	فقلنا سليمان أتى بعد داود
شهدت ولم أشهد على الغيب أنه	أجل ملوك الارض بالعدل والجود
وأشرفهم اصلا والا فقل لهم	ليأتوا بابا كما بابك <u>المسيد</u>
فمن منهم في الاولين كفاتح	ومن منهم في الآخرين كمحمود

لئن حسد الحساد مظهره فما
علا في سرير الملك بالعدل والتقوى
فلا زال بالحفظ الالهى قائما
ولا رب أن الله ناصر حزبه
فدام له في ربه خير مسعد
رأينا شريفا غيره غير محسود
وباب لابعاد المظالم مسرود
بعز على هام السعادة مسود
وأن له من لطفه خير تأييد
وطالعه في العز أشرف مسود

قله دوه من سلطان عظيم القدر والشأن منذ جلس على سرير الملك وفوض اليه
أمر العرب والروم والترك لم يزل لصيانته دولته من الحوادث وحماية وعيته من الكوارث ،
يعمل رأيه السديد وتدبيره الحميد بقريحة صائبه وأفكار ثاقبة في ليله ونهاره ويكوره -
وأسحاره ومسائته وصباحه وغدوه ورواحه ، رافضا طريقة الاستبداد ، غير مكثف برأيه
وان كان في غاية السداد ، مشاورا رجال دولته في كل أمرهم وحادث ألم ، حتى
غدت الدولة ولن تزال ثابتة الاساس والروايا متممين بكمال الراحة والامن على اختلاف
الاحناس ، هذامع رغبته أيده الله في الفنون والمعارف ، وبذله عليها الرغائب
والموارف ، وتوجهه الى نشرها في أقصى ملكه وأدناه وعمومها في جميع عاياه وحبسه
نصره الله للعلم والعلماء والفضل والفضلاء لاسيما العترة النبوية والسادة الصوفية
كشيخنا صاحب هذا الديوان فان أمير المؤمنين أدام الله نصره ورفع في الدارين
قدوه لما أطلع على حقيقته وعرف صفاء سريرته غمره بنعمه الوافرة وشرفه بجعله مسامره فلا
شك أنه هو السلطان المظنى بقول حبيب الرحمن " السلطان العادل المتواضع
ظل الله وروحه في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا " فنسأله تعالى أن يحفظه
في دولته ودرجته ونفسه ويديم له أسباب فرحه وأنسه ويجعل مستقبله خيرا من ماضيه
وينصر عساكره ويقهر أعاديته ، ويوفق عماله ورعيته لما فيه رضاه ويبلغه في كل فتح ونجح
غاية مناه انه جواد كريم رؤوف رحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى
أله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين (١)

ولم يكن هو "لا" وحدهم الذين مدحوا الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد
بل لم يخل ديوان لشاعر عاش زمن السلطان عبد الحميد وعنده شىء من العاطفة
الاسلامية الا ومدح السلطان عبد الحميد وجعله محط الامال والنفوذ أو اشاد
بالدولة العثمانية داعيا لها بالبقاء لاعدائها بالقضاء ، ولا شك أن ارتباط الدولة
العثمانية بالاسلام وجعله تشريعا جعل قلوب المسلمين وعواطفهم تتضامن وتتكتل لها
ما جعل السلطان عبد الحميد يعلن الجامعة الاسلامية سلاحا يشهره في وجه
أعدائه .

والسلطان عبد الحميد رحمه الله كثيرا ما يذكر الشرف ووجوب العمل

به في كتب التكليف التي يوجهها لوزرائه كما في الكتاب الموجه الى مدحت باشا
الذي جاء فيه " وزيرى سمير المطالى مدحت باشا ان التدنيات المارضة منذ زمان
على قوة دولتنا العملية قد نشأت من الفوائل الخارجية فلذا كان والدى
الماجد المرحوم عبد المجيد خان أعلن مقدمة للإصلاحات خط التنظيمات الذى منح
فيه للعموم الامن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم كما يوافق أحكام الشرع
الشريف المقدسة الخ "

ومع الاحداث التى توالى بعد خلع السلطان عبد الحميد ومجى أخيه محمد
رشاد وخيبة الامل التى منى بها الناس فى الإصلاح والتى صورت بقصيدة قالها فارس
الخورى بعنوان " ايتهى العدالة " . جاء فيها :

فبين الناس جور وأعتسدا	عزيز القوم يعبت بالذليل
وسوق النور رائجه وفيها	يباع الحق بالثمن القليل
لقد حلقوا اليمين وأخرجوه	على الاخلاص والحنم الاصيل
الا سرعان ما حنثوا وما نـ	وعادوا للخيانة والخـ
ومدوا للرضا كفا خـ	وباعوا بالنضار دم القـ (١)

وقد بقى الاتحاديون مسيطرين على الخلافة منذ عام ١٩٠٩ - ١٩٢١ حيث قاد
مصطفى كمال أتاتورك الانقلاب الذى أظهر عداءه للإسلام سافرا حيث أوردت مجلة
الفتح ما نصه :

" نشر حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير الاستاذ الشيخ محمد شاكرا الكلمة
الآتية فى صحيفتنا (الاخبار) الفراء : وجه الينا خطاب مفتوح فى " اخبار
الثلاثاء أول نوفمبر سنة ١٩٢٧ (فيما يجب اتخاذه حول مخلفات مصطفى صلي
الله عليه وسلم التى كانت وديعة غالية لدى دولة الخلافة الاسلامية بعد ما أنقذت
جمهورية لا دينية ومعد ما صرح رئيس تلك الجمهورية علنا وعلى رؤوس الاشهاد بشأن
لم تبق لتركيا علاقة بالدين الاسلامى الحنيف ومعد ما أعلن الحرب على الاسلام
فألقى بالقرآن الكريم من يده فى غرفته التى هو فيها وحرش المرسلين المسيحيين
على التبشير بانجيلهم فى الجامعات الاسلامية لحمل المسلمين على اعتناق الدين المسيحى (٢)

(١) شعراء الحماسة والعروة فى بلاد الشام ص ٣٤ - ٣٥
(٢) مجلة الفتح عدد ٧٠ السنة الثانية ١٠ نوفمبر ١٩٢٧ ص ٧ وقد تتبع الاستاذ محب
الدين الخطيب هذا الموضوع فى مجلته فليراجع

كل هذه المتغيرات التي حدثت بعد السلطان عبد الحميد تجعل كل من عنده شعورا اسلاميا يترجم على السلطان عبد الحميد وعهده الذهبي وقد وضع الكاتب اليهودي اليا هو جرانيث هذه المتغيرات بالنسبة لفلسطين فقال أنظروا اليها اليوم ليخبركم الذين أوتوا العلم عن حالها كيف كان قبل الحرب العالمية أي آدمي يقول بإمكان المقابلة بين الامم واليوم ، لقد كان التركي رجلا حالما كان شاعرا أو فيلسوفا بل كان قد يسا اذا قيل ببعض الذين يطلقون عليهم لقب " رجال الدولة " أولئك الفضوليين الذين عرفتهم البلاد في العشرين سنة الاخيرة أقرأوا ، كتب الرحلات لخمسین أو مئة سنة قبل ١٩١٧ وتأملوا في العوائق المتعددة والغدر الحثير والمادية السفينة التي كان يلقاها الرحالة في طريقه ومع أدلائه ثم قابلوها بويلات الادارة الاوروبية السيئة في السنوات الاخيرة بفلسطين ان تلك الجزئيات والصفائر التي كانت تقع في سني ما قبل الحرب لا شبه شيء بمبث الطيور المستضعفة بالنسبة لما تقوم به الانمار والضباع والطيور الجارحة (١)

وقد وضع الكاتب اليهودي نفسه جانبا اخر من هذه المتغيرات فقال مخاطبا الانجليز : " ان احد أبناءكم وهو موظف في ناحية من البلاد أخبرني أن أحدي مهماته أن يمحو كل أثر لبيوت الضيافة في القرى تلك المواطن المتواضعة للاخوة والد يمحراطية لانه يعدها متمردة وضارة بالامبراطورية (٢) "

وفي مكان آخر يقول " هل الفلسطينيون شعب غير صالح ؟ هل تعتقدون حقا ان هؤلاء الفلاحين اربابيون ؟ أتذكرون التمجيد الذي استقبلوكم به واستقبالهم رسالة العدل والسلام فيكم سنة ١٩١٧ ان بعضا منكم يذكرون ولكن ليس فيكم عدد كاف من الاحباء الذين يذكرون أو يتقنون أو يفهمون ؟ (٣) "

من هذا المفهوم نفس سبب تعلق الشيخ يوسف النبهاني بالدولة العثمانية فهو ولد وتخرج في قرية اجزم المعروفة بولائها للدولة العثمانية ثم درس في الأزهر وعاش في مصر المعروفة بولائها للدولة العثمانية في خلال عا طفتها الدينية المفطورة عليها . والنبهاني قد عاش شبابه وشيخوخته في عهد السلطان عبد الحميد

(١) يقصد الانجليز حاضره فلسطين اليا هو جرانيث ترجمة منير الهمليكي ص ٢٩

(٢) حاضره فلسطين ص ٢٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٧ .

المعروف بتصوفه .

تقديم

كل هذه العوامل أسهمت مع ثقافته الدينية البحتة في تقييده لنظام الاسلام السياسي المتمثل في الخلافة العثمانية المتمثلة في شخص السلطان عبد الحميد حتى اذا قام الاتحاديون بالانقلاب على السلطان المذكور وخلصوه خلع معه في نفس السنة الشيخ النبهاني فكان المصائب قد وجدت بين الاثنين ثم ما كان من سيطرة الاتحاديين على الخليفة وابتعادهم عن الاسلام شيئاً فشيئاً ثم ضياع بلاد الشام ووقوعها تحت الاستعمار الفرنسي والانجليزي ثم وعد بلفور وتصاد وكثرة الهجرة اليهودية الى فلسطين ثم قيام الزعيم التركي مصطفى كمال اتاتورك بالانقلاب والفساد الدين الاسلامي من دولة الخلافة كل هذا وغيره عمق في نفسية النبهاني تقديم للنظام الاسلامي السياسي بديلاً لكل هذه المصائب التي لم تقو على الظهور ففسد ظله . ومن الجدير ذكره ان الشيخ النبهاني رحمه الله لم يكن يرى له وطناً محدوداً وان كان يحن الى مسقط رأسه وملاعب صباه ، ولكنه كان يرى أن جميع المسلمين حيثما وجدوا هم اخوانه حيثما وجد الاسلام فهو ملتزم بالاسلام معني ومبني وهو الذي يقول :

..... " ووجه ذلك أن الحسن عندنا معاشرا المسلمين ما وافق الشرع والقبيح ما خالف الشرع والعصر الذي يستحسنه الشرع هو الذي تجرى فيه أحكامه ويغلب على الناس فيه الدين ولطاعة الله تعالى واجتناب مناهية (١) "

فالشيخ النبهاني كان وطنه الاسلام حيثما وجد ، وقد تكلم عن وطنية الايمان والحركات الوطنية في العالم الاسلامي التي جعلتها مبدأها بدلاً من الوطنية الاقليمية الضيقة ، وقد تكلم عن هذا الموضوع الاستاذ محمد عطية خميس في كتابه مؤامرات ضد الاسيرة المسلمة (٢)

وفي قصيدته التي قالها في مدح أبي الهدي الصيادي مصوراً تغير الاحوال في دار الخلافة والزراية التي تلحق بالعرب الذي كان يكرم في زمن السلطان عبد الحميد لكون الرسول صلى الله عليه وسلم عربياً في هذه الابيات التي أصبحت

(١) شواهد الحق ص ٣٨

(٢) مؤامرات ضد الاسيرة المسلمة ص ٤٧ - ٥٠

مثلا يستشهد به كل من يوخ لتفسير الاحوال بعد السلطان عبد الحميد وهذه -
الابيات هي :

ويمت دار الملك أحسب أنها	الى الان لم تبح الى المجد سلما
فألفيتها قد أقفرت في ربوعها	ولم يبق فيها الفضل الا توهمها
حوت قوم سوء أسلموا أي نفوسهم	الى الكفر الا من له الله سلما
وألفت فيها أمة عريضة	يرى القوم منها أمة الرنج أكرما
وما نقموا من ابتي الحرب خصلة	سوى أن خير الخلق لم يك أعجما
ولكن حجاب الحق أعمى قلوبهم	فلم ينظرونا من وراء حجب العمى
بنو اللوم أنى ما تكلمت هاجيا	ولكن قلبي من جفاكم تكلمها
ولو لم يكن قصدي مدح أبي الهدى	لجرتكم لو ذقتم الهجو علقما
فأنى على رأى لزوم هجائكم	أرى المدح في فرع النبوة الزما (١)

هذه التسعة أبيات كل بيت منها هو خلاصة معان لو فصلتها لاستوعبت صفحات كثيرة ، كل بيت فيها كاف لان يكون قصيدة طويلة في موضوع ، وقد كانت هـذـة الابيات نفاذة فقد شاعت وانتشرت بين الناس لقوة صياغتها وعاطفتها فقد خرجت من قلب مقروح اعتصره الالم وأصيب بخيبة أمل مريرة كما في البيت الاول والثاني كما أن من أسباب انتشارها أنها جاءت معبرة عن مشاعر الناس وأحاسيسهم وكأنهم وجدوا فيها ما يعبرون به عن مشاعرهم والامهم المكبوتة التي وجدت في هذه الابيات ضالتها المعبرة عنها .

ولو أن الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله أكثر من شعره في هذا الموضوع لكان أمانا ثروة قيمة ناطقة بما في قلوب المسلمين ازاء هذه المتغيرات . ولكنه رحمه الله كان يعيل الى الايجابيات في معالجة القضايا التي يتعرض لها بدلا من السلبيات وهذا واضح في البيت الاخير حيث يقول :

((وانى على رأى لزوم هجائكم أرى المدح في فرع النبوة اعظما))

(١) قصيدة مخطوطة بخط الشيخ عبد الهادي عبد الهادي راوية شعر الشيخ يوسف النبهاني حصلت عليها من الاستاذ اكرام عيتور عتير الاوردن في بيروت عام ١٩٧٤ م .

فهو مع اقتضائه بهجائهم يرى أن مدح أبي الهدى الصيادي الذي هو من آل البيت أفضل من تعداد مثالب لأثران • وهذا الاتجاه يسير عليه الشيخ يوسف النبهاني طيلة حياته مع مؤلفاته فهو يدل أن يشغل وقته وفكره ببيان السبل والخطأ في عصره في مختلف المجالات ينصرف إلى الكتابة حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ، ولسان حاله يقول : هذا هو البديل وهذا المنهج في الإصلاح هو أحدث ما توصلت إليه مناهج التربية الحديثة التي تقوم على أساس أن تعلم الطفل الفضيلة بدلا من أن تنهيه عن الرذيلة فالشيخ النبهاني رحمه الله بفطرته الإسلامية النقية وفقى إلى الأسلوب السليم لإصلاح مجتمعه •

حالته المالية :

لقد كانت أسرة " النبهاني " في " أجنم " مغمورة من الناحية المادية ولكنها مشهورة بالعلم والفضل إذ توجه الكثير من أبناءها إلى الأزهر الشريف لتلقي العلم فيه وهي الأولى بين الأسر الأخرى في هذا الغرض • ويبدو أن المقسدة المادية للشيخ اسماعيل النبهاني والد الشيخ يوسف كانت تسمح له بإرسال ولده للأزهر •

نسمع

فقد ذكر الشيخ يوسف أن والده قد كفاه مئونة العيش في مصر (١) ويبدو أن ما كان ينفقه عليه والده كان قليلا إذ روى لي الشيخ محمد نصر الخطيب كما حدثني الشيخ تقي الدين النبهاني سنة ١٩٤٠ في خيفة قصة مفادها : أنه عندما كان الشيخ يوسف النبهاني في استنبول سمع به أحد الكبار فاستدعاه لتعليم أولاده ولما عرف أنه كان في مصر يطلب العلم في الأزهر قال له لقد كنت في تلك الحقبة في مصر فلماذا لم تتصرف علي ؟ فقال الشيخ يوسف : لو عرفتني في مصر لما عرفتني فاستدعاني الاستانة يحني أنه كان طالبا صغيرا وفي الاستانة أصبح عالما كبيرا " وفي فترة وجوده في الاستانة اشتغل في تحرير جريدة الجوائب وتصحيح ما يطبع فيها وكان يتقاضى مرتبا لا بأس به وقد وعد الاستاذ أحمد فارس الشدياق بزيادة مرتبه أو مشاركته فيها مقابل بقاءه معه ولكنه رفض إذ عين قاضيا في كوى سنجق في شمال العراق ونظرا لعدله في القضاء موظفا فقد كان يتقاضى مرتبا لا بأس به خصوصا أن

(١) اسباب التأليف من الما جز الخفيف ص ٣٣٣

سرعان ما ترقى في سلم القضاء فأصبح رئيس محكمة الحقوق في ولاية بيروت فكان مرتبه ٣٥ ليرة ثم خفضت راتب القضاة فأصبح ٢٤ ليرة (١) ولكن كثرة مؤلفاته واحتياجه الى طبعتها أوقعه في ضائقة مالية لان كتبه كانت تطبع اما على نفقته الشخصية أو على نفقة بعض المحسنين وتوزع مجاناً أو يطبعها التجار وى الرسالة التي بعثها الشيخ أحمد حسن العطاس رضى الله عنه الى الشيخ النبهاني اشارة لذلك حيث يقول "
وحمداً لله على عافيتكم وعرفتم وصول كتابنا اليكم وفرحكم بذلك وسروركم فهنيؤا لسكم بما هناك من قوة الرابطة بينكم وبين المتبوع الاعظم صلى الله عليه وسلم وبين المنتسبين اليه صورة ومعنى . . من أهل الاسلام ، وشكواكم بما تحملته من الديون في طباع الكتب وارسالها الى الافاق ان شاء الله يحصل الفرج بلا حرج وقد أوتيت الى ركن شديد في حسن الرجاء من ذلك الجنب ما يغنيكم ويكفيكم وان تحركت البشرية وضاق الصدر فقالوا يامعط لا تبطل وما هناك الا السلامة ان شاء الله والكتب في طريق جدّة وصندوق الكتب الذي من طريق عدن وصل وسنمتد ما عرفتم في تفرقتها في مظانها مع طلب الدعاء لكم ولحضرة عبد الغنى باشا بينون البيروتى " وهو الذي دفع ثمن تلك الكتب " بأن الله يبلغكم ويبلغه جميع الآمال في جميع الاحوال في لطف وعافية وایانا آمین (٢) " .

ويبدو أنه كان معروفًا لدى من لهم صلة بالشيخ النبهاني أنه يتحمل الديون لأجل نشر مؤلفاته التي لم يتخذ لنفسه حق التأليف والنشر فيها بل جعلها لجميع المسلمين بشرط جودة الطباعة ورخص الثمن . لذلك أرسل له السلطان عبد العزيز سلطان المغرب مساعدة مالية ذكرها الشيخ النبهاني فقال : " أعلم أنه ورد أن - التحدث بالنعم شكر وأن من أسديت اليه نعمة فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها " ثم ذكر تفصيل زيارة السلطان عبد العزيز لحيفة قادما من بيروت لاجل زيارة الشيخ يوسف النبهاني ثم قال " وفارقنا بسرعة بعد أن خلف لنا مع الأسف لفراقة الفخر التام الذي لا ننساه على مرور الايام ثم بعد مرور نحو ثمانية أشهر جاتني منه مكتوب صاد رعن محل اقامته بمدينه طنجه وهذا نصه

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٤

(٢) جواهر البحار ج ٤ ص ٣٤٥ - ٣٤٦

" الحمد لله وحده وصل الله على سيفنا محمد وآله وصحبه وسلم . القيسية
الاجل والاستاذ الاكمل الشيخ يوسف النبهاني سلام عليك ورحمة الله وبركاته ومعه
فموجبه تجديد العهد بكم والسوء الى عن أحوالكم أجراها المولى جل جلاله وفق
مرادكم آمين ولا زلنا متذكرين متشكرين للسويحات التي اجتمعنا فيها ونحن على نية
المودة ان شاء الله لتلك البلاد والاجتماع بكم جمعنا الله كما تحب ونحب ويصلك
صحبتك حق مختوم تذكرة منا لكم تتسنا من صالح أدعيتكم والسلام في ١١ ربيع الثاني
عام ١٣٢٩ "

وقد استلمت الحق المذكور فوجدت فيه مقدار من الطيب وساعة ذهبية ذات
قيمة .

وهي وان لم استعملها تعد هدية فاخرة ومع ذلك ورقة بنك بمائه ليرة انكليزية
قيضتها وأوفيت بها ديننا كت عاجزا عن وفائه (١) فهذه الهدية وان كت أشكركه
عليها الشكر التام لكونها بلا طلب ولا سبب ولا إشارة ولا عبارة ولا وجه من وجوه الكلام
أعدها من مكارم أكرم الخلق وحبيب الحق جعلها الله على يد من اختاره من عترته
النبوية وسلالته الزكية جائزة لشاعر جده الاعظم صلى الله عليه وسلم .

كما ذكر الشيخ النبهاني أنه ارسل من مؤلفاته الى السلطان عبد العزيز
ليبيها له في طنجة يقول الشيخ النبهاني :

" فأرسل الي من قيمتها مائة ليرة وفرقها مجانا (٢) " كما أرسل له السيد
حامد بن علوي البار الحضرى يقول الشيخ النبهاني " هو من أعيان ساداتنا
باعلوى وعلمائهم ومن أكابر تجار عدن وفضلائهم أرسل الي هدية هذا العام بسدود
طلب خمسا وستين ليرة مصرية (٣) . "

وفي بيروت شاهدت لدى الاستاذ خير الدين الزركلى أوراقا مخطوطة من ضمنها
ورقة بعنوان " الشيخ النبهاني " مكتوب فيها " بعث اليه المولى عبد الحفيظ
مع الشيخ عبد الحى الكتاني بخمسين لويزا ذهبيا فاستقلها وكتب اليه بعد الافتتاح

(١) البشائر الايمانية في المبشرات الضامية ص ١٥ - ١٦

(٢) الدلالات الواضحات ص ٣

(٣) المرجع السابق .

الى مولاي عبد الحفيظ ملك فاس السابق حفظه الله ووفقه لنا بحبه ورضاه
من كل خير تمناه وكفاه شرعداه آمين :-

اعبد الحفيظ ملك السورى	وأنت الكريم ونسل الكرام
آتتني خمسونك المرسلات	على يد ذاك الامام الهمام
تناولتها مثل شرب السدواء	بدون ابتهاج ودون ابتسام
أخوك العزيز ^(١) حبانى النهى	بدون سؤال مئات جسام
سأبقى لاحسانه شاكرا	وتشكره بعد موتى المظالم
وأنت كذلك أهل الثنا	ولكن عطاؤك أهل الملام

قالها بغمه ورقمها بقلمه يوسف النبهانى في غرة رجب ١٣٣٢ سأتوجه الى بيروت
وأبقى فيها مدة الصيف ثم أرجع الى المدينة المنورة في عيد الاضحى أن شاء الله .
وأنا أشك أن يكون الشيخ يوسف النبهانى قد قال هذه الابيات لعدة أسباب
منها :

١ - أنى لم أجد هذه الابيات في كتبه ولم يشر لها ولا للمولى عبد الحفيظ
بأى إشارة كما أشار الى السلطان عبد العزيز والسيد حامد بن عيسى
البار الحضرى .

٢ - لا يعقل أن يستقل الشيخ النبهانى خمسين لويزا ذهبيا ثم يرسل قصيدة
لمعاتبه المرسل لأن هذا ليس في طبيعه وهو الذى تحمل الديون لأجل
طباعه كتبه التى لم يحصل منها على أى فائدة مادية بالاضافة الى أنه
لم يجعل لنفسه ولا لذريته حقوق الطبع بل جعلها ملكا لجميع المسلمين
وقد أخبرنى الاستاذ يوسف النبهانى الحفيد أن جده الشيخ يوسف
رحمه الله كثيرا ما كان يدعوا الله " ألا يفنيه ولا ولا يفنى أحدا من
ذريته " .

٣ - هذه الابيات مؤرخة في عام ١٣٣٢ . والشيخ النبهانى كان قد أقيل من
منصبه في رمضان ١٣٢٧ وفي عام ١٣٢٩ كان قد توجه الى مصر لمقابلة
الخدوى عباس الثانى الذى رتب له راتبا شهريا يقول الشيخ النبهانى
فى ذلك :-

(١) أى السلطان يوسف بن الحسن الذى ذكره في ص ١٦ من البشرات النامية .

وفي هذا العام توجهت الى مصر واجتمعت بحضرة الخديوى أفندينا عباس
الثانى وشكوت له أمرى فرتب لى ألف قرش معاشا فى كل شهر وذلك يكفينى مع
ما آخذه من خزانة دولتنا العملية العثمانية حسب قاعدة المستخدمين عندها وهو
معاش التقاعد لمن يبلغ ثلاثين سنة فى خدمتها وقد بلغت مع زيادة وهو يزيد
على ما رتبته الخديوى وبذلك لم يبق لى حاجة فى وظائف الدولة العملية ولو كلفت
بها لا أقبلها والحمد لله رب العالمين (١) *

العلية

وفي هذا دلاله كافية على أنكار هذه الابيات لان الشيخ النبهانى كانت أحواله
المالية ميسورة *

٤ - أخلاق الشيخ النبهانى وزهده يأتى على أن يستقل أعطيه ثم يكتب
أبياتا من الشعر عتابا لصاحبها والشيخ النبهانى يقول " . . . وقد
يسر الله وله الحمد والمنة بعض صلحاء التجار فى مصر وأجلهم صديقنا
الفاضل الأمين الصادق الفطين الشيخ مصطفى أفندى البابى الحلبسى
وأخواته الكرام فطيعوا بعضها ويسر بعض الأغنياء فى بيروت طبع بعض
مختصراتها ووجعها مجانا أثابهم الله وأكثرها طبعت على نفقتى وتكلفت
فوق طاقتى من الديون لمصاريف طبعمها والكتب يحتاج بيعها الى وقت
طويل لانها ليست من ضروريات المعيشة كالعيش واللبس والسكن والمشرب
ولاسيما الكتب الدينية فى هذا الزمان المجيب الذى انصرفت قلوب أكثر
أهله الى محبة الدنيا وأسبابها وزهدت فى الآخرة وطلابها الا من سلم
الله وقليل ما هم ، وما لا أرضاه لولا الضرورة أن بعض هذه الكتب
أرسلنا مقادير منها الى بعض أصحاب الوجاهة فى بلادنا الشامية وقليل
من غيرها فباعوها بطريق التوزيع وذلك ليس من أنواع البيع المشروعة فانما
البيع عن تراض وقد يوجد من هو " لا " من يأخذ الكتاب حيا " - نعم هو
متى اطلع عليه وانتفع به هو وأولاده لاشك أنه يرضى بذلك ويشكرنى على
هذا الخير الذى كنت السبب فى وصوله اليه فأطلب منهم
السماح وأن يجعلونى فى حل من ذلك كرامة لله تعالى ولهذا الرسول

الكریم علیه أفضل الصلاة والسلام (١) .

٥ - لم يذكر في الورقة المخطوطة كيفية الحصول على هذه القصيدة سوى أنها من مخلفات الاستاذ عوني عبد الهادي وهو المعروف باختلافه فكرا مع الشيخ النبهاني مما يجعلني اعتقد أن الاستاذ عونيا عبد الهادي لم يتحرر الدقة في صحة نسبتها للشيخ النبهاني .

٦ - من الناحية الفنية هذه الابيات ضعيفة الصياغة ضحلة المعاني خالية من الصور الفنية التي تظهر في شعر النبهاني بوضوح والقصيدة عبارة عن ستة أبيات ولا يعقل أن يرسل الشيخ النبهاني قصيدة عتاب وسلام لقلعة المبلغ مع أن الفرض يحوجه الى مقدمة طويلة ليعرض الموضوع ويختتمه بقصيدة طويلة كما فعل في القصيدة التي مدح بها أحمد عزت باشا العابد والتي بلغت خمسة ومائة بيت وقد سألت فضيلة الشيخ محمد ناصر الخطيب في هذا الفرض - فقال " لقد اعتاد الشطار الطلب من الملوك والا مرء وهذا لا يعد عيبا في عرفهم خصوصا أن المعطى هو أحسن الملوك فضلا عن عامة الناس (٢) وسألت الاستاذ محمد عزت لروزة فقال " على فرض صحة نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله فان هذا لا يعيبه ولا ينقص من مكانته وهو الذي عاش حياته زاهدا ولم يكن يتقاضى أى مقابل لحقوق تأليفه . ولو كان هناك أى ثلم في أخلاقه لأصبح من أغنياء عصره المعد ودين لانه كان يشغل منصبا خطيبا رئيسا لمحكمة الحقوق العليا في ولاية بيروت (٣) أما الاستاذ أكبر وعيشر سفير الأردن السابق في بيروت فهو يقول " نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله مرفوضة شكلا ومعنى ، فلا يعقل أن يكون الشيخ النبهاني الذي رشحه الأستاذ اسماعيل النشاشيبي ليشترك شوقيا في اشارة الشعر لا يعقل أن يكون هو القائل لهذه الابيات الضعيفة (٤)

٧ - وعلى فرض صحة نسبة هذه الابيات للشيخ النبهاني نرى أنها لا تنزل من قدره اذ اعتاد الشعراء أن يطلبوا من الملوك بلا حق ولم يكن ذلك

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٨

(٢) قابلته في بيته في بيروت في ١٢ / ١١ / ١٩٧٤

(٣) قابلته في بيته في دمشق في ٢٥ / ١٢ / ١٩٧٤

(٤) قابلته في مكتبته بالسفارة في ١٠ / ١٢ / ١٩٧٤

يمد عند العرب عيباً أو منقصاً .

ذكر صاحب الاغانى أن الوليد بن عقبه أرسل مائه من الابل الى ليبد لينحرفها وأرسل له معها أبياتا مطلعها :

أرى الجزار يشخد شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيـل

فلما بلغت الابات ليبد قال لابنته أجيبيه فلمصرى لقد عشت برهة وما أعياها
بجواب شاعر فقالت أبنته قصيدة أخرى :

أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فأطعنا الشريد
فعد ان الكريم له معاد وظنى لا أبا لك أن تمودا

فقال لها ليبد : قد أحسنت لولا أنك استطعته . فقالت ان الملوك لا يستحي
من مسألتهم . فقال وانت يابنية في هذه أشعر (١) .

مع الخديوى عباس :

قابل الشيخ يوسف النبهانى الخديوى عباس حلى الثانى وذكر تفصيل المقابلة
في مقدمة كتاب " المقود اللؤلؤية في الدائع النبوية " وهو ديوان شعره الذى
أهداه للخديوى عباس وقد توجه اليه - أى الشيخ النبهانى - عندما سمع من
بعض حاشية الخديوى ثناء عليه وقبل مقابلته للخديوى ذكر الشيخ النبهانى بعض
أحواله فقال في " البشارة الرابعة عشر " رأيتها - أى البشارة - في منامى
ليلة الجمعة الثامن من شوال سنة ١٩٢٧ بعد أن عزلنى في رمضان من رئاسة
محكمة الحقوق في بيروت ظلما وعد وانا وكراهة للحق وأهله ولم يكن لى وجه لمعيشتى
غير هذه الوظيفة وكانت تعيننى على هذه المؤلفات ونشرها . . رأيت في منامى
رجلا اسمه عبد القادر من أعيان بيروت فقال لى : انه رأى النبى صلى الله
عليه وسلم في منامه فقال صلى الله عليه وسلم " أفدى النبهانى " بهذا اللفظ
بصيغة المضارع يعنى هذا المبد الفقير وكت قبل منامى أكثر من قولى اللهم
صلى وسلم على نبينا محمد قد ضاقت حيلتى أدركتى يا رسول الله ففرحت بهـ
المبشرة وعلمت أنها تبشرنى بقرب الفرج فان النبى صلى الله عليه وسلم لا يفدى الموالم

(١) الاغانى ج ١٤ ص ٢١٩ - ٢٢١ منشورات دار الفكر ودار مكتبة الحياة بيروت

كلها بنفسه الشريفه وانما قد انسى بشىء من الأشياء كما يفدى الاسير بشىء من المال ونحوه ليخلصنى به من هذا الكرب الذى ألم بى وفى هذا العام سنة ١٣٢٩ توجهت الى مصر واجتمعت بحضرة الخديوى أقندينا عباس باشا الثانى وشكوت له أمرى فرتب لى ألف قرش (١) معاشا فى كل شهر وذلك يكفينى مع ما آخذه من خزانة دولتنا العلية العثمانية بحسب قاعدة المستخدمين عندها وهو معاش التقاعد لمن يبلغ مدة ثلاثين سنة فى خدمتها وقد بلغت مع زيادة وهو يزبد على ما رتبته الخديوى وبذلك لم يبق لى حاجة فى وظائف الدولة ولو كلفت بها لا أقبلها والحمد لله رب العالمين (٢)

وقد ذكر لنا ما جرى بينهما من حديث فقال " فانستى بشاشته وملاطفته هيبة ذلك المقام التى كادت تمنعنى الكلام وشرحت له بأمره قصتى وأسباب غصتى وأنى بسبب عدم حكنى بالربا عزلت من وظيفتى ، ولو لا قلة المعاش الذى رتبوه لى الآن لعددت ذلك من النعم الحسان فقد كفانى حكم نحرى ثلاثين سنة فى مثل هذا الزمان وان كانت وظيفتى فى الظاهر كانت رئاسة محكمة الحقوق فى بيروت وفى الباطن تشرفضائله صلى الله عليه وسلم بين الانام والرد على أعدائه الكفرة والمبتدعة اللئام ، فقال نعم نعم أنا أعرف ذلك وسترجع ان شاء الله قريبا مسرورا فأدخل على غاية السرور بهذا الكلام وصعد رأسه الكريم بجباة معجل وترتيب معاش وافر كل شهر على الدوام (٣)

وعلى هذا لو فرضنا أن راتبه التقاعدى الذى كان يتقاضاه من الدولة العلية من ١٤ - ٢٠ جنيها يكون مجمل دخله الشهرى من ٢٤ - ٣٠ جنيها وهذا المبلغ يعد ممتازا فى عصره إذ أن المرتبات التى كانت ضئيلة فميزانية الازهر والمعاهد الدينية حتى عام ١٨٩٢ كانت ٤٣٧٨ جنيه وفى عام ١٩٠٢ / ١٤٠٠١ جنيه وفى عام ١٩١١ كانت ٥٢٤٧٠ جنيه (٤) وعن مرتبات العلماء يقول الاستاذ محمود أبو

(١) وهو المبلغ نفسه الذى رتبته رياس باشا رئيس الوزراء فى مصر عام ١٢٨٨ -

للسيد جمال الدين الافغانى الاعلام الشرقية ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٢) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ١٤ - ١٥

(٣) العقود اللؤلؤية ص ٤ - ٥ .

(٤) الجامع الازهر نبذة فى تاريخه الاستاذ / محمود أبو العيون .

العيون * كانت قرنهاك العلماء ضئيلة في ذلك العهد فكان مرتب ذي الدرجة
الاولى خمسين ومائة قرش وذي الدرجة الثانية مائة قرش وذي الدرجة الثالثة
خمسة وسبعين قرشا وفي ذلك العهد لم يكن فيه اجالة على المماس فالحال
يتقاضى مرتبه الى الوفاة وفي الحال كذلك الى سنة ١٩٠٩^(١)

(١) المرجع السابق.

(١/٢٨٠)
الفهرس

رقم الصفحة

	الأهداء
	قبس من آي الذكر الحكيم
أ-ب	شكر وتقدير
أ-ب	المقدمة
	الباب الأول عصره وميئته
٦-١	الفصل الأول : الصورة الجغرافية لوطنه
٢٣-٧	الفصل الثاني : الحياة الاقتصادية
١٠	الاقتصاد الفلسطيني قبل الاحتلال الانجليزي
	الاقتصاد الفلسطيني بعد الاحتلال الانجليزي
٥٥-٢٤	الفصل الثالث : الحياة الثقافية
٢٤	التعليم
٣٨	الطباعة
٤٠	الصحافة
٤٢	الاندية والجمعيات
٤٥	الاذاعة
٥٣	اثر الارساليات التبشيرية في الحياة الثقافية بفلسطين *
١٣٣-٥٦	الفصل الرابع : الحياة السياسية والاجتماعية
٥٦	النظام الاداري
٥٩	المسألة الشرقية
٦٦	الجامعة الاسلامية
٧٤	السلطان عبد الحميد
٨٥	السلطان عبد الحميد ضحية فلسطين وشهيدها الأول *
١٠٦	الحركة العربية الحديثة
١٢٣	ضياع فلسطين
	الباب الثاني نشاته وحياه
١٥١-١٣١	الفصل الأول : مولده - أسرته وفاته
١٣١	مولده
١٣٤	نشاته
١٣٦	قبيلته
١٤٠	أسرته
١٤٦	وفاته

رقم الصفحة

١٨٨-١٥٢

١٥٢

١٧٩

٢٣١-١٨٩

١٨٩

٢١٦

٢٢٥

٢٢٨

٢٣١

٢٣٢

٢٣٢

٢٤١

٢٤٤

٢٤٦

٢٤٧

٢٤٨

٢٦٠

٢٧٢

الفصل الثاني : ثقافته

مصادره الفكرية

تلاميذه

الفصل الثالث : مكانته في المجتمع الاسلامي

مكانته العلمية

مكانته الاجتماعية

تفاعله مع أحداث عصره

رحلاته وأسفاره

حبسه

الفصل الرابع : شخصيته وبعاده

مفتاح شخصيته

أخلاقه

استعماله الألفاظ النابية في وصف الخصوم

حسن الظن

الأمانة العلمية في النقل

المبشرات للنامية

تقديمه لنظام الاسلام السياسي

حاله الماليه